طليعة لبنان الواحد

من أجل لبنان عربي ديمقراطي

آب | نشرة تصدر عن مكتب الإعلام في حزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي | ٢٠٢٥

فلسطين في قلوبنا وفي عيوننا إذا ما استدرنا إلى أي من الجهات الأربع

الشهيد القائد
صدام حسين

لا سيادة إلا للدولة..

كلمة الطليعة

الخروج من المأزق... بالدخول في مشروع الدولة

بعد تسعة اشهر على انتخاب رئيس للجمهورية وتأكيده في خطاب القسم على "حصرية السلاح" وتمكين الدولة من بسط سيادتها على كامل التراب الوطني ، وما يقارب الثمانية اشهر على تشكيل الحكومة ونيلها الثقة على اساس بيانها الوزاري الذي اكد على العناوين الاساسية لما ورد في خطاب القسم ، لم يشهد لبنان "استراحة امنية" نظراً لاستمرار "اسرائيل" في تنفيذ اعمال عدوانية تكاد تكون شبه يومية مع تحليق متواصل للمسيرات التي تجوب الاجواء اللبنانية من شمالها الى جنوبها ومن بقاعها الى جبلها ومن ضمنها العاصمة. كما انه لم يشهد هدوءاً سياسياً على جبهة التعامل مع الموفدين الدوليين والاقليميين والعرب ، كما على جبهة السجال حول النقطة المركزية التي تمحور حولها خطاب القسم والبيان الوزاري وهي بسط سيادة الدولة وترجمتها العملية "حصرية السلاح".

ان مايجعل الوضع مشوباً بالقلق والالتباس والغموض حول مقاربة العناوين التي تتعلق بعدم الالتزام باتفاق ٢٧ تشرين الثاني ٢٠٢٤ والمخترق حتى تاريخه من جانب واحد ، هو الجانب الصهيوني ، وبما تضمنته اوراق الموفدين وخاصة الموفد الاميركي، إنما يكمن في تباين وجهات النظر حول تفسير مسألة "حصرية السلاح" وترتيب الاولويات في تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في ظل موازين قوى كانت ولما تزل مختلة لصالح العدو الصهيوني.

هذا الوضع المشوب بالالتباس والغموض والقلق ، انعكس توتراً سياسياً ملحوظاً بين الحكم بمؤسساته التنفيذية وبين الطرف المعني مباشرة بالعنوان المتمحور حول "حصرية السلاح"، حتى وصل الامر الى الذهاب بعيداً في مقاربة هذه المسألة عبر استحضار مفردات التخوين تارة ، والتهويل بالثبور وعظائم الامور تارة اخرى، فضلاً عن تلك التي لاتليق بادبيات المخاطبة السياسية التي يفترض ان تبقى مترفعة عن مضمونها الهابط والبعيدة عن استثارة المشاعر الغرائزية وخاصة المذهبية منها.

هذه المقاربة لهذه المسألة وبالحدية التي تطرح بها ، تبدو غير موضوعية ،لسببين :

الاول ، ان المسألة التي يدور السجال حولها ،إنما تولدت عن سياق الصراع العربي - الصهيوني ولبنان داخل ضمن امداءاته.. وهذا الصراع مازال وسيبقى مفتوحاً طالما الاحتلال الصهيوني لفلسطين مايزال قائماً وطالما بقيت شهية التوسع تستوطن العقل السياسي الصهيوني ومعالجتها تحتاج الى روية وطول أناة واخذ كثير من العوامل بعين الاعتبار لتداخل مؤثرات كثيرة فيها من الداخلي الى القومي فالاقليمي فالدولي.

والثاني ، ان قضية السلاح تتم مقاربتها باعتبارها مسألة تقنية فيما المطلوب ان تقارب من خلال وظيفتها السياسية.

بالنسبة للسبب الاول ، كان يفترض ان لاتكون مسألة مواجهة المشروع الصهيوني الاستيطاني وهو اعلى درجات الاستعمار الذي يتجاوز حدود احتلاله لفلسطين الى الغلاف القومي المحيط بها ولبنان من ضمنه ، موضوع خلاف بين اللبنانيين بمعطى اللحظة الراهنة ، لان العدو يستهدف الكل الوطني اللبناني بجغرافية المكان وشمولية السكان ولبنان يقع على خط التماس الجغرافي لفلسطين كان وسيبقى ضمن مايعتبره العدو النطاق الجغرافي لما يسميه بدولة "اسرائيل الكبرى" التي بدأ يروج لخريطتها مؤخراً ،فضلاً عن كون طبيعته وتركيبته وتنوعه يشكل نقيضاً موضوعياً لكيان عنصري سبق وصنفتّه الهيئات الدولية ذات الصلة بالدفاع عن حقوق الانسان بالكيان العنصري (ابارتهايد) وهذا ماسبق وتناوله منظّر "الكيانية اللبنانية" ميشال شيحا وبعده شارل مالك.

وعندما يكون الصراع مع العدو الصهيوني يتسم بالصراع الوجودي وهو التشخيص الصحيح والدقيق له ، ،فإن مواجهة الاخطار الناجمة عن تحديات هذا الصراع لاتقتصر على حزب او فئة ، بل هي مهمة الكل الوطني كما الكل القومي وسياقات الاحداث والمراحل التي قطعها هذا الصراع وما افرزه من نتائج حتى الان تؤكد هذه الحقيقة.

وعندما يكون صراعاً متصفاً بالشمولية كالذي يمثله الصراع العربي الصهيوني ،فعندها لا يستطيع خوض غماره وادارته وتلقى تبعاته ونتائجه حزب بعينه او مكون مجتمعي او حتى قطر بمفرده نظراً لكون الكيان الصهيوني يحظى بدعم مطلق من المراكز المقررة في النظام الاستعماري على تبدّل مواقعها.

اذاً ، من هي الجهة التي تستطيع ادارة هذا الصراع في ضوء المعطيات المحيطة به ؟ ان الجواب على هذا التساؤل المشروع، تحدده الاطر التي تناط بها مهمة ادارة الاجتماع السياسي في نطاق المكون الوطني وهو مايعبر عنه بالمفهوم الدستوري بالدولة. وهي الكيان الاعتباري الاعلى في البنيان الوطني وهي بحكم ماهيتها تلعب دور الحاضنة لكل التشكل المجتمعي والضابطة للاداء السياسي تحت سقف الدستور والقوانين النافذة.

هذه الدولة التي مثّلت التطور النوعي الابرز الذي طرأ على مسار التحولات في ادارة المجتمعات ، تجمع النظم الدستورية على اختلاف مضامينها على وجوب قيام الدولة بوظيفتين مركزيتين : الوظيفة الحمائية والوظيفة الرعائية.

واما الوظيفة الحمائية ، فهي التي تندرج تحت عنوان توفير الحماية للامن الوطني من عدوان الخارج ومن اختلالات امن الداخل. وهذا يتطلب توفر عاملين اساسيين ، الاول ، وجود المؤسسات التي تناط بها المهام التنفيذية لمواجهة التحديات التي تستهدف الامن الوطني ، والثاني ، توفر عامل المناعة الداخلية التي تجعل من جبهة الداخل مشدودة الى الاهداف

الوطنية وفي طليعتها اعتبار الدفاع عن الارض وتحريرها اذا ماتعرضت للاحتلال والوحدة الوطنية اهدافاً وطنية تتسامى وتترفع عن اية خلافات او تباينات سياسية حول ادارة الشأن الداخلي.

أما بالنسبة للعامل الاول ، فالمؤسسة الاهم إنما هي مؤسسة الجيش ،التي تعتبر من المؤسسات الارتكازية الاهم في بنيان الدولة ، نظراً للمهمة المركزية المناطة بها وهي حماية الامن الوطني ، وأما بالنسبة للعامل الثاني المعبّر عنه بالمناعة الداخلية فمرتبط بقيام الدولة بوظيفتها الرعائية كهيئة اعتبارية حاضنة لكل مواطنيها. وهذه الوظيفة الرعائية لاتستقيم الا اذا كانت دولة تحكمها قواعد المساواة في المواطنة. حقوقاً وواجبات تحت سقف القانون ، كما تحكمها قواعد الشفافية والحوكمة في ادارة الشأنين العام والخاص . ولذلك فإن الذين يستهدفون الامة العربية على مستوى الكل القومي كما الدولة على مستوى مكونها الوطني إنما يضعون في رأس اولوياتهم ، اضعاف بنية الدولة الوطنية ، اولاً ، عبر ضرب واضعاف مؤسساتها الوطنية الارتكازية ومؤسسة الجيش في طليعتها. وما حصل في العراق بعد الغزو والاحتلال نموذجاً. وثانياً ، استثارة عوامل الانقسامات الداخلية في الاجتماع السياسي الوطني باستحضار العوامل الدينية والطائفية والمذهبية والاثنية والجهوية والقبلية بتحريك ما تراكم منها من سلبيات على مدى الحقبات التاريخية وما يتم تغذيته حالياً عبر اشكال مختلفة من التدخل المباشر وغير المباشر وما اكثر النماذج القائمة .

من هنا ، فإن التصدي ومواجهة الاخطار المحدقة بالامن القومي ونزولاً حتى الامن الوطني ، لايستقيم الا اذا اخذت المواجهة بعدها الوطني الشامل على مستوى المكون الوطني وهو الذي لن تستطيع ادارته الا الدولة التي تستجمع كل عناصر قوتها ومناعتها استناداً الى ماهيه وظيفتها الاساسية الحمائية والرعائية .

لذلك ، إن نجاعة المواجهة مع المشروع الصهيوني ، الذي لايخفي اطماعه التوسعية واهدافه الرامية الى تشظية الواقع المجتمع العربي ، تملي ان تأخذ هذه المواجهة بعدها الوطني الشامل وعبر ادارة الدولة الوطنية الديموقراطية الحائزة لكل المواصفات التي تمكنها من القيام بوظيفتها الاساسية تحت احكام الدستور والقوانين النافذة ، وكل من يعتبر ان مواجهة المشروع الصهيوني واجبة ،وجوب الدفاع عن الوجود ، عليه ان يعي جيداً ان الانخراط في اليآت هذه الجبهة تفرض توفر الذهاب اليها عبر الوقوف على ارضية موقف وطني صلب وأن لايكون ظهيره مكشوفاً ، والا ستكون النتائج كارثية ، لان الفعل المقاوم سيكون عندئذ واقعاً بين مطرقة العدوان وسندان الانكشاف الوطني ، وهذا للأسف ما تعاني منه الساحة اللبنانية .

وأما بالنسبة الثاني، والمتعلق بموضوع مقاربة السلاح ، فإنه لو تمت مقاربته من زاوية وظيفته السياسية من خلال القراءة الموضوعية لواقعه في ظل المتغيرات التي حصلت على مستوى الاقليم وليس لكونه مسألة تقنية ، لما كانت الامور دخلت هذا المنحى من المماحكة والتصعيد السياسي. فالسلاح الذي يدور السجال حوله ، كانت له وظيفتان ، واحدة اساسية واخرى فرعية .فأما الاساسية فتلك الموظفة في اطار المشروع الايراني على مستوى الاقليم لتعزيز مواقع هذا المشروع وجعل صاحبه لاعباً اساسياً على مستوى الترتيبات الاستراتيجية للنظام الاقليمي ومنها الترتيبات الامنية والسياسية. اما وان هذا المشروع تلقى ضربة قاسمة وبدأ بالانكفاء الى نطاق داخله الوطني ، فبذلك يكون السلاح فقد وظيفته الاساسية نظراً لانكفاء دور مشغله الايراني ،وهو اذا ماعاد للتشدد في تحديد آلية التعامل معه فلتوظيفه ورقة تفاوضية لتخفيف حدة الاختناقات التي ينوء تحت اعبائها . وأما الوظيفة الفرعية فتلك التي تتعلق بالفعل المقاوم للعدو الصهيوني ، ومعطى المرحلة الراهنة في ضوء ماافرزته المواجهة الاخيرة والتي تستمر من خلال تواصل الاعمال العدوانية الصهيونية ، تجعل من الصعوبة في مكان استعمال السلاح استناداً الى وظيفته الفرعية في المرحلة الراهنة ، ونقول في المرحلة الراهنة ، لان ملف هذا الصراع وان خفتت حماوته الا انه لن ينطفئ طالما هو صراع يتصف بالصراع الوجودي في توصيف طرفيه النقيضين. وعليه ، فلاجل الخروج من دائرة المماحكة حول شعار "حصرية السلاح "، يجب الاقلاع عن مقاربة هذا الموضوع من خلفية المصالح الايرانية ، وبالتالي وجوب مقاربته من خلفية المصلحة الوطنية التي تقضي بتقوية مرتكزات الدولة وتعزيز عوامل مناعتها الداخلية. وهذا يملي الدخول في مشروع الدولة ووضع الامكانات المتاحة بتصرفها ، ومنها الامكانات التسليحية التي املت الظروف السابقة ان تبقى خارج الادارة الوطنية لها، وباتت الضرورة الوطنية تملي الان وضع ماتبقى من امكانات تسليحية وغيرها في سياق تقوية مشروع الدولة وعبر احاطة الجيش بها وهو المؤسسة التي اعتبرت واحدة من تلك التي سميت "بالثلاثية الذهبية" .

ان على الطرف الذي دخل في مشروع السلطة واستمرأ منافعها على قواعد المحاصصة لم يدخل في مشروع الدولة واكثر من ذلك فقد لعب دوراً في تعطيل مؤسساتها ،وعليه ان يحسم امره لجهة الدخول في مشروع الدولة ، والدخول اليها. يجب ان لا يكون شكلياً بل دخولاً فعلياً والمدخل الى ذلك عودته الى لبنانيته حتى تتم الملاقاة معه على ارضية موقف وطني مشترك، وحينئذٍ يسقط عنه عبء تثقيل مشروع اقليمي هو اكبر من قدرته على تحمله ، كما هو اكبر من قدرة طائفة بعينها على تحمله ايضاً واكبر من قدرة مكون وطني بكليته.

هذا التثقيل جعل كل من وقع تحت تأثير املاءات هذا المشروع يدفع اثماناً سياسية واقتصادية وبشرية ومادية باهظة جداً. وخلاصة ماوصل اليه انه وضع كافة اطرافه على مستوى التقرير والتسهيل والتمويل والتنفيذ في مأزق. ولاسبيل للخروج من هذا المأزق واقله على الصعيد اللبناني الا بالدخول في مشروع الدولة لاجل توفير الارضية الوطنية لتحشيد كل الجهد الوطني في مواجهة الاستحقاقات القادمة التي ستكون شديدة القسوة في ظل الاندفاعة الاميركية لاعادة تشكيل المنطقة بالاداة الصهيونية التي ماكانت يوماً الا اداة تنفيذ للمشروع الاستعماري الذي ينعقد لواءه اليوم للامبريالية الاميركية.

القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي:

ليتحول رفض التطبيع ومقاومته الى قضية رأي عامٍ عربي
شعب سورية العظيم سيبقى امينا على عروبته وحافظا لارثه النضالي
الدولة الوطنية الديموقراطية هي القادرة على ادارة الصراع مع العدو
يوم النصر العظيم في الثامن من آب سيبقى من ايام العرب الخالدة

اكدت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ان شعب سورية سيبقى امينا على عروبته وعلى وطنيته، وان الدولة الوطنية الدبموقراطية هي القادرة على ادارة الصراع الوجودي مع المشروع الصهيوني. ودعت الى تحويل الموقف من نهج التطبيع الى قضية رأي عام قومي. كما دعت لاستحضار ما انطوى عليه يوم النصر العظيم في ١٩٨٨/٨/٨ من دلالات نضالية في صراع الامة مع اعدائها المتعددي المواقع.

جاء ذلك في بيان للقيادة القومية فيما يلي نصه :

في الوقت الذي تستمر فيه حرب الابادة الجماعية ضد جماهير شعب فلسطين في غزة ومعها حرب التجويع، واقدام الكنيست الصهيوني على المصادقة على قرار يدعوالى فرض "السيادة الاسرائيلية " على الضفة الغربية بما في ذلك غور الاردن ،يواصل العدو الصهيوني اعتداءاته على لبنان وسورية التي لم يكتف بتوسيع رقعة احتلاله لمناطق واسعة من جنوبها امتداداً من قمة جبل الشيخ الى درعا وعلى طول الحدود مع فلسطين المحتلة وحسب ، بل يعمد الى التدخل في الشأن الداخلي السوري عبر تقديم نفسه "حامياً "لمكون مجتمعي سوري ماكان يوماً خارج الولاء الوطني لدولته التي تمتد على مساحة الجغرافيةالسورية .

في ظل هذا الواقع السائد يبدو واضحاً ان الخطورة التي تستهدف الامن الوطني السوري لم تعد تقتصر على الاحتلال العسكري وتمدده ، بل ان الاخطر الاكبر هو ماتتناقله الاخبار عن لقاءات واتصالات تجري بين ادارة الحكم في سورية والكيان الصهيوني والتي تتنقل مابين انقرة وباكو (عاصمة اذربيجان) وباريس وصولاً لاتفاقية تسوية على غرار اتفاقيات "كمب دافيد" ووادي عربة.

إن ادارة الحكم في سورية وهي تنخرط في آلية المفاوضات ،فإنما تشارك فيها والدولة السورية منزوعة الانياب بعد التدمير شبه الشامل لقدراتها العسكرية التي استهدفت بعدوان صهيوني واسع كذلك الذي تعرضت له الامة العربية في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧. واكثر من ذلك فإن سورية التي دخلت مرحلة جديدة من حياتها السياسية بعد سقوط النظام ، فإنما دخلتها وهي مثقلة باعباء ملفات ضاغطة على كل مناحي الحياة الامني منها والاقتصادي ومن ضمنها العقوبات واعادة الاعمار وتأهيل المرافق الحيوية والبنى التحتية ، كما ملف النزوح والتغيير الديموغرافي الذي اصاب التوزع والتركيب السكاني في ظل سطوة النفوذ والهيمنة الايرانية . والقيادة القومية للحزب ، التي تعي جيداً صعوبة الاوضاع التي تمر بها سورية حالياً ، والتركة الثقيلة التي خلفتها الدولة الامنية السابقة بمصادرتها للحريات العامة وتعليب الحياة السياسية وعلى دور سورية وموقعها ودورانها في فلك المشروع الايراني ، تعي ايضاً ، ان مواجهة هذه التحديات لاتكون بالطريقة التي تدير بها ادارة الحكم الجديدة شؤون البلاد والعباد ، وإنما بتحصين الجبهة الداخلية بمعطى الوحدة الوطنية التي تحكمها ثوابت وحدة الارض والشعب والمؤسسات والتعامل مع المرحلة الانتقالية باعتبارها خطوة على طريق اعادة انتاج نظام سياسي جديد تحكمه قواعد المساواة في المواطنة حقوقاً وواجبات، وقواعدالفصل بين السلطات وديموقراطية الحياة السياسية ، واحكام العدالة الانتقالية .

وعليه فإن سورية ، التي تواجه هذا الكم من التحديات ، لاسبيل لتجاوز التداعيات السلبية والقاتلة لهذه التحديات ، الا بتحشيد الجهد الوطني والشعبي الشاملين في سياق مشروع مواجهة يأخذ بعده الشمولي ،انطلاقاً من ادراك طبيعة الصراع مع المشروع الصهيوني اولاً ، ومن وجوب تلبية مستلزمات امن المواطن السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحياتي ثانياً. وهذا لاتستطيعه الا الدولة الوطنية الديموقراطية .

فالشعب في سورية الذي عانى الامرين على عقود من ادارة الدولة الامنية لشؤونه العامة والخاصة ،لايرى في الدولة الذي يحكمها المنطق الدعوي بخلفية دينية او مذهبية المرجّى الذي يبتغيه لينعم بسلام وطني ومجتمعي،لان كلا النموذجين يعطلان ديموقراطية الحياة السياسية والمساواة في المواطنة ، وهما الركنان الاساسيان في بناء الدولة الوطنية.

على هذا الاساس، فإن القيادة القومية للحزب ، لاترى في الطريقة التي تقارب فيها ادارة الحكم الجديد ملفات البناء الداخلي والعلاقة مع الخارج الاقليمي والدولي ، مقاربة تحاكي من خلالها معطيات الطموح الوطني سواءً لجهة طبيعة النظام السياسي

الجديد او لجهة الدور القومي الذي يفترض ان تضطلع به سورية انطلاقاً من مركزية موقعها في مواجهة المخاطر التي تهدد الامن القومي العربي وخاصة خطر المشروع الصهيوني الذي تمكه قواعد الصراع الوجودي مع المشروع القومي العربي . فذهاب ادارة الحكم في سورية الى مفاوضات مع العدو الصهيوني ،انما يمنحه شرعية الاعتراف بكيانه اولاً ، وسينتزع اعترافاً بشرعية احتلاله لاراض سورية ولو كانت تحت عناوين ترتيبات امنية . كما ان الانخراط في مفاوضات مع العدو املاً بحل للازمة الاقتصادية ، لايعدو كونه سوى وهماً لان المضاعفات ستزداد شدة بعد تكبيل سورية بحزمة من الشروط الاقتصادية والنقدية التي تمليها الصناديق الدولية وتجربة الدول التي وقعّت اتفاقات مع العدو شاهد على ذلك.

وعليه، فإن مواجهة التحديات التي تواجهها سورية ، لايكون بالهروب الى الامام عبر الاستجابة للاملاءات الاميركية ومن يدور في فلكها ، وإنما بالعودة الى الداخل لاطلاق ورشة البناء الوطني للدولة المدنية على الاسس التي توفر ارضية صلبة لمواجهة التحديات الكبرى استناداً الى موقف وطني غير مساوم على حقوق وطنية وقومية ويختزن مقاومة لكل اشكال التطبيع مع العدو الصهيوني ، ورافض لاحلال وصاية اقليمية باخرى .

ان القيادة القومية للحزب التي اعتبرت اسقاط النظام السابق ومعه توجيه ضربة قاسمة للمشروع الايراني، حدثان على قدر كبير من الاهمية بانعكاساتهما الايجابية على القضايا القومية ، ترى ان هذه الايجابية عرضة للاجهاض إن لم تستعد سورية دورها القومي الذي ينسجم مع تاريخها وما قدمه شعبها لامته في الصراع المفتوح مع اعداء الامة المتعددي والمواقع والمشارب. والقيادة القومية للحزب التي ترى ان استهداف فلسطين لم يكن استهدافاً لذاتها وحسب ، وانما الامة العربية برمتها ، ترى في استهداف اي مكون وطني عربي من قبل المشروع الصهيوني وداعميه من قوى الاستعمار العالمي ، انما يندرج ضمن ذات السياق ومنها المكون الوطني السوري الذي يكتسب اهمية نظراً لمركزية الموقع السوري وتأثيره على كل دول المحيط . ولهذا يجب تدارك الخطر الصهيوني الذي يصوّب سهامه الى هذا الموقع لتثبيت وقائع ميدانية استناداً الى متغيرات سياسية طارئة.

وعليه ، فان القيادة القومية للحزب ، تدعو شعب سورية العظيم الى ان يكون وفياً لماضيه وتاريخه ودوره الطليعي في التصدي للمشروع الصهيوني ، والف باء ذلك الوقوف بحزم امام المحاولات الرامية لدفع سورية لتوقيع اتفاقيات مع العدو لن تكون في ظل موازين القوى الحالية الا استسلاماً لشروطه واملاءاته. فكل سلوك او موقف يدعو للاعتراف بالكيان الصهيوني تحت مبررات الواقعية السياسية هو موقف مدان بكل المعايير الوطنية والقومية والاخلاقية ، ومقاومة هذا النهج واسقاطه هو مهمة الامة من محيطها الى خليجها وفي المقدمة منها شعب سورية الذي كان ويجب ان يبقى يجسد قلب العروبة النابض والطليعي في دعوته لوحدة الامة وتحررها لانهاء استلابها القومي والاجتماعي.

ان القيادة القومية التي تدين نهج التطبيع والمطبعين وتدعو لمقاومته بكل السبل المتاحة وانجعها المقاومة الشعبية الشاملة ، ترى ان الامة التي تختزن طاقات نضالية عظيمة قادرة على مقاومة نهج التخاذل والاستسلام، وان تاريخها الحديث والقديم يحفل بالمحطات النضالية التي تبقى ايامها الخالدة دائمة الحضور في سفر النضال العربي. وما يوم النصر العظيم لسبعة وثلاثين سنة خلت الا واحدة من هذه المنارات النضالية المضيئة ،وهو اليوم الذي استطاعت الامة عبر عراقها العظيم تحقيق انتصارها المؤزر بالاستناد الى الدور الذي اضطلعت به ثورة السابع عشر - الثلاثين من تموز المجيدة التي بقدر ماكانت مسيرتها حافلة بالانجازات العظيمة على مختلف الصعد والميادين، فإن "القادسية الثانية" التي ادت الى وأد المشروع الصفوي التوسعي ، اثبتت ان الامة العربية تملك من القدرات والامكانات مايمكنها من الدفاع عن وجودها وهويتها اذا ماتوفرت لها القيادة الملتزمة قضايا الشعب ، وتمتلك ارادة الصمود والتصدي لكل من يشكل مصدر تهديد للامن القومي.

ان القيادة القومية التي تدعو الى تصعيد النضال الجماهيري لمقاومة نهج التطبيع باستهدافاته وادواته والى اعادة الاعتبار الى حراك الشارع العربي في الانتصار لقضايا الامة وخاصة القضية الفلسطينية التي تدخل هذه الايام منعطفاً خطيراً في ظل حرب الابادة التي يتعرض لها شعبنا الفلسطيني في الارض المحتلة ، توجه التحية لشعب العراق العظيم الذي سطر ملحمة بطولية في حرب استمرت ثماني سنوات وخرج منها اكثر قوة واقتداراً وهو مادفع الى تشكيل تحالف دولي بقيادة اميركا لاسقاط ما تمخضت عنه تلك من نتائج لمصلحة الامة العربية وهو ما ادى الى حصول الانكشاف القومي الشامل الذي تستغله قوى التحالف الصهيو اميركي لفرض هيمنتها على الوطن العربي . وما حصل في سورية ولبنان واليمن وما تتعرض له فلسطين انما هو نتيجة الزلزال الذي ضرب البنية القومية انطلاقاً من فالق العراق.

فليتحول رفض التطبيع ومقاومته الى قضية رأي عام عربي

وليُعَدْ الاعتبار للشارع العربي وحراكه السلمي الديموقراطي في انتصاره لقضايا الامة.

وليكن الرهان على وطنية شعب سورية في رفضه للتطبيع رهاناً ثابتاً.

وليكن يوم الثامن من آب يوماً ترنو اليه الامة في استنهاض واقعها السياسي والاجتماعي.

المجد والخلود للشهداء والخزي العار للمطبعين والمتآمرين على الامة وقضاياها القومية.

القيادة القومية
لحزب البعث العربي الاشتراكي
في ٦/ ٨/ ٢٠٢٥

عفوك شعب سورية العظيم... قاوم التطبيع!؟..

كتب المحرر السياسي :

تتواتر الا نباء عن حصول اتصالات بين الكيان الصهيوني وادارة الحكم الحالية في سورية ، وان ثمة لقاءات عديدة قد حصل بعضها في تركيا ، وبعض في اذربيجان واخرها المعلن عنها في باريس. وهذه الاتصالات التي تسرّبت اخبارها ، مازالت طي الكتمان لجهة مضمونها وان كان عنوانها العام يندرج تحت بند واحد هو تطبيع العلاقات بتوقيع اتفاقيات شبيهة باتفاقيات "كمب دافيد" "ووادي عربة " او بتلك التي تندرج تحت مايسمى "باتفاقات ابراهم " .

ان الكيان الصهيوني ينخرط في هذه المفاوضات وهو في اوج "زهوه" ، من خلال تدميره لغزة بشراً وحجراً وشجراً واستمراره في فرض حصار تجويعي عليها ، ودون ان تفلح "المناشدات الانسانية" من فك الحصار الغذائي الذي يميت جوعاً وعطشاً من لم تمته القذائف التي مزقت اجساد الاطفال والنساء والشيوخ ولم توفر مراكز الايواء والخدمات الصحية من نيرانها الحارقة.

كما ان العدو يذهب "مزهواً" ، بما حققه على جبهة لبنان واستمراره في اعتداءاته رغم اتفاق وقف اطلاق النار الذي لم يلتزم به. واكثر من ذلك فإنه يذهب الى المفاوضات وفي جعبته محصلة الضربة الموجعة التي تلقتها ايران ، والتدمير الواسع النطاق للقدرات العسكرية السورية التي بلغت ذروتها مع العدوان الشامل الذي شنّ عشية سقوط النظام.

هذا الكيان ذهب الى المفاوضات وفي يده اربع اوراق من القوة على الاقل :

الاولى ،ورقة محصلة المواجهات العسكرية على الارض والتي كانت جميعها وعلى كافة الجبهات في مصلحته.

الثانية ، ورقة الدعم المطلق من اميركا على الصعد العسكرية والاقتصادية والسياسية والاعلامية والتي عطلت كل المحاولات الدولية لاستصدار قرار من مجلس الامن الدولي يقضي بوقف الحرب والحصار واطلاق اليآت حول ترتيبات امنية وسياسية.

الثالثة، العجز العربي في اتخاذ موقف عملي لوقف حرب الابادة ضد جماهير شعب فلسطين في غزة .

الرابعة ، انه يذهب وقد حقق تمدداً امنياً وعسكرياً واسعين في الجنوب السوري ، واختراقاً سياسياً في بيئة شعبية عبر توسيع قنوات الاتصال والتواصل مع مرجعيات دينية لم تخف علاقاتها مع العدو والاستقواء به لتقوية مواقعها وتاثيراتها على البيئة المجتمعية التي تنشط فيها.

اما في الجانب الاخر ، فان ادارة الحكم الجديدة في سورية تذهب الى المفاوضات وهي مثقلة باوراق وهنة وضعيفة لعل ابرزها اربع على الاقل ايضاً.

الاولى ، انها تذهب والدولة السورية بدون انياب بعد تدمير قدرات الجيش السوري بضرب قواعده ومعسكراته ومراكز الابحاث ذات الصلة بالجهد العسكري والعلمي .

الثانية ، انها تذهب ، والعديد من المناطق لم تزل خارج السيطرة الفعلية للدولة ، وبعض هذه المناطق كان عرضة لاهتزازات امنية قوية كتلك التي حصلت في الساحل وفي السويداء والجنوب السوري.

الثالثة، انها تذهب والارضية السياسية التي تقف عليها تفتقر الى صلابتها ، لان الادارة الحالية لم تعمد الى اشراك مروحة الطيف السياسي الوطني والذي كان له دور في مقاومة نهج النظام السابق في البناء السياسي واعادة تكوين السلطة الانتقالية.

الرابعة ، انها تذهب تحت ضغط المواقف الدولية والاقليمية التي تربط مساعداتها الاقتصادية وفتح قنوات الاتصال السياسي مع النظام الجديد بحزمة من الشروط لعل ابرزها الذهاب الى مفاوضات مع الكيان الصهيوني توصلاً لترتيبات امنية وسياسية واستطراداً اقتصادية .

وطالما بات واضحاً ان عجلة الاتصالات واللقاءات قد دارت دواليبها ولم ينفها الطرفان ، فان المفاوضات تحكمها عادة قواعد عامة وقواعد خاصة . واذا كانت القواعد الخاصة تتعلق بالعناصر الخاصة بالطرفين المفاوضين ، فان القواعد العامة التي تفرض نفسها على عملية التفاوض والمفاوضين هي المعطيات التي افرزتها سياقات الصراع والتي ارست نتائجها على الارض.

ولهذا فإن المفاوضات بين اطراف

متحاربة ومتصارعة ، لاتدار عادة على ارضية الموقف السياسي التعبوي الذي تحاكى من خلاله البيئات الشعبية والسياسية التي تحيط بالطرفين المتفاوضين ، وانما تدار على ارضية موازين القوى السائدة في لحظة احتدام الصراع وفي ضوء محصلة نتائجه التي ترتسم على الارض. وبالنظر للواقع الذي يسود حالياً حيث تدور مفاوضات بين الكيان الصهيوني وادارة الحكم السوري ، فإن النتائج التي تتمخض عنها المفاوضات لاتتحكم بها البلاغة الكلامية للمتفاوضين وانما مؤثرات موازين القوى القائمة ، وبالتالي فإن المحصلة السياسية ستكون في مصلحة من ترجح كفته ،وهي في ضوء المعطيات القائمة إنما هي في مصلحة العدو الصهيوني.

اذاً ، ان الذهاب الى اتفاق تسوية او اي مسمى اخراً مع العدو ، لن يسفر عن نتائج ايجابية ، لا لمصلحة سورية وقضيتها الوطنية ولا لمصلحة الامة وقضيتها القومية.ففضلاً عن كون الدخول في مفاوضات مع الكيان الصهيوني وهو المغتصب للارض ينطوي على اعتراف بوجوده ، وهذا ما يعتبره العدو مكسباً كبيراً في اطار الصراع الذي يعود بالزمن الى اكثر من القرن وهو سيبقى مفتوحاً على المستقبل طالما بقي محكوماً بطبيعته الاصلية التي تتجاوز الحدود المرسّمة بين الكيانات ، الى صراع الوجود بين مشروعين لاتستقيم الحياة لاحدهما الا بنفي الاخر.

اذاً ،ان اولى مكاسب العدو من الدخول في مفاوضات عربية وايا كانت الجهة العربية المفاوضة ، هو الاقرار من الطرف العربي المفاوض "بشرعيته" ، وهذا الاعتراف "بشرعية" الكيان الصهيوني ، يعني الاعتراف بشرعية احتلاله للارض وما يترتب عليها من نتائج. وبهذا الاعتراف يكون العدو قد طوى صفحة المرحلة التي كان فيه الموقف الرافض للاعتراف "بشرعيته" يشكل الاساس الذي تتمحور حوله المواقف التي تعتبره كيان احتلال ، وبدأ التأسيس للمرحلة التالية التي تنطلق من الاعتراف بوجوده ككيان شرعي الى التسليم بما تفرزه موازين القوى من نتائج ومنها الاحتلال لاراض تقع خارج ما حدده القرار الدولي بتقسيم فلسطين الى نطاق دول تخومها .

ان الاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني ، يعني التنازل عن الحق الوطني الفلسطيني والحق القومي بفلسطين ، وان القبول بالتفاوض معه على المكاسب الجديدة التي حققها على الارض ، يعني التسليم له بحقوق خارج النطاق الجغرافي فلسطين. ومن يقف على حقيقة مايضمره العدو تجاه الارض التي يمسك بها بواسطة قواته العسكرية ، لايحتاج الى كثير عناء ليكتشف انه يتعامل معها على اساس القضم والهضم .

إن الذهاب الى مفاوضات مع العدو الصهيوني وموازين القوة ترجح

لمصلحته ، يعني ان الذاهب اليها وهو في الموقف الاضعف سيكون حكما هو الخاسر . وهذه التنازلات لاتقتصر على جانب واحد وانما تتناول الجوانب السياسية والاقتصادية والامنية. وعندما يستطيع العدو انتزاع تنازلات في كل مايطرح على الطاولة ، فمن الطبيعي ان تمتد تأثيراتها الى مفاصل الحياة على مساحة الكل الوطني .

ان سورية الذاهبة الى المفاوضات مع العدو او المستدرجة اليها ، هي امام مخاطر اقتطاع مساحات من ارضها الوطنية والحاقها بكيان الاحتلال في حده الاقصى ، أو اخضاعها لترتيبات امنية تكون في مصلحة العدو في حدها الادنى ، وفي كلتا الحالتين ، فإن هذه الاراضي لن تكون للدولة السورية سيادة عليها. هذا من جانب ، اما من اخر ، فإن ادارة الحكم في سورية اذا كانت تعتقد ان الذهاب الى تسوية مع العدو سيخفف من الاختناقات الاقتصادية ، فإن هذا الاعتقاد ليس في محله ، لان الدول التي سبقت سورية ووقعت اتفاقيات مع العدو ، لم تشهد ازماتها الاقتصادية حلحلة وانما ازدادت شدة ، وباتت ترخي ظلالها الثقيلة على كل مناحي الحياة وتجربة مصر نموذجاً. ولذلك فإن الخطوات السريعة التي اتخذت لرفع العقوبات عن سورية بهدف اعادة تأهيلها اقتصادياً واعادة اعمارها لن تكون دون اثمان ، بدءاً من رهن الاقتصاد السوري الى الصناديق الدولية ،الى اعادة هيكلة الاقتصاد السوري وفق شروط ومتطلبات البنك الدولي للاستثمار وصندوق النقد الدولي ، وصولاً الى تحرير السوق واخضاعه لقواعد العرض والطلب.

اذاً ، ان ادارة الحكم في سورية الذاهبة الى المفاوضات في ظل المعطيات القائمة ، لن تجعلها في الموقع الذي يمكّنها من رفض الاملاءات التي ستفرض عليها. فهي فضلاً عن تنازلها عن حق الدولة السيادي لقبولها بالترتيبات الامنية التي تلبي الحاجة الصهيونية اولاً واخيراً ،فإنها ستكون مرغمة على التسليم بسلة الشروط التي ستفرض عليها خاصة تلك المتعلقة بالثروة المائية و بما بالثروة النفطية والغاز في البر والبحر ، وكل هذا يندرج ضمن مايعرف بالحقوق السيادية تعلق الامر بالارض او بثروة البلاد الطبيعية. وهذا حق حفظت الدساتير للشعب حق التقرير بشأنه، وإن اية سلطة لايمكنها التقرير في هذه المصائر دون العودة للشعب. والمحظور الذي وقعت فيه ادارة الحكم في سورية انها لم تعد الى الشعب للوقوف على رأيه قبل ان تقرر الذهاب الى مفاوضات مع العدو بشأن قضايا وطنية يعتبر كل مواطن انه معني بها لتعلق الامر بامنه الوطني والمجتمعي ، ويقيناً انه لو ذهبت السلطة الجديدة للوقوف على رأي الشعب ، فجوابه سيكون لا قوية لمفاوضات مع العدو تسفر عن تنازلات تمس الامن الوطني واستطراداً الامن القومي. ودليلنا الى ذلك ،

إن شعب سورية ورغم الاوضاع الصعبة التي يعيشها ، سيقول ، لايريد ان يمحي من تاريخه محتوى الصفحات المضيئة في مقاومته للمشروع الصهيوني وفي تثويره للشارع العربي انتصاراً لقضاياه القومية وفي الطليعة منها قضية فلسطين. وبالتالي فهو حريص ان يبقى محافظاً على سمته الاساسية ، سمة الشعب القلق على امته كما وصفه بها الاستاذ صلاح البيطار وان تبقى سورية عصية على التطويع والتطبيع.

عندما تقول سورية ،لا ، لمفاوضات لن تنتج الا استسلاماً، ستبقى جذوة الصراع الوجودي مع العدو الذي يسعى لاقفاله على قاعدة شروطه مفتوحاً ، الى ان تتغير المعطيات وتبرز موازين قوى جديدة تمكّن سورية ومعها الامة العربية من استعادة التوازن والارجحية لمصلحة المشروع القومي . فالأمم التي لن تستكين في حراكها ، سَتُبْقي قضية الدفاع عن وجودها وهويتها ، قضية محركة لشارعها الشعبي الذي يقوى عضده بقدر ما تتحول قضاياه المصيرية الى قضايا رأي عام على المستويين الوطني والقومي. وأنه لا سبيل لاسقاط "النعم" التي ستفرض على المفاوض السوري مع العدو في ظل موازين القوى السائدة واستبدالها ب لا ، للتطبيع ، الا بتحويل هذه القضية الى قضية رأي عام وهو العامل الاكثر تأثيراً في تحديد الخيارات الوطنية والسياسية .

إن نداءنا الى شعب سورية ان يتعامل مع قضية رفض ومقاومة التطبيع باعتبارها قضية رأي عام تمس امنه الوطني وهذا ديدنا به ، وهذا بقدر مايؤدي الى ثبات في الموقف ببعده الوطني والقومي ، فأنه يحدث ارتجاجاً في بنيان كيان العدو ويبقيه في قلق دائم وهو الذي يشهد التحولات الكبرى في الرأي العام الدولي ضده ولمصلحة فلسطين وقضيتها الوطنية.

"عفوك شعب سورية العظيم "، انت كنت وستبقى الشعب القلق على امته ، وانت الذي لاتقبل الا ان تكون دمشق قلب العروبة النابض ، ننتظر منك اطلاق ،لا ،قوية للتطبيع ايا كانت عناوينه ومسمياته نظراً لكون الاثمان التي ستدفع برفض التطبيع ستبقى اقل بكثير من تلك التي ستدفع في حال السير بخطواته.

فيا شعب سورية كنت صمام الامان للامة ويجب ان تبقى.

محرمات التعامل مع إسرائيل

جسام أمين

العالم العربي والساحة السورية بالذات لا تتحمل مزيداً من العبث واللعب بالنار والاستهتار بمصير البلاد والعباد والتحدث عن علاقات مع إسرائيل وكأن هذا العدو أصبح هو البلد الشقيق الجار الطيب ..

فقد برزت في الآونة الأخيرة ظاهرة التعاطي مع إسرائيل علناً او مباشرةً والبعض منهم اما زار الأراضي المحتلة واما التقى مع إسرائيليين وأما أقام معها أعمال مخلة بالامن الوطني ومنافية لحقوق السوريين وامن العالم العربي ...

ومؤخرا هناك من رفع علم إسرائيل وخاصة في السويداء وفي الحسكة ومن جماعات قسد ومسد او صلى على موتى جنود اليهود الذين قتلوا في غزة او من بالغ حتى في ركعات الصلاة على امواتهم وفي محارقهم المزيفة وكما يدعون واضاف عليها حركات منافية للدين والادب ...

هذا البعض يحاول الآن لملمة عناصر اخرى تدعي الوطنية للمشاركة او التعاون مع إسرائيل في شؤون بلادهم او قضايا تمس الشعب العربي او قضية فلسطين او الحرب العدوانية على غزة التي تجاوزت كل حدود الحقد والعقل أو الاعتداءات المتكررة على سوريا في الوضع السياسي الجديد بعد هروب الأسد ..

ان هذا التوجه او السعي إلى ما يسمى بحل المشاكل في المنطقة او حرب غزة او الأزمة السورية المعقدة لهو اللعب بالنار ...

ان إشراك إسرائيل في التعاطي مع الشان العربي يمس الأمن الوطني والقومي هو خط أحمر غير قابل للتصرف من اية جهة كانت مهما كان موقعها أو سياستها ...

ان الاستعانة باسرائيل لتنظيف كما يدعون الأراضي السورية من ايران والعجم جريمة مخلة بالشرف وقد لاحظنا مؤخرا كيف يتحرك وزير خارجية احمد الشرع الشيباني وكيف (ينطوط) من عاصمة إلى عاصمة لعله يعثر على مسؤول اسرائيلي ويظهر أمام الكاميرات في طوله وعرضه وكأنه يعثر على دالته مزهواً بشكل مريب ...

أن تحرير سوريا من عصابات الأسد واخراج سوريا من محنتها لا تحتاج الى مثل هذا الثمن السخيف ومسؤولية حكام سوريا في هذه المرحلة هو العمل على نقل سوريا من حالة التمزق والحاجة إلى الآفضل والى العمل والبناء ووحدة الناس ووحدة البلد ..

العدو هو العدو لن يتغير التعاطي معه باي ظرف وباي مرحلة وبأي درجة من الدرجات...

أننا نحذر هذه القوى او الدول او هذه العناصر بالكف عن ممارسة هذا التصرف المتهور ...

وبخلاف ذلك سنلجأ الى فضح مثل هذه القوى وكشف دورهم الشرير بلا مجاملة أو تردد ...

لن ينجح مثل هذا البعض في سلوكه المنحرف وعليه مراجعة السلوك والضمير لعل تأتي الصحوة لمصلحة سوريا الوطن ومصلحة العرب...!!

من يوسف العظمة فصدام حسين...
الحرب مستمرة....!؟

أ. د. عز الدين حسن الدياب
أستاذ جامعي - دمشق

أن تهوى التاريخ بقراءته، فتلك نزعة من يريد توجيه الأسئلة للتاريخ والاستفسار منه، على قضاياه وأحداثه وواقعاته الصغيرة والكبيرة، متقصداً فهمها وأسبابها القريبة والبعيدة، وخلفياتها الثقافية والسياسية،وأهدافها، والنتائج التي تمخضت عنها. ونحن نحاول قراءة واقعة في حياتنا العربية نعود لابن خلدون، للذكرى يوم أتى في كتاباته طالباً من التاريخ، ان يسجل واقعة كبرى في حياة الأمة العربية، هي حكاية زوال دولة الأندلس، وفي هذه الحالة لا نأخذ كلّ ما دونه وما قاله من فكر، وإنما نأخذ طريقته في معالجة قضايا التاريخ، تاريخنا العربي، فبهذه الوجهة المنهجية، نأتي إلى واقعة في ذلك التاريخ، من اجل ماذا؟

ذلك السؤال،وجهه أستاذنا ابن خلدون، فقلب صفحات التاريخ بشأن العرب والبربر، ومن في معيتهما، باحثاً ومنقباً بالأسباب التي أدت إلى أن يطوي الغرب الأوروبي صفحة عربية،تخوف منها، عندما عرف من تعينات الحضارة في الأندلس الأموي العربي، عبقرية هذه الأمة بما أعطته في سهول الأندلس وجباله ومدنه، من حضارة ورقي حضاري، ومن أن الإنسان في الأندلس كان امتداداً لأمة عربية، كانت فاتحة للتاريخ من أجل مدرسة عربية إنسانية، منقادة بدليل عملها، الإسلام رسالة خالدة، الذي كتب على جبين هذه الأمة، بأنها أمة الإنسان أين خلق، وأين وجد، بكل حقوقه واختياراته، من شعار شكل قلادة مدلاة على صدره:"

لا فرق بين عربي وأعجمي إلاّ بالتقوى،والتقوى في أبجدياته، أن يتمم للإنسانية مكارم الأخلاق.

من هنا نبدأ من بطاح الأندلس، وصولاً ليوسف العظمة فصدام حسين، والعدوانية الغربية الوليدة من عقلية متخلفة، خافت على مصالحها، وجعلت الدين ستارة تختمي وراءها محرضة، باسم حروب صليبية، ضد الأمة العربية، وماهي بحروب صليبية، هي حروب فرنجة تقودها مصالح اقتصادية، دفاعاً عن الذات التي سبقها التاريخ، في حضارة العرب الأموية.

ونترك لابن خلدون ما جرى، فقد قرأناه على صفحات التاريخ، مدفوعاً بوازع قراءة التاريخ، ولكن هذه المرة من يوسف العظمة فصدام حسين.

ولِم هذا التاريخ تحديداً لانّه يدلنا ويرشدنا، إلى توحّد وتكامل العدوانية الغربيّة، مع الحركة الصهيونية الباحثة عن دور حضاري لها، في الوطن العربي، لاستبدال عروبة جغرافية، هذا الوطن بهوية صهيونية تسير خطوة خطوة نحو دولة صهيونية منقادة بشعار "الشعب المختار" التي ترسم صورته الوحشية العبودية، أساطير التلمود، وما زادت صورته قبحاً وإجراماً الفكر الصهيوني الوليد في البيوت المالية الصهيونية، الساكنة في الجغرافيا الأوروبية، ولأن فيه إستشراف واستطلاع لما ستحدث من واقعات، في ظل أنظمة عربية مهزومة ومسلوبة من إرادتها، كما كان الحكام أيام الأندلس، فضاعت الأندلس كما يريد حكام هذا اليوم إضاعة

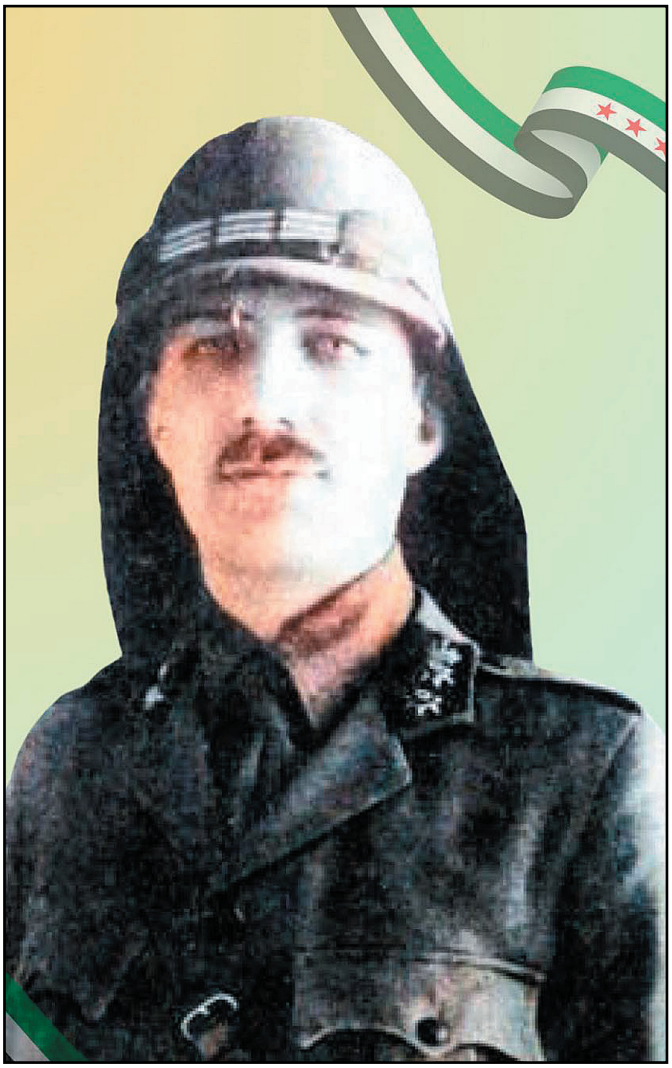

فلسطين،بقنابل موقوتة تتفجر من يوم لآخر اسمه التطبيع والاعتراف بالمشروع الصهيوني المتمثل بالكيان الصهيوني في فلسطين، كقاعدة عسكريةٍ صهيونية متقدمة، وصولاً لاسرئيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات، فإذا كانت مُوقعة ميسلون بقيادة يوسف العظمة، بداية انكسار البطولة، على جغرافية بلاد الشام، وما تلاها من ضربات موجعة، أوقعتها الصهيونية في مواجهة مواقع التقدم الحضاري على طريق الوحدة العربية، في أكثر من قطر عربي، تظهر على محياه عناوين للثورة العربية، منقادة بشعار استراتيجي حضاري "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة." فإن العدوان الأطلسي على عراق الأمة العربية بقيادة صدام حسين، أراد أن يكون انكسار الأمة العربية من يوسف العظمة إلى صدام حسين الخطوة الثانية على طريق إسرائيل الكبرى، التي بدأت بالتطبيع بين أنظمة الخليج العربي، والمملكة المغربية، وما خفي أعظم، نشاهده ونراه ونقرأه في الابراهيمية، والمال الخليجي الذي يقود التغيير في الوطن العربي على طريقِ التطبيع وثقافته الصهيونيةِ، والقضاء على نصر طوفان الأقصى،الذي بشرنا بعهد بطولة عربية جديد، يقوده جيل عربي جديد، يؤمن بأنّ الحياة العربية لن تبلغ المجد، إلا إذا أعاد طوفان الأقصى بطولاته في كل الوطن العربي.

"مهداة إلى الشهيد مصطفى قصي، الذي كنت أرى فيه الوريث العضوي "البيولوجي" لجدِّهِ الشهيد صدام حسين."

هي أزمة الدروز - العشائر العربية في السويداء أم إخفاق الدولة الحديثة في النظام الإقليمي العربيّ في ترسيخ مجتمع اندماجي بهوية وطنية أصيلة؟

أ. د. محمد مراد

إن ما تعرضت له أقطار عربية عديدة بدءا من احتلال العراق في العام ٢٠٠٣، مرورا بسلسلة الحروب الأهلية التي ما تزال مفتوحة في غير قطر عربي منذ مطلع العشرية الثانية للقرن الحالي، وصولا إلى حرب التدمير والتجويع والإبادة التي ما زالت تشنها العدوانية الصهيونية - الأطلسية على غزة والضفة الغربية ولبنان وسوريا. هذه الحروب ما كانت لتستمر لو لم يلعب فيها الخارج الدولي والإقليمي على ورقة افتعال وتغذية الانقسامات المجتمعية بين الاثنيات الطائفية والمذهبية والعرقية والجهوية. كل ذلك جاء لينذر، ليس فقط مستقبل الدولة القطرية المعاصرة في وجودها، وانما ليفتح الجغرافية السياسية العربية برمتها على ترسيمات كيانية اجتماعية وسياسية جديدة من خلال التوسع في عمليات التفكيك والتجزئة على أساس هويات متغايرة، تأخذ تعبيراتها الثقافية والسياسية في إطار دويلة - الطائفة الغالبة أو المذهب الغالب أو العرق المتجانس أو العشيرة النافذة.

ثمة سببان هما الأكثر تأثيراً وفعالية يكمنان وراء دوامة الأزمات العربية منذ ما يزيد على القرن من الزمن. الأول: التدخل الخارجي الدولي والإقليمي مدفوعاً بنزوع جامح للهيمنة والإلحاق والاستئثار بالخصوصيات الجيوسياسية للوطن العربي وثرواته الهائلة، والثاني: إخفاق الدولة الحديثة والمعاصرة في النظام الإقليمي العربي في وظيفتها البنائية في تعزيز الوحدة المجتمعية القائمة والتأسيس لمجتمع اندماجي متماسك يقوم على مرتكزات المواطنة والديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

اولا: في الدور الخارجي

جاءت الحرب العالمية الاولى(١٩١٤- ١٩١٨) لتفتح المجال العربي أمام مرحلة جديدة انتقلت معها الرأسماليات الأوروبية المنتصرة في الحرب من مرحلة تأمين البيئات الدافئة لاختراقها السلطنة العثمانية في السابق، إلى ترجمة تنفيذية لمخططاتها الاستعمارية في توليد نماذج لدول عربية حديثة مفصلة على قياسات مصالحها الاستراتيجية في التوظيفات الجيوسياسية من ناحية، وبما يستجيب للتراكمات الخطية المستمرة لاقتصادها الرأسمالي من ناحية أخرى.

في أيار/ مايو (١٩١٦) رسمت اتفاقية سايكس - بيكو الجغرافية السياسية لواقع عربي جديد تحت السيطرة المباشرة للثنائي الرأسمالي الأنكلو - فرنسي . وفي مؤتمر " سان ريمو" سنة ١٩٢٠، انتزعت الدولتان بريطانيا وفرنسا تفويضا من المؤتمر يتيح لهما السيطرة المباشرة على المشرق العربي تحت صيغة " الانتداب" التي لم تكن سوى صيغة ملطفة للاحتلال والاستعمار.

تقدم سياسة الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان نموذجاً عن الممارسة التفكيكية والتجزيئية للدولة المنتدبة اي فرنسا. ففي رسالة بعث بها الرئيس الفرنسي "الكسندر ميللران" إلى مفوضه السامي في سوريا ولبنان الجنرال " غورو " مؤرخة في ٦ آب ١٩٢٠، اقترح فيها صيغة بديلة للدولة السورية العربية التي قامت في عهد الملك فيصل. إذ قال "ميللران" إن النظام الذي يستجيب بصورة أفضل لمصالح سوريا ومصالحنا أيضا هو سلسلة دول مستقلة جمهورية الشكل تتناسب مع تنوع الأعراف والديانات والحضارات، وتتحد في فيدرالية تحت السلطة العليا للمفوض السامي مثل الدولة

المنتدبة، وبذلك لا تكون الوحدة وحدة إدارية مركزية بل وحدة إقتصادية وجمركية ومالية".

أما " غورو" فقد رأى أن تأمين السيطرة الفعلية على سوريا ولبنان إنما يكون في إضعاف دمشق ومحاصرتها من الخارج. وأن الوسيلة العملية لتحقيق مثل هذا الإضعاف تكون في فك ارتباط دمشق عن حلقات تأثيرها الأساسية في مراكز المدن الكبرى (حلب، بيروت، طرابلس) ذات الطابع الإسلامي الغالب، والتي يمكن أن تشكل مع دمشق قوة إسلامية حقيقية لها وزنها في مواجهة السياسة الفرنسية. لذلك، كانت وجهة نظر " غورو" تقوم على عملية القضم التدريجي لاحتواء المعارضة انطلاقاً من الأطراف وصولا إلى المركز. فاعلان دولة " لبنان الكبير" يحسم الوضع في مدينتين مهمتين هما بيروت وطرابلس، والخطوة التالية تكون في فصل حلب، وبذلك تعزل دمشق عن عمقها الإسلامي في هذه المدن، وتتحول إلى موقع ضعيف من حيث الفعالية والتأثير في مواجهة المخططات الفرنسية.

من هنا، اقترح " غورو " أن تنحصر التجزئة في ثلاث أو أربع دول فقط، ويقول بهذا الصدد :" وعلى العكس، فإنه من السهل الإبقاء على التوازن بين ثلاث أو أربع دول كبيرة يتيح لها وضعها أن تكفي نفسها بنفسها، ويساعدنا عند الحاجة على تأليب بعضها على البعض الآخر". وقد خلص الحوار بين " ميللران" و " غورو" إلى إعطاء الأخير صلاحية تنفيذ المخطط الفرنسي، فأصدر سلسلة من القرارات قضت بإنشاء مجموعة من الدويلات على أسس اثنية طائفية غالبة، وكانت على التوالي: دولة لبنان الكبير، دولة العلويين، دولة حلب، دولة دمشق ودولة جبل الدروز.

ارتكز السلوك الانتدابي الفرنسي إلى مبداين متناقضين من منظار المصلحة الوطنية والقومية لسوريا ولبنان، لكنهما متلازمان من حيث الهدف والنتيجة من منظار المصلحة الاستعمارية الفرنسية، الأول: مبدأ التجزئة السياسية والفصل السياسي بين المناطق، والثاني : مبدأ التوحيد الإقتصادي بقيام نوع من الكونفدرالية الاقتصادية بين سائر الدويلات من حيث النقد والجمارك والتجارة بين الأسواق الداخلية والخارجية.

جاءت الثورة السورية الكبرى التي انطلقت من جبل الدروز (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) لتقدم الدليل الساطع على نضالات الشعب في سوريا من أجل استعادة

وحدته الجغرافية والاجتماعية والسياسية والوطنية، وتأكيد هويته العربية الأصيلة في الانتماء إلى أمة عربية واحدة لها تاريخها الحضاري وعطاءاتها الإنسانية.

واذا كانت حركة المعارضة للانتداب الفرنسي قد تشكلت من قوى اجتماعية نشأت أساسا في المدن الكبرى (دمشق، حلب، بيروت وطرابلس)، فإن هذه الحركة ظلت مقصورة على العمل السياسي وفي إطار الطروحات السياسية، ورفع مذكرات الاحتجاج والبيانات وعقد المؤتمرات. وقد كان من الطبيعي أن تشكل المدن السورية واللبنانية محور النضال السياسي ضد الانتداب الفرنسي في وقت كان فيه الريف الزراعي ما يزال يعاني من تخلف عام بسبب سيطرة العلاقات الاقطاعية المستمرة من المرحلة العثمانية الطويلة.

وثمة سبب آخر أسهم في تبوء المدن مركز الصدارة في العمل السياسي يكمن في أن ممارسات الاحتلال كانت تبدو أكثر وقعاً في المدينة، حيث أجهزة الإنتداب وشركاته ومؤسساته وسائر الأدوات التابعة له. في حين ظلت الأرياف الزراعية، لاسيما في المناطق الجبلية (جبل الدروز، جبال العلويين، جبل عامل، الريف الحلبي..) بعيدة عن الاحتكاك المباشر بمراكز تجمعات الانتداب وأجهزته.

بيد أن التشريعات العديدة التي أصدرتها سلطات الإنتداب لتنظيم الملكيات العقارية، والتي لم يكن الهدف منها سوى تكريس الملكيات الكبيرة لكبار الإقطاعيين وتجار المدن، انعكست مباشرة على واقع الفلاحين في الأرياف، وأضفت على حرمانهم طابعاً قانونياً وحقوقياً. ومما زاد في أزمة الأوضاع الفلاحية كانت التجزئة السياسية التي اعتمدتها فرنسا في إقامتها عددا من الدويلات شكلت نوعاً من العزلة ليس بين المناطق الريفية والجبلية وحسب، بل أيضا بينها وبين أسواقها التقليدية في المدن. حيث كان يجري تصريف الفائض الإنتاجي عبر وسطاء من تجار هذه المدن. فقد أحدثت التجزئة شللا في حركة المبادلات الداخلية، وأضرت بعلاقات السوق التي انعكست انخفاضاً ملحوظاً في

تصريف الكميات المنتجة في الأسواق الداخلية. ففي جبل الدروز شهدت عمليات التفاعل مع اسواق المدن تراجعات حادة، الأمر الذي جعل الجبل الدرزي أن يكون سباقا في إعلان الانتفاضات والثورة. إلى جانب انتفاضات أخرى مماثلة في جبال العلويين(صالح العلي)، في حلب (ابراهيم هنانو)، وجبل عامل (ادهم خنجر)، وانتفاضات عديدة في حوران والبقاع وعكار وغيرها.

أكدت هذه الانتفاضات على دور الأرياف الزراعية والجبلية في مجابهة الانتداب الفرنسي، ورفض مخطط التجزئة القائم على الفصل السياسي بين المناطق على أساس من الفرز الطائفي والمذهبي والجهوي. واستمرت حركات المقاومة الشعبية للانتداب تشهد مزيداً من التصاعد والإرتقاء في أساليب عملها حتى كانت الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) التي أكدت على قيام محور سياسي وعسكري التقت عنده جميع الفصائل الوطنية السورية على تحرير سوريا واستعادة وحدتها السياسية والوطنية مع رفضها بقوة لمخطط التفكيك والتجزئة واصطناع الحدود الفاصلة بين مناطقها المختلفة.

صحيح أن الثورة انطلقت درزية، ولكن الصحيح أيضا أنها تجاوزت الخصوصية الطائفية وأخذت منحى وطنياً عروبياً قومياً. فراحت تضع المطالبة باستقلال سوريا واستعادة وحدتها كاملة من غير المطالبة باستقلال الجبل الدرزي وحده.

أما أبرز الأهداف التي رسمتها الثورة فكانت أربعة محورية:

١- وحدة البلاد السورية، ساحلها وداخلها، وانتزاع الإعتراف بدولة سورية عربية واحدة، ومستقلة استقلالاً تاماً.

٢- قيام حكومة شعبية تجمع مجلساً تأسيسياً لوضع دستور يقرر سيادة الدولة السورية الواحدة الموحدة.

٣- سحب القوى الفرنسية من جميع البلاد السورية، وانشاء جيش وطني لصيانة الدولة وحمايتها.

٤- تأييد مبدأ الثورة الفرنسية التي نادت بالحرية والإخاء والمساواة.

تركت الثورة نتائج بالغة الأهمية، حيث كانت منبها للسياسة الفرنسية المعتمدة في الدويلات السورية ولبنان الكبير، الأمر الذي دفع بأرباب تلك السياسة إلى

إجراء تعديلات معتبرة في السلوك السياسي المعتمد، بحيث تم الإعلان عن نهاية الحكم العسكري الفرنسي المباشر، واطلقت مرحلة جديدة من الحياة الدستورية تمثلت بتشكيل اللجنة التأسيسية لإعداد الدستور

السوري، وفتح الطريق امام قيام الكتلة الوطنية السورية التي قادت النضال الوطني حتى تمت إستعادة الوحدة السياسية الوطنية للدولة السورية الواحدة في العام ١٩٤٢. اي بعد نحو من اثنتين وعشرين سنة على التجزئة وقيام الدويلات والفصل بين المناطق..

ثانيا:الاقليات في الدولة الاستقلالية العربية بين التهميش وغياب مشروع الإندماج الوطني

في ظل الدولة الاستقلالية التي ظهرت في الوطن العربي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، كانت، وما زالت، قضية الأقليات تمثل أحد أبرز القضايا والمشكلات التي لم تلجأ أنظمة الحكم الأوتوقراطي والعسكري العربية إلى اعتماد سياسات وطنية ناجعة لمعالجتها، والعمل على تحويلها من مشكلة رابحة في التوظيفات الخارجية الدولية والإقليمية المدفوعة بأطماع السيطرة والهيمنة والتغول،الى ظاهرة اندماجية وطنية في الاجتماع الوطني السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.وباستثناء القرار التاريخي الذي اتخذه الحكم الوطني في العراق في ظل ثورة ١٧-٣٠ تموز والتي منحت الاكراد حكماً ذاتياً وكان من بين الانجازات العظيمة التي حققتها تلك الثورة فإن قضية الأقليات لم تعرف المعالجة المطلوبة، فقد ظلت تعكس أزمة بنيوية في غير قطر من الأقطار العربية. أزمة تعود بصورة أساسية، إلى تنكر السلطات الحاكمة لخصوصيات الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية، اللغوية والتراثية والثقافية. خصوصيات اكتسبتها تاريخياً في منطقة هي مهد الأديان السماوية وتعدد الثقافات والحضارات التي أسهمت، عبر تفاعلها، في نسج علاقات مشتركة أهمها وأعلاها رابطة الثقافة والوعي بهوية وجودية عربية واحدة.

إن المشكلة بين الاثنيات التعددية في الوطن العربي، لم تخرج عن إطار المفهوم الحسابي الرقمي الذي اعتمدت على أساسه التوزيعات الرأسية للسلطة الحاكمة للدولة (رئاسات الجمهورية والوزراء والنواب). وكذلك، انسحاباً على سائر مفاصل الإدارة والهياكل المؤسسية للدولة ومرافقها العامة. فالمشكلة تكمن أولا واخيرا، في تغييب الديمقراطية كأساس في المشاركة بين مواطني الدولة بدءاً

من حرية التعبير، والحق في الإقتراع، وفي تأليف الجمعيات والمشاركة في الموارد العامة، وانتهاءً بالحضور الفعلي في السلطة على كل مستوياتها الهرمية، وفي اجهزتها التقريرية والتنفيذية.

في الدولة الاستقلالية العربية، ظلت قضية الأقليات من دون مشروع وطني للمعالجة من جانب النخب السياسية التي تبوأت السلطة في غير قطر عربي. الأمر الذي سهّل للخارج الدولي والإقليمي الى استثمارها لتقسيم المُقسَّم وتفتيت المجتمع بهدف تحويلها من كونها قضية أقليات وحسب، إلى مشكلة بنيوية مجتمعية .

لقد أخفقت النخب التي تولت قيادة الدولة الاستقلالية العربية في اعتماد استراتيجية مراحلية تقوم على مبداين متلازمين: الاول، تطوير آليات الديمقراطية كمنهج ثابت في الممارسة العملية على مستوى المشاركة في الحياة السياسية للدولة، والثاني، في رعاية حرية التعبير عن الآراء الفكرية والثقافية والتشكيلات الحزبية والنقابية التي تعزز وتعمّق الإندماج المجتمعي لسائر التركيبات الإثنية في إطار الدولة الوطنية الجامعة.

ان العائق الأكبر الذي حال دون صياغة مفهوم عربي معاصر يعمّق التماسك المجتمعي ويمنع حدوث الفجوة التي يسعى اليها المستعمر بين التعدديات الإثنية الطائفية والعرقية والجهوية، يتمثل في ثقافة السلطة التي اقتبستها النخب العربية سواء في أواخر المرحلة العثمانية أم في ظل الدولة الحديثة تحت السيطرة الأجنبية وبعدها في مرحلة الدولة الاستقلالية المعاصرة.

ذلك أن هذه النخب التي استقت ثقافتها من الجامعات الأجنبية، ظلت تعتمد نماذج الحكم التسلطي كاليات ثابتة في الممارسة الديمقراطية داخل الدولة. فلم تتعامل هذه النخب مع الديمقراطية بوصفها مشاركة سياسية على عدة مستويات، لا مجرد عملية حسابية. الأمر الذي جعل الإغتراب في الثقافة السياسية ينتهي إلى اضطراب في البحث عن الأصالة. اي التوفيق بين التراث والتحديث ضمن سياقٍ ذاتي في التغيير الذي يبقى فاعلاً أساسياً في تواصل عمليات الإندماج الوطني الجامع، السياسي والإجتماعي، وفي الإرتقاء بالهوية والوعي والإنتماء إلى الدولة الديمقراطية والعادلة.

جريمة الرابع من شهر آب

متى تنتهي التحقيقات ويصدر القرار الاتهامي؟

تنقضي الايام والأسابيع والشهور سريعاً وكأن جريمة تفجير مرفأ بيروت حدثت غداً ولم يمر عليها حتى تاريخة خمس سنوات بالتمام والكمال سعت خلالها منظومة الفساد اللبناني إلى الحدّ من ارتداداتها الشعبية والأخلاقية بكل ما امتلكته من أساليب رخيصة والتفاف على التحقيقات في تجاوز سافر للقوانين وَضَعَها مجدداً في دائرة الشك والمسؤولية الكاملة عمّا حصل في الرابع من شهر آب ٢٠٢٠ الساعة السادسة وسبع دقائق مساء ذلك اليوم المشؤوم من تدمير لنصف مدينة بيروت ولم تزل أسبابهً تنحو حتى اليوم إلى فرضيات بينما تتقاذف حقائق ما حصل بصماتٌ مشبوهة لأطراف سياسية من داخل المنظومة لم تكتفِ بتعطيل سير التحقيقات وتكبيل صلاحيات المحقق العدلي في الجريمة وانما عمدت إلى شق صفوف ذوي الضحايا وجعلت من بعضهم طرفاً يواجه الآخر ويرفع من مستوى تدخّل مشغّليهم إلى الادّعاء على المحقق واعتباره خصماً وليس شخصية معنوية سيادية على الجميع تسهيل ما هو مكلّف به من مهمة قضائية ويقوم بواجباته ازاءها بكل مهنية واستقلالية وضمير.

في الرابع من آب لهذا العام، ينتظر ذوو الشهداء والجرحى والمتضررين من جريمة المرفأ ما سوف تؤول اليه استجوابات المحقق العدلي الذي عاد إلى مكتبه من جديد متسلّحاً بقانون استقلالية القضاء الذي أقرّه المجلس النيابي مؤخراً وعهد وحكومة جديدين واعتقاد لبناني عارم مفاده ان

نبيل الزعبي

اي طمس او تمييع للحقيقة وتهرّب من المسؤولية لن يقتل الضحايا مرتين وحسب وانما سيقتل ايضاً كل أمل يعلقه اللبنانيون على محاسبة المسؤولين عن هذه الجريمة التي تبيّن مع الساعات الاولى لحصولها انهم كانوا متقاعسين عن سابق تصوّر وتصميم ان لم يكونوا متآمرين على سبيل الافتراض وحسب في القيام باي تحرّك لمنعها منذ بدء دخول الباخرة المشبوهة إلى مرفأ بيروت ، إلى تخزين الكميات الضخمة من نترات الأمونيوم داخل احد الهنكارات دون اية إجراءات وقائية تسببت في الحريق الهائل الذي تنصّل الجميع من مسؤولياتهم إزاءه رغم إهمالهم وتقصيرهم الفاضح واقرار اكثر من مرجعية رسمية فيهم بذلك .

لقد آن لذوي الضحايا والشهداء وكل المتضررين من جريمة مرفأ بيروت مع حلول الذكرى الخامسة لها ، ان تُسكّن آلامهم النفسية وتُبرّد مشاعرهم القلقة على هدر حقوق ابنائهم وراحة انفسهم في عليائهم فلا يكفي إعلان الحداد الرسمي عليهم هذا العام

وان يقام لهم نصبٌ تذكاري من هنا او إبقاء اهراءات القمح المدمّرة على حالها من هنالك وان إيفاء حقوقهم لن تكون سوى في كشف الحقيقة كاملةً : من ادخل نيترات الأمونيوم إلى المرفأ ولمصلحة من ، ولماذا كل ما اعترى عمليات تخزينها من استهتار ، وما هي مستويات المسؤولية على كل متسبّب

ومتواطئ ومتورّط ومقصّر بدءاً من اصغر خفير ومخلّص جمركي واجهزة امنية وعسكرية في المرفأ وصولاً إلى اعلى مسؤول في البلد والمعني هنا رئيس الجمهورية السابق وما بعده من رؤساء حكومة ووزراء ونواب وقضاة ، بعضهم من امتثل للتحقيق ومنهم من رفض وشكّك بالمحقق وآخر لم يزل يمتنع متمترساً بحصانته النيابية والوزارية وكل الرهان اليوم انما هو على جرأة المحقق العدلي رغم كل ما تعرّض له من تشويه سمعة وتشكيك ومحاولات لعزله وبقي مصرّاً على تطبيق القوانين واعتبار كل من يطالهم التحقيق سواسية امام العدالة والقوانين .

هذا المحقق ، تُرفَعُ له قبّعة الاحترام اليوم لكل ما تمتّع به من استقلالية وجرأة ومناقبية قلّ نظيرها في هذا الزمن الأغبر الرديء ، و بكل ارتياح ينظر اللبنانيون إلى الساعة التي يخرج بها على الرأي العام مقدّماً مطالعاته الواردة في القرار الظني الاتهامي المنتَظر كي تُختَم الصفحات الأليمة وندخل ساعة الحقيقة التي نأمل جميعاً ان تكون قد اقتربت .

بعد زلزال مرفأ بيروت...

لبنان بين انكشاف النظام السياسي واختراق الخارج الدولي والإقليمي

طارق العربي

جاء الانفجار - المأساة الذي ضرب العاصمة بيروت في الرابع من آب ٢٠٢٠، لا ليكون فقط بمثابة كارثة وطنية بحجم ما خلفه من ضحايا بشرية بريئة وخسائر مادية وتداعيات اجتماعية واقتصادية وبيئية وسياسية ، وإنما ليكون أيضا حدثا مفصليا في التطور المساري لمسلسل الأزمات اللبنانية التي تلاحقت على مدى السنوات الماضية التي أعقبت تسويات الحرب الأهلية عبر ميثاقية الطائف لعام ١٩٨٩ ، وهي الميثاقية التي جاءت مخرجاتها لتكرس دستوريا وقانونيا لنظام طائفي سياسي كبديل سلطة حاكمة للدولة ومؤسساتها لمرحلة ما قبل الحرب، في وقت راح يشهد الاقطاع السياسي القديم سقوطه المدوي كنتيجة افرزتها الحرب التي تواصلت لأكثر من خمس عشرة سنة بين عامي ١٩٧٥ - ١٩٩٠ .

أرست ميثاقية الطائف نظاما سياسيا بمرتكزات أربعة أساسية :

الأول: تكريس الطائفية السياسية دستوريا في مؤسسات الدولة ومرافقها العامة بعد أن كانت عرفا تقليديا سابقا .،الأمر الذي باتت معه الدولة عبارة عن شركة توزيعية للادارات والوظائف والخدمات على قاعدة المحاصصة الطائفية والمذهبية بين الأحزاب والقوى السياسية الجديدة .

الثاني : صياغة حياة سياسية تقوم على تثبيت النظام الحاكم للدولة عبر آليات تكفل إعادة إنتاجه في كل دورة انتخابية نيابية ، وفي كل تشكيلة وزارية لسائر الوزارات التي تألفت بعد الطائف اي بعد التوقف الميداني للحرب الأهلية المشؤومة .

الثالث : على مستوى بناء السلطة الحاكمة للدولة كرّس النظام الجديد معادلة جديدة انتقلت معها الحياة السياسية من إقطاع الطائفة السياسي الذي ساد مرحلة ما قبل الحرب اي قبل العام ١٩٧٥ الى حزب الطائفة السياسي لمرحلة ما بعد الحرب اي بعد العام ١٩٩٠ .

الرابع : الولاء الشديد للخارج الاقليمي والدولي ، بحيث كان لكل أحزاب وحركات المنظومة السياسية لما بعد الحرب تفاعلات ولائية شديدة للخارج على غير مستوى سياسي وايديولوجي ومذهبي ومالي واعلامي وعسكري .

لقد تمكّن النظام المحاصص للدولة من السيطرة على كل شيء ، على المؤسسات والادارات والمرافق العامة ، ووضع اليد على مالية الدولة ، وراح يعتبر أنّ كل شيء هو ملكية خاصة يتصرف بها في السر والعلن . مع هذا النظام الريعي التسلطي على المال العام ، باتت المديونية على الدولة ومجتمعها هي السياسة الثابتة المعتمدة مع كل الحكومات المتعاقبة ، الى أن وصل إجمالي هذا الدين الى أكثر من مئة مليار دولار أميركي ، ووصلت معه الموازنة الى عجز غير مسبوق ، الأمر الذي أدخل الدولة في دائرة الفشل المالي والنقدي ، واغرق المجتمع اللبناني تحت ضغط الأزمات الخانقة معيشيا وحياتيا .

جاء انفجار العاصمة بيروت في الرابع من آب ٢٠٢٠ لا ليكون أزمة مضافة على مسلسل الأزمات المتراكمة تاريخيا وحسب ، وإنما ليشكّل حدثا فاصلا في اداء النظام السياسي التسلطي على الدولة والمصادر لوظيفتها الطبيعية في حماية مؤسساتها ومرافقها العامة .

جاء هذا الانفجار- الزلزال ليدلل بصورة قاطعة على الانكشاف الكلي لهذا النظام وتعريته على غير مستوى في الادارة والسياسة والحكم .

وجد الخارج الدولي والاقليمي في الانفجار - الحدث ، وفي انكشاف النظام الفرصة المؤاتية للدخول على خط الأزمات الساخنة في محاولة مكشوفة لايجاد نقاط ارتكاز لاختراق المجال اللبناني وتوظيفه في أجندات جيوسياسية واستراتيجية تستجيب لمشروعات الخارج لجهة قيام نظام اقليمي شرق أوسطي جديد يأتي محاكيا لقيام نظام القرن العالمي - القرن الحادي والعشرين .

على المستوى الدولي: برزت ثلاثة مواقف أساسية :

الأول ، الموقف الأميركي ، الذي رأى في توظيف الحالة اللبنانية في الاتجاه الذي يخدم المنظور الأميركي للوطن العربي عموما من حيث تميز موقعه الجيواستراتيجي كدائرة - قلب للشرق الأوسط ، ومن ثمّ كدائرة - قلب للعالم. وحسب نظرية ماكيندر من أنّ الذي يمسك بقلب العالم يستطيع الامساك بكل العالم .

الثاني ، الموقف الروسي ، في سعيه للامساك بمرافىء الساحلين السوري واللبناني من اجل تأمين ممرات ساحلية على المتوسط الشرقي لنقل الغاز الروسي باتجاه البلقان في شرق أوروبا .

الثالث ، الموقف الفرنسي ، الذي يرى في لبنان الموقع الفرنكفوني المتقدم في العالم من جهة ، ومن جهة أخرى أنّ الدخول الفرنسي الى الوطن العربي والشرق الأوسط إنما يكون من البوابة

اللبنانية .

أما المواقف الاقليمية فأبرزها ثلاثة اساسية :

الأول ، الموقف الايراني ، الذي وجد في تصدّع النظام الاقليمي العربي المنهمك في حروب أهلية منذ مطلع العشرية الثانية للقرن الحالي ، وجد فرصة مؤاتية للتمدد في الداخل العربي محاولا تأمين حضور اقليمي وازن يجمع بين عناصر القوة لهلال شيعي يمتد من الخليج العربي الى المتوسط مدفوعا بتلازم الربط العضوي بين الأيديولوجية المذهبية الدينية والتوظيفات الجيوسياسية في استعادة أمجاد الامبراطورية الفارسية القديمة .

الثاني ، الموقف التركي، في سعي حزب العدالة والتنمية الذي صعد الى سدة السلطة الحاكمة منذ العام ٢٠٠٢ ، والذي آثر خيار الأسلمة السياسية في علاقاته مع المنطقة العربية ، وأيضا مع جمهوريات القوقاز الاسلامية الخارجة من الحقبة السوفياتية السابقة . فقد ظهرت مؤشرات المشروع التركي من جراء التدخل المباشر في ساحات العراق وسوريا وليبيا وايضا في اطلالاته على الساحة اللبنانية من البوابة الشمالية في عكار وطرابلس .

الثالث ، الموقف الصهيوني ، الذي كان المستفيد الأكبر من تشظي النظام العربي وحرمانه من عناصر قوته الأساسية ، لا سيّما بعد احتلال العراق وإسقاط نظامه الوطني الأكثر التزاما بقضية تحرير فلسطين وبسائر القضايا القومية الأخرى ، وبعد إخراج مصر الناصرية وتحييدها في كامبديفيد ، وضرب المقاومة الفلسطينية ومعها الحركة الوطنية اللبنانية وسائر حركات التحرر الوطني في غير قطر عربي. سارع العدو الصهيوني الى تنفيذ أجندته الاستراتيجية لقيام دولته اليهودية المزعومة من الفرات الى النيل ، وقد وجد في انفجارمرفأ بيروت، وفي تدخلات الدول الخارجية الداعمة لمشروعه الاستعماري، وجد فرصة ذهبية لتحقيق خطوات متقدّمة لانجاز هذا المشروع ، وما الاتفاقيات الأخيرة مع الامارات العربية المتحدة والمغرب والسودان والبحرين سوى استكمال لاتفاقيتي كامب ديفيد ووادي عربة مع مصر والأردن، وتسجيل انتصار تاريخي للصهيونية في تطبيع علاقات الكيان الغاصب لفلسطين مع محيطها

العربي . وتأمين أمن دولته اليهودية ليس على أرض فلسطين وحدها، وإنما في المجال الجغرافي العربي برمته .

إنّ بناء الدولة الوطنية المستدامة يكمن في اعتماد الاستراتيجية التأسيسية المرتكزة الى مبدأ التراكم الخطي الايجابي انطلاقا من الآتي :

١ - المواطنة كهوية ثابتة في الانتماء الى الوطن اللبناني، مقابل انتفاء خصوصيات الانتماء الطائفي والمذهبي والمناطقي. إنّ انجاز المواطنة اللبنانية يبدأ مع تشكيل الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية وفق أحكام الدستور، على أن تضمّ فاعليات وطنية، ورموزا نخبوية فكرية وثقافية وأكاديمية تمثل التيار اللاطائفي، لمباشرة الخطوات الإجرائية باتجاه العبور من دولة الطوائف والمذاهب الى دولة المواطنين - دولة الشعب اللبناني الواحد .

٢ - إقرار قانون انتخاب جديد للتمثيل النيابي يأتي تفصيله على قياس الدولة والشعب، وليس على قياسات المصالح الزعاماتية والطائفية. من مواصفات هذا القانون الانتخابي اعتماد جغرافية انتخابية على أساس دوائر الاندماج الوطني، والتمثيل النسبي خارج القيد الطائفي، وعلى نحو يضمن فرصا متكافئة بين القوى المتنافسة على ضوء البرامج الانتخابية الهادفة الى تطوير الدولة والمجتمع بصورة عامة وليس على أساس المنافع الخاصة والمحسوبيات الضيقة .

٣ - إصدار قانون عصري للأحزاب السياسية يعزّز التوجهات الفكرية والسياسية الوطنية والديمقراطية. إنّ مثل هذا القانون يساهم في إغناء الحياة السياسية، ويعزّز الروح الوطنية، وإليه يعود الدور الأكبر في قيام جماعة الدولة على أساس وضع الدولة فوق سائر الجماعات الطوائفية، وليس كما هو حاصل اليوم، من حيث وقوف الجماعات الطوائفية فوق الدولة .

٤ - تفعيل الهيئات الرقابية وتحديث الإدارة، واعتماد مبدأ الأهلية والكفاءة في التوظيف، وكسر احتكار زعامات السلطة للوظائف العامة، ومكافحة الزبائنية السياسية الحامية لكل أشكال الفساد الإداري والمالي المستشري في غير إدارة ومؤسسة عامة في القطاع العام الحكومي أي قطاع الدولة .

٥ - اعتماد الانتظام الدوري في إجراء الانتخابات البلدية، الأمر الذي يؤسس لإنتاج سلطات ديمقراطية قاعدية أي على مستوى قاعدة الهرم السلطوي، ذلك أنّ تأسيس الديمقراطية القاعدية هو بمثابة المدخل الضروري لتأسيس الديمقراطية الرأسية أي على مستوى القيادات المركزية للدولة من نيابية وحكومية وسواها .

٦ - العمل على تضييق فجوة الاختلالات القطاعية أي بين قطاعات الانتاج الزراعة، الصناعة، الخدمات والتجارة. ينبغي على الدولة اعتماد خطط استراتيجية للتنمية الاقتصادية تقوم على تشجيع الاستثمار في القطاعات الانتاجية الثلاثة، وعلى إيلاء أهمية للتدخلات الايجابية لتنمية المناطق الطرفية والأرياف الزراعية، وذلك بهدف الوصول الى توازن انمائي على مستوى القطاعات المنتجة من جهة، والمناطق اللبنانية المختلفة من جهة أخرى. وفي هذا المجال تبرز الحاجة الى تفعيل المشروع الأخضر الذي انشىء في العام ١٩٦٣، وقد قام بانجازات مهمة في مجالات استصلاح الأراضي الزراعية، وزيادة الانتاج.. وفي الحدّ من هجرة الأرياف ومن النزوح الى المدن.

٧ - التخطيط لسياسة اجتماعية تسهم في اتساع شبكات الآمان والضمانات الاجتماعية، لا سيّما في ميادين السكن والاستشفاء والتعليم والشيخوخة، وحماية مؤسسة الضمان الاجتماعي والسعي لتطويرها وتحديثها من أجل التقدم باتجاه التنمية البشرية المستدامة، والخروج من الدولة المغانمية القائمة على المحسوبية والزبائنية الخدمية.

خلاصة:

إنّ أسباب تعثر النهوض اللبناني تكمن أولا وأخيرا في السياسات التي اعتمدت في معالجة الأزمات المتلاحقة ، والتي هي أزمات معادة الانتاج رافقت قيام الدولة اللبنانية الحديثة منذ العام ١٩٢٠ وحتى اليوم. فلم تفض المعالجات الى ايجاد الحلول الدائمة لتلك الأزمات، وانما كانت في معظمها محاولات لتأجيل الأزمة الناشئة وليس الى الغاء أسبابها ومحاصرة تداعياتها .

ثمّة جدلية تاريخية حكمت المسار التطوري للبنان الحديث والمعاصر هي جدلية الأزمة - التسوية، وذلك عبر دورية تعاقبية لإنتاج وإعادة إنتاج سلسلة متواصلة من الأزمات - التسويات، بحيث أنّ كلّ أزمة كانت تنتهي الى تسوية مؤقتة ثمّ تعود التسوية لتتعثّر وتتحوّل من جديد الى أزمة، وهكذا دواليك ..

إنّ خروج لبنان من مأزق أزماته التاريخية المستمرة إنما يكون بقيام الدولة الوطنية والخروج النهائي من صيغة الدولة المغانمية ، والسلطة الريعية الثابتة في الحكم .ينبغي إعادة قوننة الدولة ومأسستها في الاتجاه الذي يستجيب لقيامة لبنان الوطن.. لبنان الجغرافية والهوية، لبنان الشعب الواحد والمصير الواحد .

من الأهمية بمكان تعزيز الدور الريادي لمؤسسات المجتمع المدني (أحزاب، نقابات، جمعيات وروابط... الخ ...) التي تبقى بمثابة صمّام الأمان للسلام الوطني اللبناني،

وهو السلام الأقدر على إخراج لبنان من عنق أزماته الراهنة، والولوج الى رحاب الاستقرار الذي بات راهنا ومستقبلا حاجة وطنية للشعب اللبناني برمته .

إنّه التحدي الذي يواجهنا جميعا، فهل نحن قادرون على توليد استجابات من شأنها النهوض بالوطن اللبناني المرتكز الى قواعد التطور الديمقراطي من خلال عمل المؤسسات الديمقراطية، واعتماد مبدأ المواطنة كشرط معياري لقيام الجماعة الوطنية اللبنانية المتماثلة من حيث وحدة نسيجها الاجتماعي والثقافي، ووحدة مصالحها المشتركة ومصيرها المشترك الواحد!؟

هل تشكّل زيارة رئيس الحكومة إلى الشمال بداية لازالة الحرمان عن طرابلس الضنية وعكار

نبيل الزعبي

لقناعة راسخة في عقل كل لبناني ينتمي إلى منطقة يعشعش فيها البؤس والحرمان لعقود وعقود ، ان ذلك لم يكن سوى انعكاسا لسياسة كيدية مورست على هذه المناطق ل"تأديبها" على مواقف لم تكن لترتاح اليها منظومة الفساد الحاكمة ومن يقف خلفها من قوى الوصاية الخارجية وأدواتها في الداخل .

وللولوج في تفاصيل ما تقدم نضع طرابلس وعكار والضنية كحاضرات شاهدة على هذا الاهمال وما تسبب فيه ولم يزل من بؤس وحرمان آن اوان رفع الغطاء عنها وتسمية الأشياء باسمائها لا سيّما بعد زيارة رئيس حكومة لبنان واثنين من وزرائه إلى طرابلس مؤخرا وعزمه زيارة عكار محمّلاً بترجمة وعد الإنماء إلى واقع حقيقي لطالما حلمت به ، بمعزل عن سائر أقضية الشمال اللبناني ، لزمن بعيد جدا حيث ان طرابلس كعاصمة ثانية للبنان بقيت مع هذا التوصيف اسما على غير حقيقة ما هي عليه منذ ان تم زجها منذ اوائل ثمانينات القرن الماضي بصراعات محلية عناصرها غير لبنانيين تقاتلوا للسيطرة على المدينة ولم يجدوا غير الفقراء وابناء المنطقة الواحدة في باب التبانة التي تضم بعل محسن في الجغرافيا والعيش الواحد. لزجّهم وقوداً لهذا الصراع الذي امتد لما يقارب الأربعة عقود من الزمن"تفرّخت"خلالها المزيد من الأزمات التي أعاقت المدينة ، ليس على صعيد هدر طاقات ابناء مناطقها الفقيرة التي امتدت إلى القبة والمنكوبين والزاهرية والسويقة والأسواق الداخلية وحسب ، وانما عطّلت مشاركة هؤلاء في كل عملية تغيير اجتماعي بغية تحسين اوضاعهم المعيشية الاقتصادية والاجتماعية لإغراقهم في المزيد من البطالة التي ، وفي العُرف والتوصيف هي ام الرذائل والموبقات ، فاقم منها ان باب التبانة التي كانت يوما ما معروفة ب"باب الذهب " لما فيها من أسواق تجارية ومحلات كبرى للمال والقبان ،تم إفراغها من كل مقوماتها الاقتصادية ، بل وتدميرها عن سابق تصور وتصميم وليبقى شارع سوريا ، الشريان الاقتصادي الوحيد للمنطقة شاهداً على كل ما تقدم وهو الممتد على طول جغرافية المنطقة من سوق القمح إلى الملولة ولم تكلّف الحكومات المتعاقبة نفسها حتى يومنا هذا ، سواء بإعادة ترميمه كما كان او باستعادة دوره لما يستوعب من فرص عمل وإنهاض اقتصادي للمنطقة بشكل عام .

هكذا "كوفئت" طرابلس التي لم تكتفِ الوصاية بتدميرها وانما زجت بخيرة ابنائها في سجون صيدنايا والمزه بعد المرور بعنجر وفرع فلسطين واخوانه من فروع ، ناهيك عن تهجيرٍ وتشريد الآلاف في بلاد الواسعة هربا من الجور والظلم الذي بدأ الإعلام المحلي والخارجي يتحدث اليوم عن جرائمه دون ذكر ان طرابلس كان لها النصيب الأكبر في تدفيع الاثمان الباهظة من البشر والحجر .

وبالانتقال إلى عكار التي جعلوا منها محافظة ادارية على الورق ، تم الاكتفاء بجعلها خزاناً انتخابياً للقوى السياسية متجاهلين ما تمتلكه من مقومات اقتصادية لعل أهمها وجود امكانية حقيقية لمطار في منطقة القليعات بُحّ الصوت لتفعيله إنشاءً وتعميراً واعتماداً كمطار جديد للبنان وما يمكنه من توفير انماءً حقيقياً لهذه المنطقة يمتد في خدماته لمحافظة بعلبك الهرمل وكل أقضية الشمال وجبل لبنان ويجعل من مناطق كالقموعة مثلاً منتجعاً شتوياً وصيفياً يوازي منتجعات اوروبا مناخاً واستجماماً يمكن ان يتكامل مع مرفأ العبدة غير المعترف به ومرافئ المنية التي احتُسِبَت يوماً بلا شرعيتها دون شرعنتها والتوجه إلى ما تمتلكه اراضي عكار والضنية من تنوّع مناخي يواكب فصول السنة الأربعة سياحياً ومخزون زراعي وتربة خصبة تعيد إلى الاعتبار مقولة"فلاح مكفي ، سلطان مخفي"وبالامكان اعادة الاعتبار لها بكل تأكيد .

من هنا ومع إعلان رئاسة الحكومة عن البدء في اعداد ما يلزم من دراسات لمطار الشهيد رينيه معوّض في بلدة القليعات بعكار ، نؤكد على اعداد دراسة مرفقة لمشروع نفق ممتد من مستديرة العبدة من الجهة الجنوبية للمطار لغاية جهته الشمالية وهو شبيه بالنفق الذي يصل الكوكودي بخلدة وصولاً إلى مطار الشهيد رفيق الحريري الدولي في بيروت ، ليس على سبيل تسهيل الوصول إلى المطار يتجاوز عجقة السير اليومية في المنطقة ، وانما من اجل تعزيز دور المطار وتوفير اية مشقّة على المسافرين سواء للمغادرين من الأراضي السورية القريبة او لابناء محافظات الشمال وطرابلس

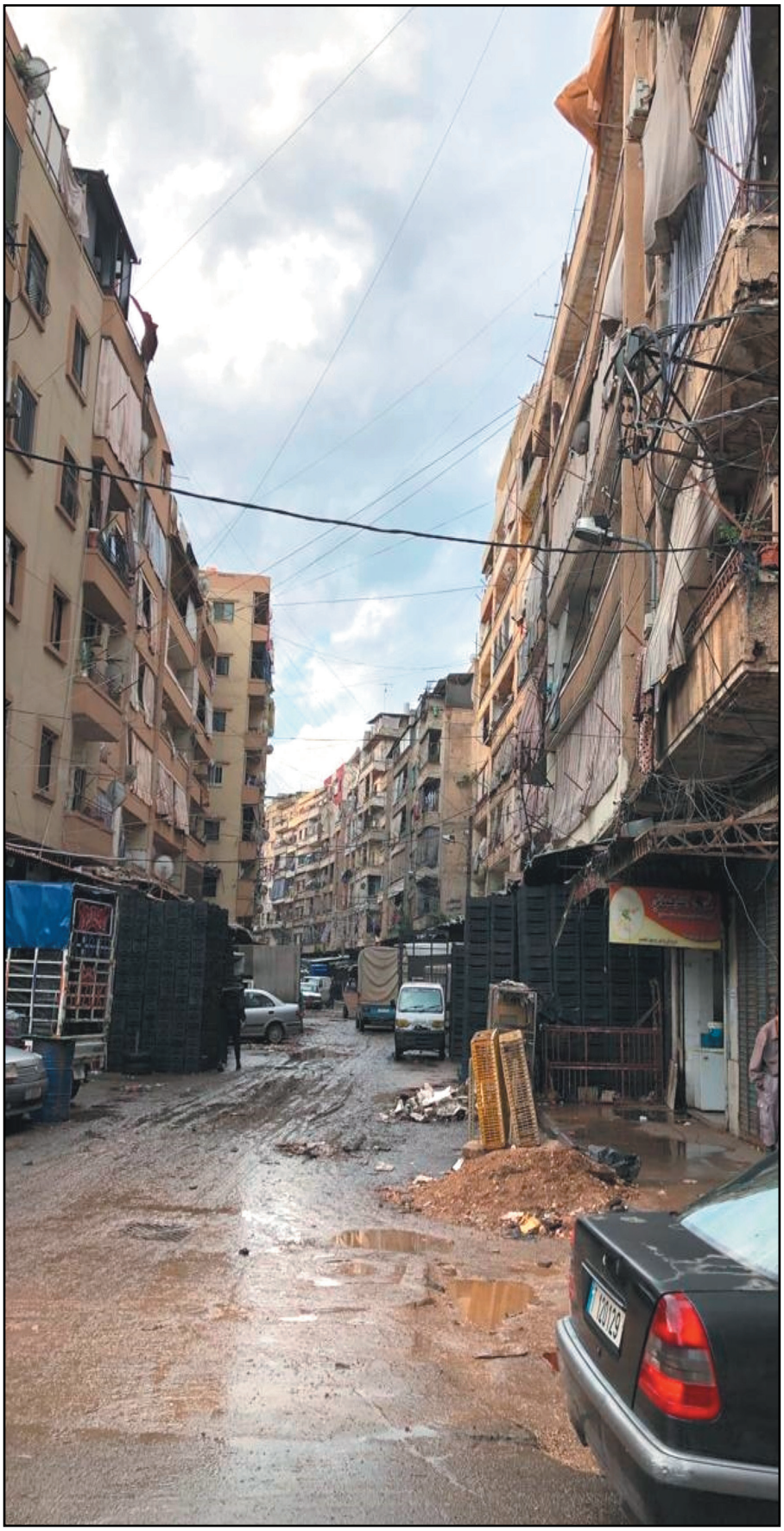

وبعلبك - الهرمل بشكل خاص ، مع تثمين الالتفاتة الحكومية الأخيرة نحو انشاء فروع للجامعة اللبنانية في عكار والتأكيد على توافق الجميع على اختيار المواقع الجغرافية المناسبة لها كي لا تُستَغَل اية خلافات حول ذلك لتأجيل التنفيذ والمماطلة به .

اما الضنّية - المنية ، ففضلاً عن جغرافيتها التي تصل أعالي الجرد الشمالي بالبحر المتوسط ، فإن ما تختزنه من ثروات طبيعية ومناخ معتدل ، تطرح على الملأ ما يمكن أن تستحقه هذه المنطقة المترامية الأطراف من وضعها على خارطة السياحة اللبنانية صيفا شتاءً ولا تحتاج سوى للاستثمار فيها وهي التي لا تقل عن كل مراكز الاصطياف شأناً واهميةً ومواقع خلّابة .

ان طرح ما تعانيه هذه المناطق لا يجب ان يحجب ما تحتاجه محافظات النبطية والجنوب والبقاع وبيروت من تضميدٍ للجراح لما قدمته من تضحيات في الأرواح والمدن والبلدات والقرى التي دمرّها العدو الصهيوني والمباشرة في اعداد خطط الإعمار من جديد والتعويض على النازحين من ابنائها وتوفير الملاذات الآمنة لهم حتى تحقيق هذه الغاية .

لقد جاءت اللامركزية الادارية في صلب ما تم اقراره في اتفاق الطائف كدستور جديد للبلاد ، غير انه لم يُعمَل به للأسف ، شأنه شأن البنود الأخرى التي لم ترَ النور بعد واكتفت حكومات ما بعد الطائف بإضافة محافظات جديدة ، بعلبك - الهرمل في البقاع ، النبطية في الجنوب وعكار شمالاً ولكن هل تنفع التسميات دون وضع محافظات لبنان الثمانية وبلدياتها على خرائط الانماء من جديد كخطوة اساسية تتطلبه اللامركزية الادارية امس واليوم وغداً .

قيادة "طليعة لبنان" في الشمال تزور المحافظ بالوكالة ورئيس اتحاد بلديات الفيحاء ورئيس بلدية طرابلس وتأكيد على رفع الحرمان والدور الانمائي للبلديات

استقبلت محافظ الشمال بالوكالة الأستاذة إيمان الرافعي صباح الجمعة ٨/٨ في مكتبها بسراي طرابلس وفداً يمثل حزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي ضمّ الرفاق رضوان ياسين ، نبيل الزعبي ، محمد السكري، عبدالرحمن الرافعي، خالد الحلبي، جوني مخايل ومحمد ناصر مهنئاً بتولّي منصبها اولاً، ومتمنياً ان يكون وجودها فاتحة خير وتوجُّه إنمائي رعائي حقيقي لمدينة طرابلس بعد سنوات الاهمال السابقة والتدّخُل غير المشروع وغير المبرّر في شؤون المدينة واتحاد بلديات الفيحاء وتعمُّدٍ الشلل الإداري والإنمائي فيها، مطالباً بتفعيل المؤسسات الإدارية والأمنية في طرابلس والشمال سواءً لناحية الخدمات في المؤسسات الرسمية وتسهيل معاملات المواطنين دون تمييز بين مواطن وآخَر ، او وضع حد للفلتان الامني الحاصل وأعمال النشل والاعتداء عى الأرصفة والممتلكات العامة والخاصة اضافةً إلى تكثيف عمل شركة اللافاجيت المولجة بأعمال النظافة وجمع القمامة في المدينة، إلى تجاوز اصحاب المولّدات الخاصة في تطبيق السعر الرسمي للكيلوات ساعة كهربا وامتناع البعض عن وضع العدادات للمشتركين.

وقد عوّل الوفد على ما سمعه من اهتمام الأستاذة الرافعي بهذه القضايا وما تقوم به على صعيد معالجتها انطلاقاً من تفاؤل اللبنانيين بالعهد الجديد وبيان حكومته الاولى

وجهود وزير الداخلية الحالي في إيلاء المناطق اللبنانية المحرومة كل اهتمام وفي مقدمتها طرابلس المطلوب اعادة الاعتبار اليها كعاصمة ثانية للبنان واقعاً حقيقياً تستحقه بكل جدارة، قبل ان يتولى الاستاذ عبدالرحمن الرافعي إهداءها كتاب "يعبرون وتبقى" الذي يتناول سيرة شقيقه ابن الدوحة الرافعية الكبير رئيس حزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي الراحل الدكتور عبدالمجيد الرافعي لمؤلفه الدكتور خالد بريش.

وفي زيارة ودية وتهنئة لرئيس اتحاد بلديات الفيحاء

كذلك قامت قيادة فرع الشهيد تحسين الاطرش لحزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي بزيارة ودية وتهنئة لرئيس اتحاد بلديات الفيحاء المهندس وائل زمرلي، حيث أكدت على تضافر مختلف الامكانيات المادية والشعبية في سبيل النهوض بمدينة طرابلس واتحاد بلديات الفيحاء بعد السنوات العجاف التي لحقت بها جرّاء وضع اليد على مقدراتها ومصادرة قرارها المستقل وقد جاءت الانتخابات البلدية الاخيرة كمحطة اساسية لاعادة الاعتبار لطرابلس والاتحاد في ظل وجود وجوهٍ شابة يُعتَمَد عليها في حمل التركة الثقيلة والمسؤوليات الجسام على صعيد إنماء مدن الفيحاء ونهضتها .

وخلال اللقاء مع رئيس اتحاد بلديات الفيحاء المنتَخَب حديثاً المهندس وائل زمرلي الذي جمعه بوفد حزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي ظهر يوم الخميس ٨/٧ بحضور امين سر الفرع رضوان ياسين والرفاق : نبيل الزعبي ، كمال خزعل، محمد السكري، عبدالرحمن الرافعي، خالد الحلبي ، محمد ناصر وفادي صادق، تم التداول

في مختلف الشؤون المتعلقة بعمل الاتحاد والاطلاع على ما لدى الرئيس زمرلي من تصوُّر وخطط لمعالجتها متطرقاً في جوٍّ يسوده الصراحة إلى مختلف العوامل التي أدّت إلى تدهور عمل الاتحاد وما يحتاجه من وقت لتحقيق الخطوط العامة للبرنامج الانمائي البلدي الذي على اساسه تم خوض معركة البلدية.

وفي هذا السياق وضع الوفد امامه كل ما لديه من امكانيات لتحقيق هذا النهوض الذي يعني طرابلس ومدن الاتحاد، الميناء البداوي والقلمون وقد أهداه في هذه المناسبة كراساً يحمل عنوان "نحو رؤية تنموية لطرابلس" اعدّه مكتب الدراسات في الحزب، وكتاب "يعبرون وتبقى" لمؤلفه الدكتور خالد بريش الذي يتناول سيرة ومسيرة نائب طرابلس الأسبق القائد الراحل الدكتور عبدالمجيد الرافعي وما يتضمّن من اضاءة على مختلف المراحل العمرية والنضالية للراحل الكبير وإسهاماته في سبيل مدينته وبلده ووطنه العربي الكبير.

وفي زيارة رئيس بلدية طرابلس

واستكملت قيادة فرع الشهيد تحسين الاطرش لحزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي ممثلةً بالرفاق رضوان ياسين، نبيل الزعبي، محمد السكري، عبدالرحمن الرافعي ومحمد ناصر لقاءاتها، فالتقت صباح الخميس ٨/١٤ رئيس بلدية طرابلس الدكتور عبدالحميد كريمة في القصر البلدي للمدينة والذي يخضع للترميم واعادة تاهيله منذ فترة قريبة، وذلك بحضور عضو المجلس البلدي الدكتور باسم عساف، وكانت مناسبة للتهنئة اولاً والتمني ان يكون ترميم مقر البلدية مقدمة لترميم العلاقة الجدلية ذات المصلحة المتبادلة بين البلدية وابناء المدينة خدماتياً وانمائياً والتأكيد على تحقيق الانسجام المطلوب بين اعضاء المجلس البلدي كي لا تتكرر تجارب المجلس السابق لان المدينة باتت تتعطش للدور البلدي الفاعل المنصوص عليه في القوانين الادارية الرسمية كحكومة محلية تنوب عن الدولة في مختلف شؤون وهموم المدينة وأبنائها.

بدوره رحب الدكتور كريمة بالوفد بعد ان شكره على اهدائه لكتاب "يعبرون وتبقى" الذي يتناول سيرة ومسيرة الراحل الكبير الدكتور عبدالمجيد الرافعي لمؤلفه الدكتور خالد بريش وكراس "نحو رؤية تنموية لطرابلس" الصادر عن مكتب الدراسات لحزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي، مؤكداً على الانسجام الحاصل بين سائر اعضاء المجلس والنيات الصادقة من اجل تعويض المدينة عن كل مراحل الاهمال التي مرت بها وان الأشهر القادمة سوف تحمل معها كل ما يصب في خدمة المدينة وأبنائها متمنياً على الجميع مواكبة عمل المجلس البلدي الجديد والتعاون البنّاء معه مبدياً كل استعداد لتقبُّل اي انتقاد يصب في خدمة المدينة وتصويب العمل نحو الصالح العام.

"طليعة لبنان" يهنئ المناضل جورج عبدالله بعودته

تقدمت قيادة منظمة الشهيد علي بطيخ لحزب طليعة لبنان العربي الاشتراكي بالتهنئة بعودة وسلامة المناضل الوطني والعروبي جورج عبدالله وذلك اثناء زيارتها له في منزله ببلدة القبيات -عكار بمشاركة الرفاق الدكتور كمال خزعل، رشيد دياب، ضاهر سليمان والمهندس مايز حسن. وبهذه المناسبة ادلى الرفيق الدكتور كمال خزعل امين سر الحزب في عكار بالتصريح التالي:

لقد ادهشنا ثبات المناضل جورج عبدالله على المبادئ وتمسكه بمواقفه النضالية رغم قضائه ٤١ سنة من عمره معتقلاً لأنه واجه المشروع الصهيوني وعسى اجيالنا الحالية تتعلم منه ومن أمثاله بعض القيم الوطنية النضالية.. فالمناضل جورج عبدالله رمز وقدوة وطنية وعربية وفخر لنا انه من عكار.

"طليعة لبنان" يزور ضريح الرفيق علي حديفة

في الذكرى السادسة والأربعين لاستشهاد المناضل الرفيق علي حديفة، قام الرفاق في حزب طليعة لبنان العربي الإشتراكي وعائلته الكريمة، بزيارة ضريحه، حيث تم وضع إكليل من الزهور عربون وفاء وتقدير لمسيرته النضالية الطويلة التي جسدت أسمى معاني الالتزام القومي والوطني. لقد كان الرفيق الشهيد مثالاً للمناضل الصادق، الذي آمن بقضية الأمة وسعى من أجل وحدتها وكرامتها، مدافعًا عن مبادئ الحزب بقوة الإيمان ونقاء الالتزام.

إن هذه المناسبة ليست فقط محطة لاستذكار تضحياته، بل لتجديد العهد على الاستمرار في الطريق الذي سار عليه، الطريق الذي عبدته دماء الشهداء وعرق المناضلين، من أجل الحرية والعدالة والتحرير.

رحم الله الشهيد علي حديفة، ورحم جميع شهداء الحزب الذين رووا بدمائهم تراب الوطن، وبقوا مشاعل مضيئة تهدي الأجيال القادمة إلى دروب النضال والثبات.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، والنصر لقضايانا العادلة في كل بقعة من الوطن العربي.

في الذكرى الـ ٣٧ ليوم النصر العظيم.. قيادة قطر العراق:
انه يوم خالد في تاريخ الامة العربية

(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)
(سورة البقرة، الآية ٢٤٩)

يا أبناء شعبنا العراقي العظيم
يا أبناء الأمة العربية المجيدة
يا أحرار العالم في كل مكان

في مثل هذا اليوم سطر العراقيون أعظم بطولات الرجال الشجعان عبر التاريخ، ليحققوا بعد منازلة مجيدة أنصع نصر عسكري عربي في العصر الحديث، مضيفين إلى سفر وطنهم نصرا حاسما لا تشوبه شائبة، في جبهات حرب طاحنة استمرت ثمانية أعوام بلا هوادة بين جبهة الحق التي حَمَل لواءَها العراقيون بكل شرف وإباء، وجبهة الباطل التي كانت إيران تختفي في خنادقها، بكل ما تحمله من خزين حقد تاريخي على وطننا وأمتنا، وتغلفه في كل مرة بأقنعةٍ تُناسبُ المرحلة التي تطرحها فيه، فبعد أن عرتِ تجارب الحروب السابقة التي خاضها قطرنا المجاهد ضد أطماع فارس، منذ واقعة ذي قار الخالدة التي دَحَرَ خلالها أجدادُكم أيها العراقيون الأماجد، الاحتلال الفارسي الذي حاول تكريس هيمنته على بلدنا مستغلا فارق القوة التي كان يستطيع تجييشها ضد الآباء والأجداد وغبن الجغرافيا وما تضعه التضاريس في متناول يدها من أسباب قوة مادية، تمّكَنَ العراقيون عام ٦١٠ من إلحاق هزيمة نكراء ببلاد فارس، فكانت أول معركة ينتصر فيها العرب على

الفرس المحتلين، إذ استطاعت القبائل العربية إلحاق الهزيمة بثاني أكبر مركز استقطاب دولي في ذلك الوقت، مع كل ما يحمله مجرد التفكير بخوض حرب ضد جيش قديم التقاليد وله صولات وجولات في خوض حروب نظامية ضد مركز الاستقطاب الآخر أي الإمبراطورية الرومانية من تردد وخوف، إذ كانت الحرب بينهما سجال، فقد عقدت القبائل العربية العزم على خوض مواجهة مع دولة الأكاسرة، ولم تفكر بفارق القوة المادية بين الطرفين، فحشدّت قواها لمواجهة الفرس الذين كانوا يحتلون العراق وأجزاء أخرى من أرض العرب.

لقد كانت بلاد فارس في كل مرة تُلبسُ أطماعَها أرديةً جديدة وبراقة، بهدف تضليل أكبر قطاع من أبناء الشعب العربي، ولكن القبائل العربية انتزعت النصر من بين عيون أعدائها بكل اقتدار، ولتكون درسا خالدا للأبناء والأحفاد، بأنهم قادرون على المضي على نهج الأجداد العظام، إن امتلكوا إرادة النصر والعزم على تحقيقه متى أرادوا ذلك، فبقيت تلك علامة بارزة في سجلهم تحدد مسارهم وترسم لهم طريق المجد الذي اختاروه لأنفسهم ووطنهم الموغل في أعماق التاريخ.

وعلى الرغم من كل خزين الكراهية الذي يستشعره العراقيون من جارهم الشرقي، فقد مدت الدولة العراقية الحديثة يدها متجاوزة كل سلبيات الماضي، ومع أن الدولة الإيرانية أخرت اعترافها بقيام الدولة العراقية سنوات عديدة، إلا أن الحكومات المتعاقبة حاولت امتصاص أجواء الكراهية ولكن من دون جدوى، ثم سقط شاه إيران في شباط ١٩٧٩، فاستقبل العراق الرسمي ذلك الحدث بواقعية سياسية عالية، ولكن الزعامة الإيرانية الجديدة، قابلت ذلك التعامل الإيجابي بغطرسة فارغة، إذ رفع الخميني من الأيام الأولى لوصوله إلى حكم إيران، شعار تصدير الثورة الذي يحمل جوهرا عدوانيا توسعيا، فقد وضع الزحف صوب العراق في مقدمة أهدافه المعلنة والسرية، فناصب العراق كراهية لتضاف إلى سلبيات الماضيين البعيد والقريب، فكان ذلك أول عبوة ناسفة لما تبقى من خيوط واهنة تربط بين البلدين.

لقد كان حتميا أن يدافع أبناء الشعب العراقي عن سيادة بلدهم وأمن مواطنيه، فكانت قادسية صدام هي الرد الوحيد الذي كان متاحا للعراق، وهو اللغة الوحيدة التي يفهمها حكام طهران المتغطرسون.

أيها العراقيون الأماجد في مثل هذا اليوم قبل سبعة وثلاثين عاما، وبعد منازلة كانت أطول حروب القرن العشرين، تمّكن أبطال الجيش العراقي والحرس الجمهوري، من كسر إرادة عدوهم في مواصلة القتال، عدوهم الذي حَمَلَ إرثا معقدا من الأحقاد التي ظن أن الجَمَعَ بينها سيمكنه من قهر العراقيين، لا سيما بعد أن تمكن من خلق أكبر فتنة عرفها تاريخ العرب والإسلام منذ أن نزلت رسالة الإسلام على صدر نبينا الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ليس بجديد على بلد توارث كماً تاريخيا حافلا بالحقد والضغينة على الأمة العربية، انطلاقا من عقد تجمع بين الشعور بالنقص والتضاؤل أمام الأمة التي حملت لواء الإسلام ونشرت كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، في أرجاء المعمورة، ولهذا ناصبت بلادُ فارس الدينَ الإسلامي العداءَ، منذ الأيام الأولى لرسالته السمحاء، وبين الغطرسة الفارغة في التعامل مع الشعوب الأخرى، فكان لا بد للدولة الإسلامية الفتية من الدفاع عن نفسها وحماية تخومها من أعدائها الذين كانوا يتربصون بها الدوائر، وهذا ما حصل إذ بدأت جحافل الفتح العربي الإسلامي، أولى معاركها خارج جزيرة العرب، بعد أن دانت لها الجزيرة العربية بعد حروب الردة، فكانت القادسية الأولى أولى معارك العرب المسلمين أعظم انجاز عسكري عرفه العالم القديم حتى ذلك الوقت، وكانت قبائل العراق العربية التي وجدت في القادسية الأولى تتويجا لانتصار ذي قار وتعبيرا عن التقاء الرسالة الإسلامية مع تطلعات تلك القبائل في العيش بعزة وكرامة تتقدم الزحف العظيم.

لكن فارس لم تيأس من إعادة الكرة على العرب في غير ساحات المواجهة المباشرة، وذلك عبر التسلل إلى الدين الجديد وإظهار الإيمان به واستبطان الكيد له، بهدف نخره من داخله، لهذا فقد تفهم المؤرخون العرب خاصة وغيرهم من المؤرخين المتنورين، الأسباب الحقيقية لنشوء كل حركات التمرد ومجاميع الزندقة والفرق الباطنية التي حفل بها تاريخ المسلمين خاصة في العراق وبلاد فارس، فأحدثت شروخا في الإسلام لم يمر بمثله، وبذا فقد كان العراق الأكثر تعرضا لويلات الشرخ المذكور من بين كل الساحات العربية الأخرى، وكأن القدر قد اختص العراق بحمل راية الدفاع عن الأمة في حالتي النصر والهزيمة، لأنه كان خط الصد الأول بوجه الرياح الصفراء التي كانت تهب عليه من فارس، لا سيما ما أحدثته الفرق الغالية من مفاهيم تدميرية، هذا وغيره مما أصاب الأمة من وهن وتمزق، جعل العراق الحارس القومي دفاعا عن الأمة بوجه الأعاصير والأفكار الهدامة والتي استندت على نوايا الشر والتوسع الفارسي العدواني

يا أبناء الشعب العراقي العظيم، أيها المناضلون البعثيون، يا من أعدتم للأمة العربية ألقها وشموخها في زمن النكوص والتراجع على كل الجبهات، وذلك بما تدخرونه من أصالة وقيم سامية وإصرار على تبوء الأمة لمكانتها التي تستحقها تحت الشمس، وذلك عندما قهرتم خامس

أكبر جيش في العالم، وتجهز بعقيدة قتالية ظنها نظامُه الجديد قادرةً على استغفال المواطن العربي بما يضمن له تداخل الخنادق، ويسمح له باستقطاب البسطاء من المسلمين في العالم من خلال ما كان يرفعه من شعارات إسلامية، ولكنكم أيها العراقيون ويا أيها البعثيون الأشاوس، قد خضتم حرباً ضروس أستمرت ثمان سنوات حققتم فيها أقوى الانتصارات، ستحتل بصفحاتها المتعاقبة بين أنجح المعارك والحروب التي خاضتها أقوى جيوش العالم عبر التأريخ، لقد أصبتم عدوكم باليأس التام على مواصلة الحرب، حتى وصل القادة السياسيون والعسكريون والمدنيون إلى التساؤل فيما بينهم عن سر الانهيار في معنويات المقاتلين من الضباط والجنود ووصولهم مرحلة الانهيار النفسي قبل التوجه إلى جبهات الحرب، فالهزيمة تبدأ من هنا، وبمقابلها النصر ينطلق من انهيار العدو وكسر ارادته في مواصلة القتال وطرح التساؤلات عن جدوى تقديم عشرات الآلاف من القتلى في حروب لا طائل تحتها ولا نتيجة منها.

من مختلف جبهات الحرب، ومن انتصار الفاو التاريخي، الذي جاء تحريرها من الدنس الذي لحق بها أكثر من سنتين، كبوابة للنصر العظيم، ومن نصر الفاو إلى معارك "الله أكبر" التي توالت فيها الانتصارات العراقية في كل ما أعقب تلك المعارك من انتصارات خالدة وتم تطهير كل شبر دنسته قوات الاحتلال الإيراني البغيض، صار ممكنا النظر إلى معادلة العلاقات بين العراق وجيرانه على أسس من التكافؤ واحترام السيادة الوطنية والمنافع المشتركة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام خيار كل بلد من بلدان المنطقة.

ولكن إيران التي ظلت تتحدث مع العراق ومع المجتمع الدولي بلغتين مختلفتين، الأولى دبلوماسية ناعمة والثانية لغة باطنية تُظهر ما لا تستبطن، وتحمل شراً مستطيرا تجاه جيرانها لا سيما العرب، فقد كانت تحيك المؤامرات ضد الجميع وخاصة العراق، في عالم فقد حسن النية في علاقاته الخارجية وركنها جانبا، إذ كشفت التقارير والوثائق السياسية التي تم نشرها بعد أن وضعت الحرب أوزارها، أن إيران لم تتورع عن تمزيق كل شعاراتها المعلنة عن معاداة إسرائيل وأن طريق القدس يمر من كربلاء تارة ومن بغداد تارة أخرى، وأنها كانت تحصل على دعم عسكري إسرائيلي ودعم استخباري أمريكي، ليس هذا فقط بل إن إيران نسقت مع التحالف الغربي في عملية غزو العراق سنة ٢٠٠٣، وأعترف أكثر من مسؤول إيراني ببعض تفاصيلها وأقر مسؤولون أمريكيون وأوربيون بأن إيران مدت يد المساعدة لهم في غزو أفغانستان والعراق، ولولا ذلك العدوان لكانت مهمة التحالف الدولي في غاية الصعوبة.

أيها العراقيون الأماجد يا أبناء الأمة العربية

بعد أكثر من اثنتين وعشرين سنة من الاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق، ومن ثم تسليم العراق هدية مجانية لإيران وعلى طبق من ذهب، علينا أن نراقب بدقة مسار الأحداث في الشرق الأوسط بل في العالم أجمع، كيف أصبحت أحوال العالم السياسية والأمنية والاقتصادية، بعد إخراج العراق بالقوة الغاشمة من معادلة الأمن القومي العربي والإقليمي، وعلينا أن نفخر بأننا كنا نمسك بخيوط الأمن في مناطق شاسعة، وأن الأعداء كشروا عن أنياب حاقدة على حقوق الأمة في فلسطين وفي بلاد الشام واليمن، ولكن هل تستقيم الأحداث على ما هي عليه؟

إن شعب العراق شعب البطولات والذي كان يفاجئ نفسه والعالم أجمع بما لم يتوقعه أحد، لقادر على إعادة المسار إلى سكته الأصيلة التي ظل محافظا عليها عشرات القرون، وهو اليوم وقد وصل التردي والانكسار حداً لم يعد ممكنا السكوت عليه من قبل شعب عُرف عنه التضحية والاستعداد لمواجهة الباطل في مظّانه، وكما حقق الانتصار التاريخي يوم الثامن من آب ١٩٨٨، فإنه سينجز هدف التحرير من براثن أعدائه وإن تكاثروا عليه، فالشعب العراقي هو شعب البطولات التي سجلها في معظم الساحات العربية، فكيف إذا كان أمر بلده قد وصل أسوأ ما يمكن أن يصله بلد يمتلك كل تلك الثروات لا سيما البشرية المبدعة والطبيعية الغزيرة التي تضعه في أعلى جدول للبلدان الأكثر ثراء في العالم.

تحية لأبطال القادسية الثانية الذين حموا شعبهم من ضياع الهوية الوطنية، والذين سقطوا دون تسليم بلدهم لأكثر الظواهر السياسية في التاريخ شرا وتخلفا وجهلا، تحية لكل يد حملت البندقية ورابطت على حدود النار ثمانية أعوام من المجد، تحية لقيادة العراق الوطنية الشجاعة التي قادت السفينة في أعتى الأعاصير حتى أوصلته إلى بر الأمان، وتحية للشهداء الذين رووا بدمائهم الزكية أديم العراق الأبي.

الله أكبر والمجد والخلود لأبطال القادسية الثانية وقائدها شهيد الأضحى الرئيس الخالد صدام حسين رحمه الله.

المجد والخلود لشهداء الأمة العربية في كل مكان والمجد لشهداء فلسطين والاحواز السليبة .

الموت لدعاة الطائفية الجدد

الله أكبر وليخسأ الخاسئون

قيادة قطر العراق

لحزب البعث العربي الاشتراكي

بغداد الرشيد ٢٠٢٥/٨/٨

ذكرى يوم النصر العظيم
العراق صنع مجدا للأمة...

مصطفى رستم

تمر علينا الذكرى الرابعة والثلاثون لانتصار العراق العظيم على العدوان الإيراني الخميني، انتصار إرادة الحق ضد الباطل... انتصار الصمود ضد العنجهية والحقد الذي استهدف العراق والأمة العربية بعد حرب شرسة ومن أشرس الحروب التي عرفها التاريخ ودامت ثماني سنوات متواصلة وكان ثمن الصمود وثمن دماء الشهداء وما كلفته تلك الحرب من هدر لإمكانيات وطاقات العراق أنه تم قبر أحلام إيران في إحياء ما يسمونها الإمبراطورية الفارسية وتمت حماية العراق من الأطماع التوسعية الفارسية...

حقق العراقيون الاماجد نصراً سياسياً وعسكرياً يعد من اكبر الانتصارات في التاريخ الحديث واعترفت إيران بخسارتها على لسان خميني الذي قال: إنني اقبل وقف إطلاق النار كما لو إنني أتجرع سما زعافا...

لقد جندت ايران لهذه الحرب كل قواها ولم تقبل دعوات العراق والمجتمع الدولي المتكررة لوقف إطلاق النار رغم أن العراق كان متفوقاً عليها عسكرياً لكنها ظلت تشن الهجمات تلو الهجمات على كافة الجبهات وبقدر ما كانت الهجمات شرسة كان الرد العراقي باقتدار ورغم الخسائر الكبيرة جداً في صفوف العدو الإيراني فكانت نواياه استمرار الحرب حتى تحقيق أهدافه ولكن بارادة وهمة الغيارى تم قبر تلك الأهداف اللعينة والى غير رجعة.

لقد بذل الجيش العراقي الباسل وظهيرة الشعب العراقي بطولات كبيرة تفوق الوصف وأبلى قادته وضباطه وجنوده على كافة الجبهات وفي كل المعارك بلاءً رائعاً وكان الثبات والصمود هو ديدبهم والى ان تحقق لهم النصر العظيم في ١٩٨٨/٨/٨.

في هذه المناسبة العظيمة يستذكر العراقيون هذا الانجاز التاريخي الذي حمى العراق والأمة العربية من المد الفارسي ألصفوي المقيت ولا ينسون تضحيات الشهداء الأبرار ان

٨-١٩٨٨-٨ يوم خالد في تاريخنا الحديث وقد عشنا مع اهلنا في العراق وكنا معهم في صمودهم واحتفلنا معهم في يوم نصرهم العظيم.

ومن شهادة حية ورؤيا حية لما حصل من فرحة وتظاهرات في يوم النصر العظيم.

في مثل هذا اليوم ودون توجيه من حزب او دوله او اجهزه اعلامية أو امنيه او مسجد او حسينية او كنيسه خرج شعب العراق بكامله الى الاحتفال في الشوارع والساحات وزينوا العربات وحملوا اعلام العراق العظيم ووزعوا الشربات والحلويات وكل من خلال اسلوبه احتفل بهذا ليوم العظيم...

ما اروعه من احتفال وما اروعه من يوم وما اروعك يا شعب العراق العظيم

فقد استحقيت وعن جدارة بالاحتفال بالنصر العظيم الذي صنعته...

ـ على الرغم من كبوة العراق في ٢٠٠٣ بعد ان تكالبت عليه كل قوى الشر والعدوان في العالم الا اننا نعرف وبثقة مطلقة بالعراق وشعبه بأنه سينتفض من جديد وسيتحرر العراق من الاحتلال الايراني المجرم ويقبر كل الاحتلالات.

اهلنا في العراق لقد كان للمقاومة العراقية البطلة دور ريادي ومنذ الايام الأولى للاحتلال وكبدت الاحتلال الامريكي الغادر عشرات الآلاف من ارواح جنوده واجبرته على الهروب من العراق ولكنه ابقى وكيلته ايران لتمارس ابشع انواع القتل والعدوان على شعب العراق لكن سيتم قبر عملاء ايران ويتحرر العراق من جديد ولا كسرى بعد اليوم.

تحية اكبار واعتزاز بالشهداء العراقيين الذين لهم الفضل الأول في صناعة النصر العظيم.

تحية اكبار واعتزاز للشهيد الفارس العربي صدام حسين الذي قاد العراق الى يوم النصر العظيم.

تحية اعتزاز لشعب العراق البطل وقياداته وجيشه المقدام الذين صمدوا وحققوا النصر العظيم.

يوم لا ينسى وما أجمله من تاريخ...

يومِ النصر: القادسية الثانية
حين تَكسَّرَتْ أمواجُ التّاريخ على صَخْرَةِ الإرادة

أ. طارق عبد اللطيف أبو عكرمة - السودان

لم يكن يوم (الثامن من آب - اغسطس-١٩٨٨م) حدثًا عابرًا في رزنامة الحروب، بل كان نقطة انكسار الزمن لصالح الإرادة، ويقظة وعي قوميّ خرج من بين أنقاض الجراح، ليرفعَ صوته عاليًا، هنا العراق العظيم، وهنا أمة عربية لا تنكسر. لم تكن (القادسية الثانية) مجرد معركة على الحدود، بل كانت المعنى حين يُختبر، والرسالة حين تتحول من بيان إلى رد تاريخي.

ثماني سنوات من الاستنزاف، لم تفتّ في عضد الجسد العراقي البطل، بل كانت اختبارًا قاسيًا لمعدن الروح، للجوهر الأعمق لما يجعل الإنسان مقاومًا في وجه قدرٍ ظاهريٍّ كُتب له أن يستسلم. لكنّ عراق-تموز لم يستسلم. والفرق أن العدو كان يواجه شعبًا لا جيشًا فحسب؛ يواجه ذاكرةً منقوشة في الوعي القومي منذ سومر وبابل وكربلاء وصلاح الدين ، ذاكرة تعرف أن النصر لا يُقاس بعدد الطلقات، بل بلحظة يتحول فيها الموت إلى فعلِ خلاقٍ للحياة . لم يكن النصر مجردةً أرقامًا عسكرية، بل كان دماءً أراقها الآلاف ليكتبوا بتضحياتهم سفرًا جديدًا للنخوة والعزة، وامتدادا حيا للتاريخ.

لم تكن معركة النصر مجرد لحظة عابرة في سجل الحروب المفروضة، بل كانت ذروة سلسلةٍ من المعارك التي حوّلت الهزيمةَ المؤقتة إلى انتصار دامغ ودائم . ففي تحرير الفاو مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم (١٧ نيسان ١٩٨٨)، أعاد الجيشُ العراقي كتابةَ قواعد اللعبة العسكرية، ليس فقط باستعادة الأرض، بل بتحطيم أسطورة (العدو الذي لا يُقهَر). كانت الفاوُ اختبارًا للإرادة، حيث تحركت القواتُ كالسيل الذي لا يُردّ، مدعومةً بخطةٍ عسكريةٍ محكمةٍ حوّلت المدّ الإيراني الشعوبي إلى موجةٍ تتهاوى على صخور الصمود.

أما القيادةُ العراقية، فلم تكن مجردَ غرف عملياتٍ مغلقة، بل كانت عقلًا استراتيجيًا يقرأ الجغرافيا والتاريخَ معًا ويجسد بالحضور الميداني وفي الخطوط الأمامية التاريخ في الحاضر للمستقبل، فجمعت بين حسم القرار على الأرض وروح المقاومةِ التيَ أشعلَتها في كلّ جندي عراقي وفي كل بيت من زاخو الي الفاوِ هنا، لم يكن النصرُ رقمًا في تقرير عسكري، بل كانَ إثباتًا أنَّ الإرادةَ تُعيدُ تشكيلَ ساحةِ المعركةِ قبلَ أن تُحرّرها.

لكنَّ النصرَ ككلِّ ولادةٍ عظيمةٍ في التاريخ، لم يأتِ دون مخاضٍ من الدماءِ والدموع والتضحيات. فخَلفَ الأرقامِ الرسميةِ عن المعارك، كان هناك أطفالٌ لم يعودوا إلى مدارسهم، وأمهاتٌ علّقتْ قلوبَها على شواهدِ القبور، وجنودٌ كتبوا أسماءَهم على جدرانِ الخنادقِ بأحرفٍ من نور. لم تكن التضحياتُ مجردَ خسائرَ في سجلٍّ عسكري، بل كانت أرواحًا تدفقتْ كالنهرِ العارم لتروي شجرةَ الحرية، خلدها نصب الشّهيد، وفاء باروع تصميم معماري هندسي. حتى المدنُ التي بُعثتْ من تحت الأنقاض، ظلّت تحملُ في ذاكرتها صرخاتِ الأبرياءِ الذين سقطوا تحتَ وطأةِ القذائفِ والجوعِ والحصار. هؤلاء لم يموتوا، بل صاروا وقودَ النصرِ الخفيّ، وضميرًا حيًّا يُذكّرنا أنَّ الحريةَ لا تُشترى إلا بالعزائمِ التي لا تنكسر.

كلما اشتدّت الضربات، انصهرت الأجساد في روح واحدة، *وغدت الاعظمية كاظمية*، حتى أصبح الدفاع نفسه هجوميًا على الزمن، على المعنى، على من أرادوا للعراق أن يسقط كي تسقط الأمة العربية من بعده. فكان الانتصار لا استعادة لما كان، بل ولادة لما

سيكون.

النصر، كما يفهمه البعث، ليس غلبةً عسكرية، بل موقفًا وجوديًا، أن تبقى واقفًا حين يُراد لك أن تسقط. أن تقول (نحن) في زمن التشرذم. أن تعيد للبطولة معناها، وللمشروع القومي رسالته. وكما عبّر القائد المؤسس ميشيل عفلق، فإن الثورة ليست لحظة غليان، بل حالة دائمة من الوعي، والتجدد، والمجابهة. القادسية الثانية كانت تجسيدًا حيًّا لهذا المعنى، حين عبرت النظرية عن نفسها بحشد الروح والارادة، وحين كتب العراقيون – باللحم والعصب – أن الرسالة الخالدة لا تموت.

لم تكن (القادسية الثانية) مجردَ تكرار لسابقتها، بل كانت انزياحًا تاريخيًا يُعيد تشكيل الأسطورة بأدوات العصر الحديث. فإذا كانت القادسية الأولى (٦٣٦م) قد حوّلتْ نهرَ الفرات إلى شاهدٍ على انتصار الإرادة العربية على إمبراطوريةٍ كافرةٍ و متغطرسة، فإن القادسية الثانية حوّلتْ صحراءَ العراق إلى لوحةٍ كُتِبَتْ بالدبابات والدماء، لكنها حملتْ الروحَ ذاتها والايمان ، روحَ المؤمنين الذين ينتصرون على جبروتِ القوة الغاشمة. هنا، لم يكن الفارق في الأسلحة أو التكتيك، بل في أن كِلتا المعركتين كانتا صراعًا بين مشروعين: مشروعٌ يريدُ فرضَ هيمنته، وآخرُ يرفضُ أن يكون ملحقا او تابعا وانما حامل رسالة. لكنّ القادسية الثانية أضافتْ بُعدًا تراجيديًا لم تعرفه الأولى، الحربُ الحديثةُ التي تطحنُ البشرَ بالمدافع والصواريخ والطائرات، حيثُ لم يعد السيفُ هو الفاصلَ الوحيد، بل أيضًا القدرةُ على تحمّل سنواتٍ من الدمار. ومع ذلك، بقي الجوهرُ واحدًا. فالعراقُ يُنتجُ أسطورتَه من رحمِ المأساة، كالمحارب القديم الذي ينهضُ كلّما سقط.

وفي هذا اليوم، لا بد من أن نعود إلى نقطة البداية. لا كتكرار لما كان، بل كبوصلةٍ لما ينبغي أن يكونَ وامتدادا لنقطة البداية، العودة إلى عام (١٩٤٧) ليست حنينًا إلى لحظة الميلاد، بل استدعاء للشرارة الأولى التي أطلقت مشروع النهضة، يوم كان البعث فكرةً في حالة اشتعال، (وحدة، حرية، اشتراكية). واليوم، في زمن التصدع والانقسام، تبدو العودة إلى الجذر، لا كماض، بل كطريق للمستقبل. فكما وُلِدَ النصر من رحم المحنة، فإن النهضة الجديدة تُولد من لحظة الوعي بأن الرسالة لا تموت إذا حملها شهداؤها في دمهم، لا في شعاراتهم.

وفي هذه اللحظة، لا يمكننا إلا أن نركع إجلالاً أمام شهداء الأمة العربية في كل الميادين. أولئك الذين سقطوا في فلسطين وهم يقاتلون لإبقاء النبض عربيًا رغم مجازر الإبادة . أولئك الذين واجهوا الاحتلال في لبنان، وفي الجولان، وفي اليمن،وفي سيناء، وفي ليبيا، وفي السودان، في العلمين و عين جالوت وحول القدس... وفي كل ساحة كانت المعركة فيها عنوانًا للشرف. وإلى شهداء القادسية الثانية، الذين جعلوا من الوديان والاهوار والصحارى ملحمة، ومن الجراح قصيدة. وإلى شهيد الحج الأكبر، صدام حسين، الذي واجه قدره مؤمنا واقفًا، كما يليق بقادة يولدون من رحم الأمة العربية ومعاناتها النضالية، لا من صدفة السلطة. لقد كان استشهاده، واستشهاد رفاقه، حسن ختمًا لمرحلة ، وبداية لسؤال جديد، من يحمل الراية؟ من يكتب بيان البيانات القادم؟ من يواصل الطريق؟

يوم النصر لا يكتمل في ذاته، بل حين يُربَط بدائرة المعنى الأكبر، أن انتصار العراق يومها لم يكن انعزالاً، بل مفصلاً في صراع الأمة العربية المركزية في فلسطين، وحائط صدٍّ أمام تمددٍ فارسيٍّ أراد تفكيك العروبة من خاصرتها الشرقية. القادسية الثانية كانت رسالة إلى كل عربيّ يقاوم، بأن المقاومة ليست بندقية فقط، بل منظومة وعي، واعداد بمستوى رسالة، وحضارة. وأن النصر في العراق كان تمهيدًا لصمود بيروت، ودعمًا لصبر غزة، وصدىً لحجارة جنين ونابلس والخليل. والهاما للانتفاضات الشعبية، الأمة العربية واحدة، وملاحمها أجزاء من ملحمة كبرى لا تكتمل إلا بالتحرير الشامل، والانبعاث القومي الوحدوي، والعدالة الاجتماعية.

في يوم النصر نتأمل لا لنتذكر فقط، بل لنواصل. لأن الأمم التي تنتصر لا تنام على أمجادها، بل تصحو في كل فجر لتعيد تعريف المجد. النصر الحقيقي هو أن نواصل الحرب والجهاد والمقاومة حتى في زمن السلم: أن نعيد بناء الإنسان العربي، وعيًا، وكرامة، وموقفًا. لأن الذي انتصر في القادسية الثانية لم يكن جيشًا فقط، بل شعبا من المحيط الي الخليج، أمة عربية صممت ألا تموت.

لم تكن ساحاتُ القتال وحدها هي التي شهدتْ صناعةَ النصر، بل أيضًا البيوتُ التي رنّتْ بأغاني المقاومة، والمقاهي التي سمعتْ قصائدَ الفخر والألم. فالثقافةُ الشعبيةُ كانت جبهةً موازيةً تُذكّي روحَ الصمود، التي حوّلتْ جراحَ الجنود إلى نغماتٍ تذرف الدمعَ والكبرياء معًا. أو قصيدة (العراقُ ينتصر)، لمظفر النواب، التي صارتْ هتافًا جماعيًا يُردّدُه المقاتلون بين الخنادق. حتى الأغنياتُ الشعبيةُ العفوية الشجية، تحوّلتْ إلى رثاءٍ للمفقودين وتمجيدٍ للأحياء. فالفنُّ في زمن الحرب لم يكن ترفًا، بل كان سلاحًا يُعيدُ تركيبَ الذاكرة الجمعية، ويحوّلُ الهزيمةَ المؤقتةَ إلى أملٍ، والموتَ إلى خلود. واليوم، حين نعيدُ سَماعَ تلك الألحان، ونقرأ قصائد حميد سعيد، ويوسف الصائغ وغيرهم نكتشفُ أن النصرَ لم يكنْ مجرّدَ حدثٍ عسكري، بل كان صوتًا يتردّدُ في وجدانِ كل عراقي وعربي يعرفُ أن الدمَ يُنبتُ زهرَ الحريةَ ويشعل قنديل الاتى.

وفي النهاية، ليس السؤال: كيف انتصر العراق؟ بل: كيف سيبقى انتصاره حيًّا فينا؟ كيف نحمله من معركة إلى معركة، ومن جيل إلى جيل؟

لم يُطرح سؤال، كيف نستلهم النصر اليوم في مواجهة التحديات الراهنة (فشل الدولة القطرية، مقاومة الاحتلال الأمريكي، التقسيم الطائفي والمذهبي والجهوي...). لأن القادسية الثانية ليست صفحة طويت، بل شعلة علينا أن نُبقيها مشتعلة، حتى تحرر الأمة العربية . السؤال ليس كيف انتصرنا بالأمس، بل كيف نُحيي هذه الإرادة اليوم لمواجهة العدوان والفساد والاستبداد والافراط في التبعية الاستقواء بالاجنبي.

البعث في لبنان.. نضال وطني تحت راية الشرعية القومية

البدايات الأولى للبعث في الجنوب اللبناني

د. عبده شحيتلي

(الحلقة الثانية)

اول من حمل راية التبشير بالبعث في جنوب لبنان بعد العام ١٩٤٧ غسان شرارة من بنت جبيل والدكتور علي جابر من النبطية، وأبرز مسارح النشاط كانت الكلية الجعفرية في صور، والمقاصد في صيدا.

انتسب الدكتور علي جابر الى حزب البعث عندما كان على مقاعد الدراسة في كلية الطب في جامعة دمشق ، وصلته المبكرة بالبعثيين الأوائل هناك أهلته لكي يحضر المؤتمر التأسيسي عام ١٩٤٧ ، لذلك لم يكن غريباً تكليفه بمتابعة بؤر التنظيم عندما كانت الرسائل تصل الى قيادة البعث في سوريا من الراغبين بالانتساب الى التنظيم في جنوب لبنان عامة ، إضافة الى الخلايا الأولى في منطقة النبطية،بعد عودته الى النبطية وفتح عيادة فيها. وقد برز دوره القيادي على صعيد لبنان بعد انتظام العمل الحزبي وفقاً للنظام الداخلي ، وخاصة في المؤتمرات القطرية . وكان محي الدين محي الدين من الرعيل الأول للبعثيين الذين عملوا مع الدكتور علي جابر ؛ يذكر القائد البعثي ظافر المقدم أن ،من بين المحطات التي اثرت في وعيه السياسي، مشاهدة رموز ثورة ١٩٥٨ في النبطية ومن بينهم محي الدين محي الدين الذين تأثر بمشاهدتهم يلبسون اللون الكاكي عندما كان يافعاً، ويروي أنه عمل في كراج المقدم في " مواجهة محل محي الدين محي الدين الذي كان يزوره صديقه الحميم الشيخ علي الزين يومياً ... هذا الشيخ الجليل والشهير كانت له صلة سابقة بحزب البعث ، ومع تكرار مروره للسلام والكلام اللطيف والهادف تأثرت بما كان يقدمه من مفردات عن العروبة والتغيير وعن الرهان على الشباب الثائر والجيل المقاوم ... وكان على صلة بموسى شعيب الذي قدم الى النبطية كمعلم في ثانوية الصباح الرسمية ".(- المقدم ، ظافر. مخطوطة مذكرات غير منشورة ، محفوظة في مكتب الدراسات والنشر)

في بدايات العام ١٩٥٢ كان التنظيم الحزبي في النبطية قد وصل الى مستوى شعبة ، يؤكد ذلك نص من نشرة داخلية منشورة في " نضال البعث " ورد فيه أن "القيادة الفرعية في لبنان تثني على شعبة النبطية على ما كانت عليه من حماسة ونظام أظهر جوهر الحزبيين وعمق إيمانهم ورغبتهم بالعمل المستمر" (- نضال البعث ، ج٨، دار الطليعة بيروت ، ط١ ، آذار ١٩٧٢.) . هذا التنويه بالتنظيم الحزبي في النبطية الذي جاء في سياق الحديث عن مشاركة شعبة النبطية في مهرجان الشهداء في صيدا، يبين أنه كان الأكثر تميزاً على مستويي التنظيم والعمل ، وذلك يعود بالتأكيد للكادرالأول ، وعلى رأسه الدكتور علي جابر. وقد امتد الانتشار الحزبي في هذه الفترة ليصل الى اقاصي الجنوب ، يؤكد ذلك الاستاذ حسن غريب الذي انتظم في خلية حزبية في بلدة الخيام أواخر الخمسينات قبل انتقاله الى بيروت لمتابعة الدراسة في دار المعلمين ومتابعة انتظامه الحزبي هناك في خلية ضمت اليه عبد الحليم البعلبكي إبن بلدة العديسة والذي اصبح فيما بعد من أبرز الفنانين اللبنانيين.

يروي الدكتور مصطفى الدندشلي في مقابلة تتعلق بتاريخ البعث في لبنان أنه عندما انتظم في أول حلقة حزبية تشكلت من خمسة أعضاء في المقاصد - صيد ، اتصل غسان شرارة بأكرم الحوراني طالباً التوجيه لتكون الحلقة داخل التنظيم الحزبي ، فرد عليه بإعطائه عنوان الدكتور علي جابر في النبطية ، ومجموعة من البعثيين في الجامعة الأميركية في بيروت. ويؤكد أن انتظامهم حزبيا تم بعد اللقاء مع الدكتور علي جابر، وسعدون حمادي ومحمد عطاالله "إبن صيدا" اللذين كانا يتابعان الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت ، في العام الدراسي ١٩٥١-١٩٥٢. هذه العلاقة بين غسان شرارة وأكرم الحوراني ، كانت قد بدأت في بنت جبيل حين كان البعثيون يتطوعون للقتال بعد نكبة ١٩٤٨ ،وكان أكرم الحوراني يحضر الى بنت جبيل حيث تحول بيت والد غسان السيد موسى الزين شرارة الى "ملتقى وناد ومكتب للحركة الوطنية والاتجاهات القومية العربية" .(- مقابلة د. مصطفى دندشلي مع المحامي نعمة جمعة حول بدايات البعث في بنت جبيل نشرها المركز الثقافي للبحوث والتوثيق.)

انتشر البعث في بنت جبيل وقضائها بفعل حضور قيادات البعث وتفاعلهم مع الأوساط الشعبية في المنتديات والمقاهي، ولارتباط القضية الفلسطينية بمسألة العروبة ومقاومة المشاريع الاستعمارية ، بعد مبادرة مؤسسي البعث وكوادره

للمشاركة الفاعلة مع المتطوعين العرب في مواجهة الاحتلال الصهيوني لفلسطين.

بدأت أفكار الحزب بالانتشار في أوساط الأساتذة والطلاب ثم امتدت الى مختلف الشرائح الاجتماعية ، الدليل على ذلك هو أن عبد اللطيف ناصر العامل في مجال صناعة الأحذية الذي اشتهرت فيه بنت جبيل، وكان وسيلة كسب للعيش عند فئة واسعة من الكادحين كان ناشطاً الى حد كبير في العمل التنظيمي، ووصل الى موقع عضو قيادة فرع الجنوب .

انتشر الحزب في العديد من قرى بنت جبيل التي أصبحت "مقفلة للبعثيين" ومنها رشاف وكفردونين وعيناتا وشقرا وعيترون وبارون والسلطانية وبرعشيت ... الخ. وامتد التأثير البعثي الى عين إبل بعد تنظيم خلية بعثية بمسؤولية خليل صادركانت بداية الانتساب لصفوف الحزب ، في بنت جبيل، محصورة بالمعلمين والطلاب ثم انتشر التنظيم الحزبي في صفوف العمال والكادحين ، لا سيما عمل مصانع الأحذية التي تشتهر فيها بنت جبيل، ويذكر المهندس واصف شرارة من بينهم حسن الشيخ علي زين شرارة وبهجت بزي ونزيه سعد (شرارة ، المهندس واصف ، مقابلة بعنوان : هكذا نشأ القوميون والبعثيون والقوميون العرب على منصة: www.manateq.net

يؤكد المهندس شرارة أن أول المنتسبين في صفوف الحزب مع بداية الخمسينات كان الاستاذ احمد شرارة المدرس في مدرسة بنت جبيل الرسمية ، ويذكر المحامي محمود بيضون أن الاستاذ أحمد شرارة دعاه لزيارته في منزله عندما كان تلميذاً في مدرسة بنت جبيل ليفاجأ بوجود عدد من التلامذة وجلهم من المجتهدين والفقراء ، واخذ يشرح لهم ما حدث أثناء الحرب في فلسطين التي ادت الى النكبة وبدأ يوزع عليهم منشورات البعث.(بيضون محمود . من حنايا الذاكرة ، بيروت ٢٠١٦ ،ص ١٥). ومن أوائل البعثيين في بنت جبيل غسان شرارة الذي لعب دوراً كبيراً خارج منطقة بنت جبيل على مستويين : القيادة ،وانتشار التنظيم الحزبي.

من بنت جبيل انتقل التاثير الحزبي الى الكلية الجعفرية في صور والمقاصد في صيدا. يقول إبن بنت جبيل المحامي نعمي جمعة الذي شغل مواقع أمين سر فرقة بنت جبيل عام ١٩٥٩ إنه دخل الى البعث بفضل الجو البعثي عندما كان يتابع دراسة الصف الأول تكميلي في الكلية الجعفرية في صور ، ويصف الكلية بأنها كانت خزاناً للبعثيين ؛ فصاحبها السيد عبد الحسين شرف الدين هو جد البعثي حسين شرف الدين المدير والأستاذ في الكلية الذي الذي شغل في الخمسينات موقع عضو قيادة فرع في التنظيم الحزبي، وكان دوره أساسياً في انتشار البعث في صور ومنطقتها.

وصل التأثير البعثي على الصعيد الاجتماعي في منطقة صور الى الحد الذي سمح بفوز جعفر شرف الدين، إبن السيد عبد الحسين، بالانتخابات النيابية بفعل دعم البعثيين له باعتباره متعاطفاً مع البعث، دون الانتساب الى التنظيم. ويروي حسين وهبي فران الذي انتسب الى البعث عام ١٩٥٩ أن من أوائل البعثيين في صور

: حسن محي الدين وجميل شغري وعلي الحلاق وجمال قدادو وكامل زعتر ودرويش شام والسيد محسن شرف الدين ، ويؤكد أن حسين شرف الدين كان من أنشط البعثيين في صور ، يقود المظاهرات ، ويأتي بالسلاح من سوريا أثناء ثورة ١٩٥٨ التي انخرط فيها البعثيون ضد سياسة الرئيس شمعون وحلف بغداد في ذلك الحين. ويضيف نعمي جمعة الى أسماء البعثيين الأوائل في صور بشير شام الذي كان يلقب بعفلق الصغير. ويذكر ان محسن شرف الدين هو اخو حسين شرف الدين وكان لقبه شاعر البعث في صور مثلما كان لقب فضل الأمين شاعر البعث في بنت جبيل. كذلك يذكر محمود بيضون أنه بعد نيل شهادة البروفيه انتقل للدراسة في الكلية الجعفرية في صور وهناك زاد اندفاعه "نحو الحزب كون أكثر الطلاب نضوجاً واجتهاداً كانوا ينتمون اليه بالاضافة الى أن جو هذه الكلية كان عروبياً طليعياً يدعم توجه الحزب بتشجيع من إدارة الكلية واساتذتها"(م.ن).وكان من أبرز خريجي الكلية الجعفرية البعثيين أمين سعد (الأخضر العربي) الذي كان من أوائل الشهداء البعثيين الذين سقطوا في مواجهة العدو الصهيوني.

لعب البعثيون في خمسينات القرن العشرين في منطقة بنت جبيل دوراجتماعيا كبيراً، " فقد أطلقوا حملة لإنشاء مدرسة في عيناتا من خلال التبرعات ساهم به أبناء البلدة والمغتربين البعثيين ... كما عملوا بمساعدة آخرين على فتح طريق الى بلدة رشاف التي كانت لا تدخلها السيارات".

البعث من بنت جبيل الى المقاصد ومدينة صيدا :

يروي د. مصطفى دندشلي كيف تشكلت أول خلية بعثية في كلية المقاصد في صيدا ،والدور الذي لعبه مديرها الأستاذ شفيق النقاش الذي كان ينتمي الى حزب النجادة في دفع وبلورة الوعي القومي العربي في المدينة، من خلال الدور الوطني والقومي الذي لعبته كلية المقاصد التي انطلقت منها التظاهرات ضد الانتداب الفرنسي ، والعديد من النشاطات الداعمة للقضية الفلسطينية ، إضافة الى مشاركة اساتذتها وطلابها في التظاهرات التي عمت صيدا بعد اعتقال سلطات الانتداب لرئيسي الجمهورية والحكومة عشية الاستقلال. كل ذلك شكل تربة خصبة وطنية وعروبية نبتت فيها، بسهولة، فكرة البعث، وانتشر فيها تنظيمه في الخمسينات بشكل واسع ومؤثر وكانت البداية ما بين العامين ١٩٥١-١٩٥٢ .

كان حزب النداء القومي من أبرز الاتجاهات العروبية في صيدا في ذلك الحين، وكان يضم بعض المثقفين والكوادر في المدينة الذين كانوا على صلة مع قيادة الحزب في بيروت، وخصوصاً آل الصلح الذين جمعتهم صلة قرابة اثرت في الانتماء السياسي. في هذا الإطار كان لرئيس الحزب كاظم الصلح وقريبه تقي الدين الصلح، الذي حافظ على صلة وثيقة بالبعث وقيادته في العراق حتى نهاية حياته، دور بارز في تأطير الشباب الصيداوي ، ومنهم الأستاذ شفيق لطفي والدكتور نزيه البزري، في

حزب النداء القومي. في هذه الأجواء العروبية التي سادت صيدا والمقاصد تعرف د. دندشلي في المقاصد على زميله غسان شرارة الذي أصبح صديقه المقرب ، وبواسطته تعرف على افكار البعث من خلال منشورات حزبية لميشيل عفلق، وأعداد جريدة البعث التي كان غسان شرارة يجدها في منزل والده موسى الزين شرارة ويحضرها معه الى صيدا. نقل غسان الأفكار والمبادىء التي تعرف عليها من خلال والده، فاعتبر نفسه بعثياً، وحمل هذه الأفكار الى اصدقائه المقربين عندما انتقل للدراسة في كلية المقاصد بداية العام الدراسي ١٩٥١-١٩٥٢ ، ومن بينهم عماد النوام ومحمد السيد إضافة الى مصطفى الدندشلي .عن طريق محمد السيد انتقلت فكرة تأسيس اول خلية حزبية الى جاره الفلسطيني خالد البرد الذي نقلها بدوره الى صديقه الفلسطيني حسن الريان لتتشكل من هؤلاء الخمسة أول حلقة حزبية في مدينة صيدا، بعد أن بادر غسان شرارة للإتصال بصلاح البيطار لتنظيم علاقة هذه الخلية رسمياً بالتنظيم الحزبي، وليصبح الطالب البعثي الصيداوي الذي كان يتابع الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت محمد عطاالله المشرف على التنظيم الناشىء في صيدا. إضافة الى هذه الخلية كان الأستاذ نجيب الزين الذي انتسب الى الحزب أثناء عمله كمدرس للأدب العربي في دير الزور، من الرعيل الأول للحزب في صيدا، وكذلك الدكتور رفيق حنينه الذي كان قد انتسب للحزب أثناء دراسته الطب في سوريا ، وهما من الذين كانوا يدعمون الحزب مادياً، لوجودهما خارج لبنان ، الأمر الذي منعهما من المساهمة في انتشار التنظيم.

في كلية المقاصد استقطبت الخلية الحزبية الناشئة معظم الطلاب النشيطين ومن بينهم فؤاد ذبيان وعاصم قانصوه ورياض رعد وهم من الطلاب الذين اتوا الى صيدا للدراسة ، ومن ابرز الذين انتسبوا الى البعث في هذه الفترة حسيب عبد الجواد من خلال علاقة الجيرة التي كانت تربطه بكل من محمد السيد وخالد البرد. من خلال طلاب المقاصد انتشرت افكار البعث الى أهاليهم ومحيطهم الاجتماعي ؛ هذا الانتشار شجع الطالب محمد عطاالله الذي كان على صلة بالكادر المركزي الأساسي للبعث في الجامعة الأميركية في بيروت على طرح فكرة تنظيم مهرجان مركزي للحزب في صيدا بمناسبة يوم الشهداء في ٦ ايار عام ١٩٥٢ ، وبادر للإتصال بمدير كلية المقاصد لنيل موافقته على ذلك

يروي الدكتور مصطفى دندشلي ما يذكره عن هذا المهرجان فيقول: " إنه كان حاشداً ، وأقيم في القسم الغربي السفلي للكلية ، في الساحة الكبيرة المستطيلة والعريضة للصفوف المرحلة الابتدائية ، وإلى جانب حضور جميع طلاب المقاصد ، حضرته مجموعة مجموعة كبيرة من الطلاب العرب البعثيين والعروبيين في الجامعة الأميركية ، بالإضافة الى

حشد من أهالي صيدا ومن المثقفين والبعثيين الجنوبيين مع الدكتور علي جابر . ومن الخطباء : عريف المهرجان أحمد الصلح (وهو أحد الطلاب الصيداويين في الجامعة الأميركية في بيروت) ، وأيضاً عاطف دانيال (بعثي من سوريا) وجمال الشاعر من الأردن وسعدون حمادي ومحمد عطاالله وعلي فخرو (من البحرين)، وآخرون. في هذا المهرجان الخطابي العروبي ، رفعت في اجواء كلية المقاصد الإسلامية في صيدا شعارات البعث ،وهتافات الطلاب البعثين المحتشدين تدعو الى الوحدة العربية ،والتحرر من الاستعمار ،والديمقراطية ،والعدالة الاجتماعية بصيغة تحقق الاشتراكية العربية، ثم عند الانتهاء سار الجمهور في تظاهرة مخترقة شوارع صيدا الضيقة، وفي المقدمة الطلاب البعثيون وهم يهتفون ويرفعون شعارات الحزب لأول مرة في الوحدة والحرية والاشتراكية."

بعد هذا المهرجان توسع الانتشار الحزبي في صيدا ومحيطها ، وازداد الانتساب للحزب فدخل الرعيل الثاني من طلاب المقاصد ومنهم : فؤاد ذبيان وغازي البساط ونزيه كالو وحسيب عبد الجواد ونديم المجذوب وحسن عبد الجواد ومحمود دندشلي وهشام البساط وبسام الزعتري وعبد الفتاح العبداوي ويوسف جباعي ورائف الزين وفيما بعد حسن بركات ومصطفى شريف حجازي، وغيرهم. ومن النقابيين اسماعيل النقيب ويوسف فتوني ، ومن الكسبة محمود حبلي، وسليمان الزيتوني ...

ومن أبرز البعثيين الذين لعبوا دورا هاما في التنظيم الحزبي في صيدا، والجامعة الأميركية فيما بعد، المحامي خالد لطفي الذي تابع دراسته في مدرسة الفنون الإنجيلية (مدرسة الأميركان)حيث كان عدد قليل من الطلاب ينتمون للبعث من بينهم باسل عطاالله الذين كان في صف اعلى. انتسب خالد لطفي الى الحزب عام ١٩٥٧ عندما كان في الرابعة عشرة من عمره بتأثير من إبن خالته نبيه حشيشو، وبات عضواً في إحدى حلقات الأنصار، في حلقة طلابية تضم من هم أكبر منه سنا، ومنهم جميل بساط وعفيف ابو زينب الذي تسلم خلال أحداث العام ١٩٥٨ " الأمن الداخلي " في صيدا،بعد أن ذهب مع حزبيين آخرين من بينهم حسيب عبد الجواد الى سوريا للتدرب على استعمال السلاح والأعمال العسكرية والمقاومة المسلحة كان للبعثيين في هذه الفترة دور كبير في نجاح معروف سعد في الانتخابات النيابية عام ١٩٥٧ ، وكانت العلاقة معه وثيقة جدا في فترة أحداث ١٩٥٨ ،وفي العام ١٩٥٩ توسع التنظيم الحزبي في صيدا وبات موزعاً على شعبة حزبية، وثلاث فرق : فرقة الطلاب التي انتخب خالد لطفي عضواً في قيادتها ، وفرقة العمال ، والفرقة النسائية. وتشكلت قيادة الشعبة من خمسة اعضاء هم اسماعيل النقيب ، وخضر الصباغ ، وخالد البرد وحبيب بديع إضافة الى خالد لطفي. وانتخب خالد البرد وكمال منصور لعضوية فرع الجنوب. تجاوز عدد الأعضاء العاملين في التنظيم الحزبي في هذه الفترة المئة، وعدد الأنصار المنتظمين في خلايا حزبية الألف والثلاث مئة .وفي العام ١٩٦٠ بات الحزب يتمتع بالامتداد الأقوى والأوسع فأنشأ ناديا علنياً في شارع رياض الصلح (بناية الحاج أحمد البزري)، وحقق حضوراً مهيمناً في جمعية الأدب والثقافة . انتقل خالد لطفي فيما بعد الى بيروت لمتابعة الدراسة في الجامعة الأميركية حيث اصبح عضوا في قيادة الفرقة التي تولت أمانة سرها ليلى بقسماطي، قبل ان تنتخب في القيادة القطرية، ليحل خالد لطفي مكانها في أمانة سر هذه الفرقة. ويروي خالد لطفي أنه في العام ١٩٦٢ اتصل به رغيد الصلح وأخبره أنه وأصدقاؤه من القوميين العرب معن بشور وعماد شبارو يرغبون بالانتساب الى الحزب .

استمر التنظيم الحزبي في صيدا والجنوب موحداً وقوياً حتى انعقاد المؤتمر القومي الخامس (في أيار ١٩٦٢)حيث انعكس الانقسام القومي على الواقع القطري ، ونشأ صراع بين تيارين أحدهما مرتبط بميشيل عفلق والآخر مختلف في الرؤية وموقفه سلبي من القيادة القومية ، تجسد هذا الموقف بالاتجاه الذي سلكه حسيب عبد الجواد ومجموعة معه تضامنوا مع موقف اعضاء القيادة القطرية المناهض للقيادة القومية، بينما كان باسل عطاالله مؤيداً للقيادة القومية ، وكذلك عبد الفتاح العبداوي وخالد البرد . أما خالد لطفي وهشام البساط فقد اتخذا موقفاً يدعو الى "عملية إصلاح من داخل الحزب ، لا من خارجه أو الانشقاق عنه " ، قبل أن يغيرا موقفهما بعد اللقاء بخالد يشرطي ومحسن أبو ميزر في "مطعم فيصل في بيروت"، ليتحولا الى تأييد موقف القيادة القطرية المنبثقة عن المؤتمر القطري في لبنان، وينفصلان عن القيادة القومية في أيلول عام ١٩٦٢ .

واقع الانقسام هذا، الذي تفاقم بعد انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في أيلول ١٩٦١ ترك اثره على التنظيم في كل لبنان، وما ينطبق على الجنوب يماثل تماماً ما جرى في البقاع والشمال ،وبيروت حيث كانت قيادة التنظيم..

-ملاحظة هامة : لما كانت الوثائق التي تؤرخ لهذه الفترة قليلة، وحيث لا يستبعد النقص أو الخطأ نرحب بكل معلومة تصحح او تضيف بما يفيد الموضوعية والحقيقة>

الحق الفلسطيني ما بين الأمس واليوم

خالد مصطفى رستم

- منذ ١٩٤٨ وحتى اليوم قاتل العرب المحتل الصهيوني عبر حروب حدثت في فترات متقطعة من تاريخ الاحتلال الصهيوني لفلسطين العربية وفي كل الحروب : ٤٨ - ٥٦ - ٦٧ - ٧٣ - ٢٠٢٤ حصلت اسرائيل على مزايا وتفوق ووحسم للمعارك سواء أكانت تقاتل بامكانياتها او بالاستعانة بأمريكا والغرب وبموجب ذلك التفوق حققت مكاسب اضافية واحتلال أراضي جديدة وغير ذلك .

- ما كان مرفوض سابقاً عند غالبية الدول العربية (اعتراف أو حل الدولتين ..او الصلح مع الكيان الصهيوني) اصبح حالياً مطلب رئيسي يناضلون من أجل تحقيقه والعدو الصهيوني رافضاً لبعضه (حل الدولتين) ومباركاً للاعتراف والصلح .

- القمم العربية اجمعت على أنها تؤيد خيارات الشعب الفلسطيني وماتراه مناسباً منظمة التحرير الفلسطينية واليوم الحكومة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية يلهثون خلف حل الدولتين ومستعدو-ن للاعتراف بالكيان الصهيوني وحتى الفصائل المتشددة وبعد ان خسرت الكثير من قواعدها وامكانياتها تطالب بوقف دائم للقتال في غزة مع ضمانات دولية . - المقاومة الفلسطينية في غزة لم تقاتل باسلوب المقاوم المتعارف عليه وانما اختارت المواجهة المباشرة مع الجيش الصهيوني ورغم شجاعة واستبسال المقاوم الفلسطيني وثباته الا أنها خسرت الكثير من الشهداء في صفوفها وعشرات الآلاف من شعبنا في غزة الحاضن لها .

ومهما كانت نتائج المواجهات التي خاضتها المقاومة الفلسطينية وبالرغم من حجم التضحيات الكبير جداً الا انها نجحت في ادامة الصراع مع العدو الصهيوني وهذا مطلوب ريثما يتحقق قيام الدولة العربية الكبرى ,

-. الموقف الشعبي وموقف الأحزاب القومية والوطنية الداعم للمقاومة وللقضية الفلسطينية مغيب وغير مؤثر .

بعض الأقطار العربية محتل بالنيابة من قبل ايران وبعضهم من قبل أمريكا والغرب وقرار هذه الدول بيد المحتل .

منذ بدايات القرن الحالي وحتى اليوم عمل أعداء الأمة على زج جماهير شعبنا في معارك عبثية بين مكوناتها حيناً ومع الحكام أحياناً والخاسر الوحيد من هذا الإقتتال هو شعبنا .

-نتيجة الاحتلالات بالنيابة والاقتتال بين مكونات شعبنا هنا وهنا فقدت غالبية جماهير أمتنا الكثير الكثير من مقومات حياتهم الأمنية والاعتبارية والمادية وأوصلوا حالهم أن يتنازلوا عن القيم الوطنية والقومية ويصبح هاجسهم الأول والأخير لقمة عيشهم أوعلبة دواء لمريض من افراد اسرتهم .

ما تم تهديمه في الإنسان العربي والبنيان هائل وكما نعرف أن الهدم سهل والبناء يحتاج لامكانيات ولوقت وخاصية بناء الإنسان .

كل ما معمول به من اجراءات وحلول للعجز المطلق الذي وصلت به أقطار الوطن العربي سراب بسراب ونتائجه كارثية على الوطن العربي .

لنعمل بكل امكانياتنا على تحقيق الدولة العربية الواحدة فهي ماء حياة أمتنا ووحدها القادرة أن تعيد للأمة مكانتها بين الأمم وتحقق العيش الأفضل للمواكن وتعيد له كرامته .

رحم الله شهداء المقاومة وتحية اعتزاز لتضحياتهم

فلسطين تتصدر العالم ...
غزة تحاكم العالم ...

أحمد علوش

مع النكبة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٤٨، رفع العرب كل العرب شعار تحرير فلسطين. وأدرك الجميع أن هذه النكبة التي طالت تداعياتها المباشرة أبناء الشعب العربي الفلسطيني ليست إلا تحولاً خطيراً في الصراع الوجودي بين أمتنا وأعدائها لتصبح فلسطين قضية مركزية عند الجماهير العربية وقواها القومية الحية التي شددت على العلاقة الجدلية بين الوحدة والتحرير، وبوابة حفظ الماضي وضمانة الحاضر وحماية المستقبل. إلا أن النظم الرسمية العربية التي دخلت حرب عام ١٩٤٨ كان هدفها تنفيذ قرار التقسيم لا استعادة الأرض. كما أن الأنظمة التي جاءت بعد ذلك تبنت شعار الجماهير ورفعت عناوين التحرير وغيبت عن الممارسة هذه الشعارات وجوفتها من حقيقتها، وتخلت عنها في مرحلة لاحقة بعد هزيمة الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ عندما استبدلت الاستراتيجي بالمرحلي من خلال الدعوة إلى إزالة آثار العدوان وانسحاب العدو من الأراضي التي احتلت في تلك الحرب إلا أن قمة الانحدار والتراجع برزت جلية في أعقاب حرب تشرين أول عام ١٩٧٣ (حرب التحريك لا التحرير) لينخرط بعضها في نهج تراجعي انحداري لتسوية كان واضحاً أنه يعني في محصلته النهائية أحكام نهج السيطرة الأميركية الصهيونية على كل مقدرات الوطن العربي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الذي بات يعرف هذه الأيام بالتطبيع بعد سلسلة من الأحداث والمتغيرات نقلت هذه الأنظمة إلى تابعٍ لسياسة أميركا وساعٍ لعلاقات ملحقة بشكل أو بآخر بالكيان الصهيوني الذي يبشر بشرق أوسط جديد، الكلمة العليا فيه للكيان الاغتصابي ومشاريعه، وأدت سلسلة الأحداث والتطورات وهي كثيرة ومتلاحقة إلى تحييد الجماهير العربية وتغييب دورها.

منذ أكثر من قرن والفلسطينيون ومعهم الجماهير العربية في مرحلة ولوحدهم في مرحلة لاحقة، خاصة بعد ضرب الحالات المتقدمة في الوطن العربي، ظل الفلسطينيون في خندق الدفاع الأمامي عن قضيتهم وقضايا أمتهم، وواجهوا بالسواعد القوية والصدور المؤمنة العارية، واستطاعوا

أن يحافظوا على حقهم التاريخي في وطنهم، وأن يعيدوا الحيوية لقضيتهم لتصبح قضية العصر في مواجهة اغتصاباحلالي يرتكب أبشع أنواع الجرائم على كل المستويات.

لقد استطاعت قضية فلسطين أن تدق صدر العالم، ساعية إلى احلال العدالة، وشاهدة على الظلم والعنصرية والعدوان، وهي الآن بدماء أطفالها وصمود شعبها تستقطب غالبية قطاعات الرأي العام العالمي وتكشف في الوقت نفسه زيف شعارات الغرب والقوى الاستعمارية عن الإنسانية والعدالة وحقوق الإنسان واصطفافه خلف جرائم العدو وحرب الإبادة ومدّه بكل أسباب القوة منسجمة بذلك مع أهدافها في تصفية القضية الفلسطينية كمدخل للسيطرة على الوطن العربي وإخضاعه وموظفة التطورات الأخيرة في أكثر من ساحة من أجل تحقيق هذا الهدف.

وفي ظل ما يستهدف الوطن العربي من تطورات وتفلت صهيوني يلعب فيه الأميركي دور الشريك ان لم نقل الراعي وليس المساند تظل الأنظار شاخصة إلى غزة، وبصعوبة إلى الضفة الغربية حيث ينفذ الكيان الاغتصابي أكبر وأبشع جرائم العصر وهو إبادة الفلسطينيين قتلاً وتجويعاً واقتلاعاً ودعاوى إلى التهجير القسري أو الطويل لا فرق لمن تكتب له الحياة من محارق العدو الذي يتحضر بتأييد أميركي مطلق لتصعيدها عبر العدو بحملة عنصرية لاجتياح ما تبقى من قطاع غزة واستكمال احتلال.

وأمام خطورة الوضع الراهن والاحتمالات المدمرة لما قد ينجم عن ذلك من خلال العملية الإجرامية التي بدأ العدو بتنفيذها لا بد من الإشارة إلى حقيقة أن أميركا هي صاحبة القرار الأول والأخير في هذا الأمر وهو ينفذ بالنيابة عنها والشراكة معها، فالمجرم نتنياهو وغيره من الصهاينة كانت كل المشاريع المطروحة احلاماتراود مخيلتهم ، ولكن من يساهم بترسيخها وتعميقها هو ترامب الذي يشاركهم جرائمهم، فهو الذي أعلن أنه مساحة كيان الاغتصاب قليلة ويفكر كيف يوسعها، كما أنه دعا إلى تهجير الغزيين وتحويل قطاع غزة إلى ما أسماه "ريفيرا الشرق الأوسط" في محاولة للذهاب أبعد ذلك من إلى نفط غزة وغازها والى بحرها، كما إلى دمائها الذي يجب أن تكون معبراً لقناة البحرين ومشاريع أخرى ترتبط بالطريق البري من الهند.

وفي موازاة الموقف الأميركي لا بد من ملاحظة أن دول الغرب تتماهى مع هذا الموقف، ورغم أن البعض يعتبر أن هناك افتراقاً في ذلك سواء من خلال الاعتراف المتوقع لبعض هذه الدول بالدولة الفلسطينية، وإدانتها للممارسات الإجرامية الصهيونية في غزة، والاستيطانية في الضفة، ودعواتها لإنهاء المعاناة والتجويع في غزة، فإنها لم تتخذ خطوات حاسمة على هذا الصعيد واكتفت بنوع من تسجيل المواقف لا يقدم ولا يؤخر أو ينهي معاناة أطفال يموتون عطشاً بعد أن منع عنهم العدو الاغتصابي رغيف الخبز وحبة الدواء، أما الأمم المتحدة فإنها ومنظماتها الإنسانية تجيد رفع الصوت ليس إلا . ومأساوية الصورة الراهنة هو الموقف الرسمي العربي الذي يلهث خلف التطبيع ويمارسه إما سراً أو علناً، ويبرز الخطر في هذا الاتجاه ليصبح السؤال الأكثر إلحاحاً أليس من العار على هذه الأنظمة بما تملكه من إمكانات وتختزنه من قدرات أن تقف عاجزة عن إيصال الغذاء والدواء للغزيين، وهي لم تتخذ حتى الآن إجراء حاسماً ولو بسيطاً في الضغط الجدي على العدو على مستوى العلاقات وتعليق عمل السفارات إلى غيرها من إجراءات وفي مقدمتها فتح المعابر، والموقف نفسه ينطبق على مايسمى بدول العالم الإسلامي .

أما الجماهير العربية التي يخرج بعضها في مظاهرات احتجاجية فهي مغيبة وضعيفة وفي بعض الأقطار تم إشغالها بصراعات جانبية أثنية ومذهبية لن تصب في أي حال من الأحوال إلا في مصلحة الكيان الاغتصابي وأهدافه، ورغم مأساوية الأوضاع وسوداوية المشهد الدامي يظل الحديث عن اليوم التالي شاغل كل الأوساط عبر طرح صيغ متباينة ومتناقضة، تصدر عن كلّ الأطراف بمن فيهم نتنياهو نفسه الباحث بين جثث ضحايا التجويع عن نصر موهوم ويتحدث عما يسميه عصر جديد هروباً من مآزقه الكثيرة والعديدة وتتراوح الأفكار بين الإدارة العسكرية للقطاع أو مدنية إذا اقتضى الأمر، او لجنة فلسطينية موالية للاحتلال، وربما إدارة دولية أو عربية للقطاع في اليوم التالي.

إن الحديث عن أكثر من صيغة يعبر عن المأزق العميق الذي يعيشه الكيان الاغتصابي رغم ما يطفو على السطح من نجاحات وهمية وانتصارات مزعومة، وهو يدرك كغيره من الساسة حتى العرب منهم أن فلسطين تتقدم على مستوى العالم وسلسلة الاعترافات الغربية بحل الدولتين تضعه أمام المأزق التاريخي لأن الحقيقة الفلسطينية ستظل هي الحاضرة في ضمير الفلسطينيين ووجدان كل العرب ولا بد أن تتقدم على مستوى العالم وشعوبه الرافضة للعدوان والجريمة والقتل، كما يدرك قادة العدو جميعاً، موالاة ومعارضة، أن إقامة دولة فلسطين مستقلة هي النقيض الحتمي والجوهري لكيان قام بفعل العدوان وعقلية الاغتصاب وأن كل الأوهام التاريخية والزيف والتشويه لن يلغي حقيقة أن فلسطين عربية وستبقى كذلك رغم الإبادة والتجويع والقتل الجماعي.

اليوم التالي سيكون لفلسطين كما كل الأيام القادمة رغم أنف نتنياهو وسيده الأميركي ترامب الذي أعطى الضوء الأخضر له لمواصلة حرب الإبادة في غزة، وليس على الفلسطينيين إلا مواصلة خيارهم الوحيد في الصمود مثل صخور تلك الأرض وعلى قواهم الفاعلة ترتيب البيت الفلسطيني من خلال منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت وستبقى ممثلهم الشرعي والوحيد في الداخل والخارج.

إن صرخة طفل فلسطيني جائع تفضح كل المتخاذلين وجوع أطفال غزة سينتصر على القتل والإبادة.

تصريحات نتنياهو عن إسرائيل الكبرى جريمة عدوان تستوجب الملاحقة الجنائية دولياً

تعرب المنظمة العربية لحقوق الإنسان عن إدانتها لتصريحات رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي "بنيامين نتنياهو" حول التزامه بما أسماه "حلم إسرائيل الكبرى"، والذي يعني رغبة حكومته في العدوان على أراضي دول عربية مجاورة، بما في ذلك مصر والسعودية والأردن ولبنان وسوريا والعراق والكويت وبعض أراضي دولة تركيا، والتي تكشفها الصورة المرفقة لخريطة ما يسمى "إسرائيل الكبرى".

وقال رئيس المنظمة المحامي علاء شلبي أنه لا يمكن الاستخفاف بتصريحات رئيس حكومة الاحتلال - والمتهم رسمياً بارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية في عموم أراضي فلسطين المحتلة ودول الجوار الإقليمي، ويقود بالفعل جريمة الإبادة الجماعية المتواصلة في قطاع غزة المحتل والتي يجري نظر دعوى بشأنها أمام محكمة العدل الدولية.

وأضاف شلبي أنه لا يمكن إغفال النظر عن خطورة تصريحات نتنياهو، حيث تُوضع خريطة ما يسمى بـ"إسرائيل الكبرى" على أكتاف زي جيش الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يعني أن هذه الدولة المزعومة تشكل هدفاً إستراتيجياً لسلطات الاحتلال، وهو ما يمكن أن يُفسر حديث حكومة الاحتلال عن "تغيير الشرق الأوسط" واتساع نطاق العدوان الجاري.

وبينما تؤيد المنظمة التصريحات العربية والدولية التي أدانت تصريحات رئيس حكومة الاحتلال، فإنها تؤمن أن هذه التصريحات تشكل في ذاتها جريمة عدوان على دول الجوار وتستدعي اهتمام كل من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، وذلك في ضوء المخاطر التي تقود إليها هذه التصريحات من مفاقمة التوتر الإقليمي وزيادة المخاوف على السلم والأمن الدوليين.

وتجدد المنظمة مطالبها باتخاذ المجتمع الدولي التدابير العملية الجادة التي تكفل ردع العدوان الإسرائيلي، والتنفيذ الفعلي لقرارات الشرعية الدولية، وضمان إنهاء حصانة الاحتلال الإسرائيلي وملاحقة ومحاسبة مرتكبي الجرائم الإسرائيلية.

وتحذر المنظمة من أن التهاون الدولي إزاء الجرائم الإسرائيلية يقود العالم إلى مخاطر جمة، سيما بالنظر إلى تفاقم الحساسيات الروحية التي فاقمتها تصرفات وتصريحات الصهيونية الدينية التي باتت تحكم سلطات الاحتلال، والتهديد الملموس الذي يمس بالمقدسات في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

القاهرة في ١٤ أغسطس/آب ٢٠٢٥

المقاومة الخفيّة: كيف تحارب الفلسطينيات الاحتلال بـ(سلاح) الأمومة والتعليم؟...

أ. طارق عبد اللطيف أبو عكرمة - السودان

المقدمة: (عندما تتحوّل الحياة إلى مقاومة هادئة تتحدّى العدم): في فلسطين العربية المحتلة، حيث تقايض النساء يوميًا ما بين الحصار والحنان، لا تُقاس البطولة بعدد الطلقات، بل بعدد المرات التي أعدن فيها تعريف معنى (البقاء). هناك، في المسافة الفاصلة بين أنقاض البيت وبين مائدة الطعام، تولد مقاومة أخرى، مقاومة لا تُدوّي في نشرات الأخبار، لكنها تسري في حليب الأمهات، في صوت الحكاية قبل النوم، في إصرار المدرسة على فتح أبوابها رغم الدمار.

المرأة الفلسطينية لا تقف أمام العالم كضحية تبكي، بل كمُبدعة تُشيد مستقبلًا من هشيم اللحظة. لا تُمارس الحياة بوصفها عادة بيولوجية، بل بوصفها احتجاجًا صامتًا على مشروع استيطاني يُريد أن يُفرغها من المعنى. هي تلدُ لا لأنها امرأة، بل لأنها تدرك أن كل طفل يولد، هو صفعة في وجه النسيان. وتعلّم، لا لأنها موظفة، بل لأنها تعرف أن العقل الذي لا يُغسل، هو القلعة الأخيرة التي لا تُقصف.

إن المقاومة ليست دائمًا ما يُرى. أحيانًا، تكون في الهمس، لا في الهتاف، في القدر، لا في المدفع. في الأغنية التي تُغنّيها أم لطفلها بينما يحلّق فوقهما الطيران. في تلك التفاصيل اليومية التي تُبقي الفكرة حيّة حتى حين يُجهّز على الجسد.

١. الأمومة كجغرافيا للهوية وبيان ضد الإلغاء:(الرحم الذي يُقاوم المحو: الولادة كبيان وجودي): ليست الولادة في فلسطين فعلًا بيولوجيًا محضًا، بل إعلانًا عن استمرار الذات في وجه مشروع يُراكم الخرائط بدل الأجنة. كل طفل يولد هناك، ليس مجرد جسد جديد في عالم مكتظ، بل هو شاهد جديد على حقيقةٍ يريدها العدوُّ طيّ النسيان. الرحم الفلسطيني لا يلد من أجل العدّ السكاني، بل من أجل الاحتفاظ بالاسم، بالمكان، بالذاكرة.

في المخيمات، حيث لم يبقَ من الوطن سوى الاسم، تتحوّل الولادة إلى فعل استعادة. يُولد الطفل لا ليبدأ من الصفر، بل ليُواصل سيرةً قُطعت قسرًا. يولد وهو محمّل بمهام تاريخية، كأنه جنديّ في جيش صامت، مهمّته الوحيدة أن يكون حيًّا، حاضرًا، غير قابل للمحو. فالجسد الأنثوي في فلسطين هو آخر ما تبقّى من السيادة الوطنية.

٢. الطعام كأرشيف: (المطبخ الفلسطيني كمتحف للذاكرة الحيّة): حين تعدّ المرأة الفلسطينية وجبة الزعتر والخبز، لا تطبخ فقط لتُطعم، بل لتُذكّر. كل وصفة تُمارَس هناك هي فصلٌ من كتاب غير مكتوب. الملح، الزيت، السمن، القمح، ليست مكوّناتٍ للغذاء فقط، بل عناصر مشهدٍ زراعي مفقود، وشاهدٍ على الأرض التي صودرت.

المطبخ الفلسطيني ليس مكانًا منزليًا فحسب، بل هو خط دفاع رمزي، تُدار فيه معركة ضد التذويب الثقافي. الطهي هناك فعلٌ من أفعال التذكّر. والمائدة ليست فقط مساحة لتناول الطعام، بل لاستحضار القرى التي لم تعد، والحقول التي لم يعُد أحد يزرعها.

فعندما تهمس أمٌّ في أذن ابنها:(هذا الطحين من القمح الذي كنّا نزرعه، قبل أن يصادروا الأرض.) إنها لا تُلقّنه وصفة طعام، بل تاريخًا لا مكان له في مناهج الكيان الصهيوني الغاصب والمحتل. إنها تزرع فيه، عبر اللقمة، ذاكرةً مضادة للمحو، وحنينًا سيُقاوم الإلغاء حتى وإن لم يرَ الأرض بعينيه.

٣. إنجاب المقاومة:(حين يصبح الطفل وثيقة ضد التهجير): إحصائيات غزة المذهلة – أن (٧٨٪)، من النساء يعتبرن الإنجاب شكلًا من أشكال المقاومة – ليست دليلًا على فائض سكاني، بل على فائض إرادة. كل طفل هناك لا يُستقبل بترحاب عاطفي فقط، بل كأنّه يقول للعالم، (ما زلنا هنا، رغم القصف، رغم الحصار، رغم الجدران، رغم التهجير، رغم التجويع).

كل طفل هو (نعم) عالية في وجه كل (لا) يُطلقها الكيان الصهيوني المحتل: لا للعودة، لا للهوية، لا للبقاء. والنساء اللواتي يُنجبن تحت الظلال الكثيفة للطائرات لا يفعلن ذلك من باب التحدي فقط، بل لأنهنّ يعرفن أن مشاريع الاحتلال تفشل حين تصطدم بقدرة الأم الفلسطينية على الاستمرار.

٤. الثمن الخفي: (كلفة المقاومة اليومية): وراء كل طفل يُولد، وكل وجبة تُحضَّر، وكل درس يُدرَّس، ثمنٌ لا يراه العالم. النساء الفلسطينيات يدفعن ضريبة مقاومتهنّ الخفيّة في شكل:

أ. الاعتقالات: وفقًا لتقرير هيئة شؤون الأسرى (٢٠٢٣)، تُعتقل سنويًا (١٥٠) امرأة فلسطينية، (٨٠٪) منهنّ أمهات، حيث يُستخدم أطفالهنّ كرهائن للضغط عليهنّ.

ب. الصحة النفسية: دراسة جامعة بيرزيت (٢٠٢٢) تشير إلى أن (٦٥٪) من الأمهات في غزة يعانين من اضطراب ما بعد الصدمة بسبب الخوف الدائم على أطفالهنّ.

ت. التضحية بالذات: كثيرات يُفضّلن تأجيل علاج الأمراض المزمنة أو

التعليم العالي لضمان بقاء الأسرة.

هذه المقاومة ليست بطولةً مجانية، بل هي اختيارٌ يومي بين البقاء والانهيار.

٥. كيف يُطهى التاريخ:(المطبخ كذاكرة مقاومة): في غياب الأرشيف، تتحوّل الملعقة إلى أداة حفظ. يُعلّم الطعام الفلسطيني الأبناءَ أكثر مما تفعل كتب التاريخ. الزعتر يصبح هوية، والميرمية ذاكرة مقاومة. وحين تُعدّ الأم من جنين صينية(كسْكس)، فهي لا تُرضي جوعًا بيولوجيًا، بل تُشبعُ جوعًا رمزيًا إلى أرض لا تُنسى. وفي كل مرة تُنقّي الأمهاتَ العدس، أو تفركن أوراق الملوخية، فإنهن لا يُعدن وجبة، بل يُجدّدن عهدًا.

هذه المقاومة ليست حكرًا على فلسطين، ففي كل أرض عربية مُحتلة أو مُنهَكة، تُعيد النساءً تعريف البطولة. العراقيات، اللواتي عشن تحت حكمٍ وطني ثم تحت الاحتلال، خضن معركةً مماثلة لحفظ الهوية. وفي السودان، حيث أطلقت النساء شرارة انتفاضة ديسمبر الثورية (٢٠١٨) ، تحولت الأمهات إلى قائدات للثورة، يُدرّسن فنون المقاومة السلمية بينما يطبخن للاعتصامات. لم ينتظرن الحرية، بل صنعنها بأيديهن - من اعتصام القيادة العامة إلى لجان المقاومة الأحيائية، وفي معسكرات النزوح حيث تشتد وطأة الحرب، تتحول الأمهات السودانيات من ضحايا إلى صانعات للبقاء. بين خيام اللجوء التي تقاوم الرياح، يقمن بتنظيم (مدارس الرمل) تحت الأشجار، ويوزعن القليل من الطعام على الأكثر حاجة، ويكتبن شهادات الولادة على أوراق مستعملة كي لا يُمسح أطفالهن من سجل الوجود. هُنّ من يحفظن أسماء القرى المحترقة في أغانٍ يرددنها للأطفال، كي لا تموت الذاكرة معً موت الجدران. في هذه المساحات القاسية، تُعيد المرأة السودانية تعريف المقاومة: ليست بالضرورة مواجهة الدبابات، بل هي القدرة على خلق الحياة حيث لا يوجد سوى الموت. أما في سوريا، حيث مزقت الحرب نسيج الوطن، وقفت النساء كحارسات للحياة. السوريات حوّلن الأنقاض إلى مدارس، والخوف إلى أغانٍ للأطفال، والشتات إلى منصات للتوثيق. لم تكن المقاومة هنا خياراً، بل ضرورة يومية للبقاء.

٦. من فلسطين إلى العراق: (الأمومة كخيط مقاوم يخيط الجغرافيا): ليست فلسطين وَحدها التي حوّلت النساء فيها الذاكرة إلى سلاح. ففي العراق، حيث الاحتلال الأمريكي دمّر البنى التحتية عام (٢٠٠٣)، وجدت النساء أنفسهنّ أمام معركة مماثلة، في حفظ الهوية من التذويب. بينما تقاوم الفلسطينية بالميلاد والتعليم، قاومت العراقية بالحفاظ على التراث واللغة، حتى تحت القصف.

٧. المرأة العراقية كذاكرة مقاومة في ظل الحكم الوطني: في العراق، حين كان الوطن لا يزال يقف على قدميه، لم تكن المرأة عنصرًا تابعًا في مشروع الدولة، بل كانت أحد أعمدته. في ظل الحكم الوطني، لم تكن العراقية تُعرَّف فقط بكونها (أمًّا) أو (زوجة)، بل بوصفها مواطنةً تحمل بندقية إذا دعت الحاجة، وتمسك القلم لتكتب، وتعلّم، وتدير. حيث كانت تُدرّسُ في الجامعات، وتقودُ الطائرات، وتُشرّع في المجلس الوطني، لا كاستثناء، بل كقاعدة لرؤية تؤمن أن

تحرّر المرأة هو ركن في مشروع تحرّر الأمة العربية. لم تكن مجرّد مرافقة للرجل، بل ندًّا له في ساحات البناء والدماء معًا.

وحين حوصرت البلاد، لم تَخفُت هذه الشعلة، بل كانت تطرّز الرايات بانتظار العودة، تُدرّب أبناءها على اللغة الفصيحة، وتُخفي الكتب المحظورة بين ملاءات الأسرّة. كانت هي الجدار الأخير حين انهارت جدران كثيرة. فكما حملت بندقية القتال، حملت الطفل بيد والكتاب بالأخرى، وعلّمتهم أن الوطن والأمة العربية ليس مساحة فقط، بل كرامة لا تُساوَم.

٨. المرأة العربية المقاومة في خرائب الانهيار: في أكثر من قطر عربي، حين تمزّقت الجغرافيا، وانهارت الأنظمة، وعمّ الجوع والدم، وقفت المرأة لا لتحمي بيتها فقط، بل لتحرس المعنى. في سوريا، والسودان، والمغرب العربي، واليمن، وليبيا، ولبنان، في مخيمات اللجوء ومناطق الاشتباك، أصبحت الأم هي المُشرِّعة، والمعلمة، والطبيبة، والمقاتلة بصمت.

المرأة العربية حين تُسلب منها الدولة، لا تتبخّر، بل تتحوّل إلى دولة صغيرة تمشي على قدميها، دولة تحفظ السجلات، وتحرس الطفولة، وتُغني للأرض، وتُخبّئ البوصلة تحت الثياب. لم تنتظر إعلان (الهدنة)، بل أعلنت أن وظيفتها الأساسية هي: البقاء، والبقاء، حين يكون نقيض الفناء، يصبح فعل مقاومة لا يُكتب في بيانات، بل يُحفر في قلوب الأبناء.

٩. التعليم كجبهة وعي تحرّري: (المدرسة كخندق أخير: لماذا يخشى المحتل دفتر تلميذة؟): ليست الحقيبة المدرسية مجرّد وعاء للكتب، بل صندوقًا للمعنى، يحمل بين دفتيه ما يخشاه المحتلّ الصهيوني أكثر من الرصاصة، وهو السؤال. فالفلسطينية الصغيرة، وهي تخطّ اسم قريتها المهدومة على صفحة الدفتر، تُمارس فعلًا أخطر من المواجهة العسكرية، إنها تُطالب بالذاكرة.

الاحتلال لا يُقلقه صوت الرصاص وحده، بل ما ينبثق في صمت الصفوف، في رسم خارطة الوطن على هوامش الدفاتر، في درس التاريخ الذي تُلقنه الجدة بديلًا عن المناهج المسوخة.

فحين تُقصف المدرسة، لا يُقصف المبنى فحسب، بل يُستهدف المعنى. لكن الفلسطينيين يعيدون تشكيل الدرس من الأنقاض، كما يُشكّل النحات ملامح الروح من حجرٍ مكسور.

(كل صفٍّ يُهدَم، يُصبح شجرةً نعلّق على ظلّها خريطةً ونشرح من جديد)

ذلك لأن التعليم في فلسطين ليس مؤسّسة، بل فعل مقاومة يومي، قائم على القناعة العميقة بأن الأرض لا تُستعاد فقط بالسلاح، بل بالفكرة.

١٠. الجامعة كمحراب للمساءلة:(القانون كمنصة عدالة مؤجلة): في قاعات الجامعات المحاصرة، لا تكتب الطالبات الفلسطينيات أطروحاتهن لرفوف المكتبات، بل كأنهن يُقدّمن دفوعات شعب بأكمله أمام محكمة لم تُعقَد بعد. القانون هنا لا يُدرَس كأداة مهنية، بل كعتبة لعدالة مؤجلة، وكخطاب نقيض للاحتلال القائم على شرعنة الطمس. هكذا تحوّل الفتاة الفلسطينية جروحها إلى حجج، وأوراقها إلى أسلحة، وعزيمتها إلى منصة نطق بالحقيقة في عالم اعتاد الصمت.

١١. الجسد كجدار: (حين تقف النساء حيث تنهار الجدران): حين تتهاوى جدران المدرسة أمام جرافات الاحتلال، تقف الأمهات صفًّا متماسكًا، لا يحملن سلاحًا، ولا يهتفن، لكن صمتهنّ يُربك. جسد الأنثى هنا ليس موضوعًا للاستهداف، بل موضوعًا للحماية، للسدّ، للوقوف بين المعرفة والفناء. امرأةٌ تقف أمام البلدوزر لا لتحمي الطوب، بل لتحمي المعنى، لتقول، (هذه المساحة ليست قابلة للمحو، لأنني أنا الجدار الآن). مقاومة أجسادهنّ لا تعني فقط التحدّي، بل إعادة تعريف المفهوم ذاته، بأن الجدار قد يكون لحمًا وعظمًا، لكنه في عمقه وعيٌ لا يُخترق.

١٢. البيت كمدرسة موازية: (حين تُدرَّس الحرية من تحت الأنقاض): عندما يسقط سقف الفصل، يُعاد تشكيل الصفّ على بساط، في ركن البيت الذي لم يُدَمَّر بعد. تُمسك الأم بيد طفلها، وتبدأ بدرس لا يحتاج إلى سبورة، وتُخبره أن الجدل لم تكن أسطورة، وأن يافا ليست ذكرى، وأن هذا الوطن لا يُختصر بخطّ الهدنة، بل يمتدّ في اللغة، في الرغيف، في القصّة. في ظلال الأنقاض، ينجو الكتاب الوحيد الذي لم تبتلعه النيران، فيتحوّل إلى كنز. تقرأ الأم بصوتٍ خافت، لا لأنّ الصوت يجب أن يظلّ منخفضًا، بل لأنّ المعنى حين يكون عميقًا، لا يحتاج إلى الصراخ.

١٣. المرأة في فكر حزب البعث والرسالة الخالدة: في فكر حزب البعث، لم تكن المرأة موضوعًا اجتماعيًا يُعالج ضمن خانة (قضايا الجنسين)، بل كانت بُنية أصيلة في مشروع النهضة القومية. إنها ليست تابعًا ثقافيًا للرجل، بل نواةٌ للوعي، وراعيةٌ للهوية، ومُحركةٌ للمجتمع نحو هدفه التاريخي، في الوحدة والحرية والاشتراكية.

حزب البعث يرى أن تحرير المرأة ليس امتيازًا، بل واجبًا قوميًّا، لأن الأمة التي تُقصي نصفها، تُقصي نصف مستقبلها. ولذلك، فإن المرأة – لا سيما في ظل الاحتلال أو الهيمنة أو الفقر – ليست فقط كائنًا يُنقَذ، بل هي ذاتٌ تُنقِذ. إنها في الرسالة الخالدة ليست فقط الأم التي تُنجب أبناءَ الأمة العربية، بل هي المُعلّمة التي تُربّي رجالها، والمنظِّرة التي تفهم التاريخ، والمناضلة التي تُحسن قراءة الخرائط. ولهذا، فإن كل امرأة تُربّي على الحق، تُعلّم على الوفاء، وتُبقي البوصلة مشتعلة، إنما تُمارس فعلًا بعثيًّا، حتى وإن لم تكن في صفوف الحزب.

الخاتمة: في مشروع استعمار استيطاني يقوم على تجريف الأرض، وتدمير الحجر، وتزييف الرواية، لا شيء أخطر من امرأة تزرع المعنى في قلب الحياة اليومية. إنها لا تقاتل بنفس أدوات الخصم، بل تُبطلها بأدوات لا يملكها مثل: الحليب، القصيدة، الذاكرة، الصبر، والتكرار الحنون للهوية.

المرأة الفلسطينية لا تلد طفلًا فقط، بل تلد اللغة، وتُربّي التاريخ، وتُؤسس المستقبل بما يُفشل رواية العدو. وكل درس تُدرّسه، أو طبخة تُعدّها، أو قبلة تمنحها، هو عمل رمزي مقاوم، لا تصفه قوانين الحرب، لكنه يُحدّد مصيرها. في فلسطين العربية، الثورة لا تنطلق فقط من فوهة البندقية، بل من حنجرة طفلة تقرأ، ومن أمٍّ تُعلّم، حتى في العتمة.

بيان صادر عن حزب البعث العربي الاشتراكي الاردني ترحيب باعادة خدمة العلم

يا جماهير شعبنا العربي الأردني العظيم،

في ظل التحديات التي تواجه أمتنا العربية، وفي مقدمتها الخطر الصهيوني المتصاعد على فلسطين والأردن والمنطقة بأسرها، فإن حزب البعث العربي الاشتراكي يرى أن خطوة الحكومة الأردنية في إعادة تفعيل خدمة العلم تمثل قرارًا في الاتجاه الصحيح وخطوة وطنية جادة لتعزيز الجبهة الداخلية وبناء الانتماء والانضباط الوطني لدى شباب الأردن.

إن إعادة خدمة العلم ليست مجرد إجراء إداري، بل هي رسالة ردع واضحة للكيان الصهيوني بأن الأردن يعيد ترتيب صفوفه، ويؤكد جهوزيته لمواجهة الأطماع التوسعية الصهيونية، وقطع الطريق على محاولات العدو لاختراق مجتمعنا عبر التطبيع الاقتصادي والسياسي.

إن حزب البعث العربي الاشتراكي يؤكد أن هذه الخطوة تمثل تجسيدًا للتلاحم القومي بين الأردن وفلسطين، وإعادة الاعتبار للدور القومي الأردني في الصراع العربي-الصهيوني، وتأكيدًا على أن أبناء الأردن مؤمنون بأن هذا الصراع هو صراع وجود وليس حدود.

إننا في حزب البعث العربي الاشتراكي ندعو إلى أن تترافق هذه الخطوة مع مواقف وسياسات وطنية أكثر صلابة في مواجهة المشروع الصهيوني، وتعزيز ثقافة المقاومة، والاعتماد على طاقات الشباب في حماية الوطن والدفاع عن قضايا الأمة، وإلغاء اتفاقية وادي عربة وكل اتفاقيات التطبيع معه

المجد للأردن،

المجد لفلسطين،، والخزي والعار للعدو الصهيوني وعملائه.

االقيادة العليا
حزب البعث العربي
الاشتراكي الأردني
عمان في ١٧/ ٨/ ٢٠٢٥

الإثنِيّات في الوطن العربيّ بين توظيف الخارج للتجزئة وتعميق الاندماج في الاجتماع الوطني والقومي

أ. د. محمد مراد
باحث وأستاذ جامعي

- الجزء الرابع -

٥- الوطن العربي يواجه ثلاثة خيارات خطيرة بحجة احتواء تداعيات الحروب والنزاعات الإثنية

ثلاث آليات خطيرة مطروحة في محاولة فرضها على الوطن العربي بحجة ضبط الحروب والنزاعات الإثنية التي ما زالت فصولها الدامية وآثارها السلبية تطبع المشهد السياسي - الاجتماعي العربي سواء على مستوى الدولة القطرية (الوطنية) من جهة، أم على مستوى الوحدة القومية وثقافة الانتماء الى أمّة عربية واحدة، والى العروبة كهوية تاريخية وحضارية لها من جهة أخرى .وكلها خطيرة وهي:

الآلية الأولى: ما يسمى ب "الديمقراطية التوافقية"

أبرز مرتكزات هذه الآلية :

• المحاصصة السياسية للسلطة عبر توزيعها أنصبة على المذاهب الطائفية او العرقية، وذلك بحسب الوزن الديمغرافي لكل مذهب او عرق من مكوّنات الدولة .

• ثبات ثلاثة مواقع رأسية في السلطة الحاكمة للطوائف الثلاث الأكبر: رئيس الجمهورية، رئيس مجلس النوّاب، رئيس مجلس الوزراء. طبّقت هذه الآلية في لبنان على اثر تسوية الطائف عام ١٩٨٩، وهي ما تزال سارية حتى اليوم. هذا ، مع توزيع الحقائب الوزارية (عددها ٣٠ حقيبة في معظم حكومات ما بعد الطائف) على أساس المناصفة بين المسلمين (١٥) والمسيحيين (١٥) . وكذلك الأمر في مجلس النوّاب الذي بات ، منذ الطائف ، يتألّف من ١٢٨ نائبا موزّعين مناصفة بين المسلمين (٦٤) والمسيحيين (٦٤) (٣٤) .

اعتمدت الصيغة اللبنانية في العراق بعد الاحتلال.

• التوزيع النسبي للطوائف في الادارة العامّة .

• اعتماد نظام للانتخابات النيابية يقوم على الجمع بين النسبية والأكثرية والطائفية معا .

• تشكيل حكومة ائتلافية، تتمتّع فيها المكوّنات الطائفية المختلفة بحقّ الفيتو والاعتراض على القرارات التي لا تتناسب معها (الثلث المعطّل في لبنان).

•منح الجماعات الطائفية الحرية الواسعة في المجالين الثقافي والتعليمي، وممارسة الشعائر والطقوس الدينية ، وفي الإحتكام الى محاكمها الشرعية في قضايا الأحوال الشخصية .

يؤخذ على الآلية المذكورة أنّها مخزونة بالمشكلات التي اثبتتها الاحداث والتاريخ، وأنّ مكمن الخلل الأكبر فيها اضافة الى تقاطعها مع الوحدة الوطنية والهوية القومية الجامعة وتهديدها لهما، هو عدم تقديرها لحجم المتغيّرات الديمغرافية والسياسية والعسكرية، والامتدادات الولائية الى الخارج الاقليمي والدولي. كانت المتغيّرات تفرض نفسها دائما عند كل عملية محاصصة أو إعادة انتاج للسلطة وتوزيع الأنصبة على المكوّنات الطائفية والعرقية المؤتلفة. وهنا ، يكمن السبب الأعمق في أزمات لبنان، والأمر نفسه وبصيغة اكثر كارثية في العراق، من حيث ترجمة المحاصصة الى مشروعية الولاء للخارج، وعلى انها حقٍ مطلق للجهة المعنية بترشيح ايا كان بغض النظر عن ابسط معايير النزاهة او الكفاءة او الخبرة او التخصص. فادى كل ذلك الى خراب الدولة وشيوع فساد

هائل وغير مسبوق فيها صعودا الى اعلى المستويات وبالتالي احداث افقار ونهب منظم لموارد الشعب والبلاد، و انتشار المافيات وتحكمها في كل مرافق الحياة. اضافة الى عدم التوصّل الى تفاهمات عند الاستحقاقات الأساسية مثل انتخاب رئيس للجمهورية، أو التمكّن من تأليف الوزارة، أو الاختلاف بشأن

قضية اقتصادية أو قضائية أو موقف سياسي أو غير ذلك .

إنّ الديمقراطية التوافقية التي اعتمدت في تركيب السلطة في كل من لبنان بعد الطائف، والعراق في ظل الاحتلال، بقيت توافقية مأزومة ومختلّة، ولم تستطع أن تشكّل مدخلا لاحتواء النزاعات الإثنية، بل على العكس فقد اقحمتها في العراق وسعت الى تعميقها في مجتمع متالف ومتجانس قبل الاحتلال ومنذ تاسيس الدولة العراقية عام ١٩٢٠. كما انها عزلت كلا القطرين عن امتهما العربية وعلى كل الاصعدة. لذلك، لا يمكن التعويل على اعتمادها كنموذج يجري تعميمه على الأقطار العربية التي تواجه تحدّيات تنذر بالنزاعات الإثنية الطائفية والعرقية والجهوية التي يسعى الخارج الاقليمي والدولي الى اذكائها.

الآلية الثانية: الفدرالية

اعتمدت هذه الآلية في الدستور العراقي الذي عرف وما يزال " بدستور بريمر"، وهي فدرالية على مستوى ثنائي عربي - كردي، بحيث عزّز الدستور سلطة إقليم كوردستان - العراق فاصبحت سيادة السلطة الاتحادية في العاصمة على الاقليم شكلية وإسمية وغير فعلية. وأصبحت للاقليم عملته وضرائبه وقواته، فضلا عن مؤسستيه التنفيذية والتشريعية وعلاقاته الخارجية ومكاتبه التمثيلية الخاصّة به وغير ذلك من الصلاحيات الواسعة. وكذلك اشتراط دخول غير الأكراد من أبناء العراق اليه بضمانة كفيل. واذا كان لاقليم كوردستان العراق خصوصيتة، فان بقية مناطق العراق ليست كذلك، الا ان مساوئ المحاصصة المشار اليها اعلاه والتي تتم في ظل الاحتلال والهيمنة الاجنبية والدستور الاحتلالي بعد عام ٢٠٠٣ ، تجعل من العراق قد بات على طريق التمايز والتغاير والتقسيم بين عدة فدراليات لكيانات اثنية كلها تهدد وحدته الوطنية تهديداً خطيراً .

وفي الحالة اللبنانية، هناك طروحات دائمة بدأت مع الحرب الأهلية (١٩٧٥ – ١٩٩٠)، واستمرّت بعد تسوية الطائف ١٩٨٩، والدوحة ٢٠٠٨، تدعو الى اعتماد الفدرالية على أساس قيام كانتونات طائفية تتمتع بحكم ذاتي، لكنّ ما حال دون قيام مثل هذه الفدرالية الطوائفية هو ضيق الرقعة الجغرافية للبنان التي لم تتجاوز ال ١٠٤٥٢ كم٢ من جهة، ووجود اختلاط بين الطوائف، لا سيّما في بيروت العاصمة، وفي مناطق عديدة غيرها من جهة أخرى . وممّا تجدر الاشارة إليه، هو أنّه في زحمة المشاريع والطروحات التي واكبت إعداد قانون جديد للانتخابات النيابية (القانون الرقم ٤٤ \ ٢٠١٧) ، في هذه الزحمة برز اقتراح مشروع ملفت من فعاليات الطائفة الأرثوذكسية ومطارنتها، وأطلق عليه إسم "المقترح الأرثوذكسي"، وهو يحصر انتخاب نوّاب كل طائفة من طوائف لبنان التسع عشرة بناخبي الطائفة نفسها، وبذلك، فإنّ الاقتراح ينطلق من قيام فدرالية نيابية تكون مقدّمة الى فدرالية وزارية، وبالتالي مالية واقتصادية وتعليمية (فدرلة الجامعة اللبنانية) ووظائفية، وصولا الى الادارية والعسكرية والسياسية.

ومن الجدير بالذكر ان النظام الفدرالي مطبق في بعض الدول في العالم، لكنه ليس على اساس التقسيم الاثني العرقي او الديني. كما انه يحرص على بقاء الهوية الوطنية والقومية الجامعة كهوية وحيدة لابناء البلاد. اضافة الى ان الدولة الفدرالية المركزية فيه حاضرة، وتبسط سيطرتها ونفوذها بقوة في جميع انحاء البلاد مما يمنع تقسيمها. الا ان ذلك ليس ما يراد له في العراق ولبنان وبعض الاقطار العربية الاخرى وذلك تمهيدا لاضعافها وتقسيمها.

الآلية الثالثة: التقسيم

في حزيران (يونيو) ٢٠٠٦، نشرت جريدة القوّات المسلّحة الأمريكية تقريرا تحت عنوان " حدود الدم " تضمّن وضع خريطة جديدة لمصطلح "الشرق الأوسط الجديد " الذي أطلقته "كوندوليزا رايس" - وزيرة الخارجية الأمريكية في ولاية "بوش الإبن " الثانية (٢٠٠٤ – ٢٠٠٨). انطلق التقرير من زعم أنّ الحدود القائمة بين دول المنطقة أهدرت حقوق الأقليات، وعليه فإنّ المطلوب هو إعادة ترسيم الحدود على أسس إثنية طوائفية وعرقية بصورة عامّة.

وأبرز ما جاء في التقرير، أن يضمّ الاقليم الكردي في شمال العراق الى "دولة كردستان الكبرى" التي تتشكّل من كركوك (الغنية بالنفط)، وجزء من الموصل وخانقين وديالى، مع اجزاء من تركيا وإيران وسورية وأرمينية وأذربيجان. بالمقابل، يدخل جنوبي العراق في تشكيل " دولة شيعية كبرى " مع كل من شرقي السعودية (الدمام ، الاحساء القطيف)، وغربي إيران.

أمّا وسط العراق فيشكّل مع سورية وجزء من جنوب غربي باكستان، وجنوب شرقي إيران في تكوين " دولة سنّية كبرى" . (٣٥)

يعزو التقرير الأميركي تبريره لعملية الفرز والضمّ في المنطقة الى تضخيمه لمشكلات التعايش (التي كان هو من حاول وسعى الى افتعالها وتفجيرها) بين الطوائف ، ويرى الحلّ، في مبتغاه الاصلي، وهو

تقسيم العراق (مساحته ٤٤٥ ألف كم٢)، والسعودية (٢,٢٥ مليون كم٢)، في حين تذوب الجغرافية السياسية السورية بكليتها في الدولة "السنّية" الناشئة . حتى أنّ التقرير يطال أجزاء من الجغرافية الإيرانية والباكستانية أيضا .

وإذا كان التقرير الأميركي ينطلق من فلسفة " صاموئيل هانتنغتون" لصراع الأديان بوصفه أساسا للصراع بين ما وصفه ب "الحضارات" ، فإنّه يبقى تقريرا يدور حول محور أساسي يتمثّل بالتخطيط الاستعماري الأميركي لتفتيت الوطن العربي والقضاء على المشروع القومي العربي الذي يدعو الى الوحدة القومية لأمّة عربية واحدة، والى الربط العضوي بين تحقيق هذه الوحدة والتحرر من الاستعمار بكل تلويناته الدولية والاقليمية والصهيونية، وإقامة مجتمع عربي ديمقراطي على أساس المواطنة والعروبة والعدالة الاجتماعية من غير أية فروقات أو تمايزات وامتيازات في العرق والطائفة والمذهب والعشيرة والجهة.

خلاصات استنتاجية وخاتمة

منذ مطلع القرن الحالي (الحادي والعشرين)، دخل الوطن العربي - وهو المجال الحيوي للمنطقة برمتها - في أتون الحروب الأهلية غير المسبوقة، الأمر الذي بات ينذر بفتح الكيانات السياسية العربية (الدول) على مرحلة قاسية من التحوّلات والانقسامات العمودية السياسية والاجتماعية والثقافية، مرحلة يعاد معها رسم تضاريس جديدة على خارطة " سايكس - بيكو " التي كانت كإحدى النتائج الأساسية التي انتهت اليها الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨). وحاليا ، وبعد مرور مئة سنة ونيّف على تقسيمات الخارطة المذكورة، فإنّ المجال العربي برمّته مرشّح اليوم لإعادة تشكّل في جغرافياته السياسية على أساس من التوزيعات المحكومة بتلاوين إثنية طائفية ومذهبية وعرقية وثقافية وسياسية جديدة، بحيث تتقدّم معها مصطلحات من مثل الدولة - المذهب، أو الدولة - العرق أو الدولة - العشيرة، على مصطلحات الدولة الوطنية أو الدولة

القطرية السابقة التي عرفها النظام الاقليمي العربي في تاريخه الحديث والمعاصر .

لقد فتح الاحتلال الأمريكي للعراق لسلسلة من الحروب الأهلية العربية، وهي ما زالت الى اليوم في مزيد من الاشتعال والانتشار في غير قطر عربي، ولم يظهر في الأفق ما يشير الى مبادرات جادّة أو مشروعات حلول قادرة على وقف النزف العربي بشريا واقتصاديا واجتماعيا، أو تبشّر بقرب انتهاء المأساة العربية التي باتت توصف على أنّها مأساة العصر. فلا يوجد دليل على أنّ النظام الدولي الذي ساد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، والذي يعاني من عدم توازن في بنيانه الهرمي بسبب سيطرة أحادية القطب الأميركي وسياسة التفرّد التي ينتهجها في تقرير العلاقات الدولية، فلا يوجد دليل على أنّ مثل هذا النظام العالمي الراهن هو مؤهّل للتدخّل إيجابيا لإطفاء الحروب المشتعلة، ونقل دول المنطقة من دوائر الحرب الى مرحلة السلام الداخلي أمنيا وسياسيا وتنمويا، ان لم يكن هو من يفتعلها اصلا .

أمام هذا الواقع الدولي والعربي، فإنّه من المتوقع أن يستمرّ التصدّع في الجغرافيات السياسية العربية القائمة، وأن يزداد عمقا في الاجتماع السياسي العربي دون أن يلوح في الأفق أي مشروع يستند الى ركائز فكرية وسياسية تتمتع بالقدرة على إحداث تحولات استراتيجية من شأنها التأسيس لنظام إقليمي عربي جديد ياخذ طريقه الى الاستقرار والنهوض الشامل.

إنّ التفتيت والانقسام العمودي الذي يهدف الى خلقه النظام الدولي الجديد بين الإثنيات العربية لم يعد مقتصرا على مستوى الجغرافية السياسية وحدها، وإنّما، وهنا الأمر الأخطر، الوصول الى تفتيت البنية المجتمعية من خلال اتخاذها، أشكالا إنشطارية ذات طابع طائفي ومذهبي وعرقي ومناطقي .

إنّ مشروعا تغييريا قادرا على مواجهة التحديات العربية الوجودية الضاغطة، وفي مقدّمتها مشروع "الشرق الأوسط الأميركي" غير البريء، إنما يكون مشروعا يربط بقوّة جدلية وتفاعلية بين ثلاثة مبادىء كبرى هي :

- الديمقراطية الشاملة،
- الثقافة الوطنية المتلازمة مع الثقافة والهوية القومية،
- والتنمية الإنسانية المستدامة على قاعدة المساواة والعدالة الاجتماعية

والامل معقود على قوى الامة وطلائعها ونخبها وقياداتها الشعبية والرسمية على تفعيل المبادرات الكبيرة لتحقيق هذه الاستراتيجيات الثلاثة التي من شانها انقاذ الامة في صراعها الوجودي الذي تخوضه.

المراجع

١. محمد أحمد خلف الله ، العروبة والاسلام في فكر الأستاذ ميشيل عفلق ، منشورات منظمة الطليعة ، تونس ، ١٩٩٣ ، ص ، ١١ .
٢. المرجع نفسه ، ص ، ١١ .
٣. محمد مراد ، العروبة في الاستهداف الأمريكي - الصهيوني :

محو هوية الأمة ، في : راهنية العروبة : مبرراتها والرهانات ، مجموعة من الباحثين ، مجلة الطليعة – لبنان ، عدد خاص ، تموز (يوليو) ٢٠٢٢ ، ص ، ٨- ١١ .

٤. عوني فرسخ ، الأقليات في الوطن العربي : تراكمات الماضي ، وتحدّيات الحاضر والمستقبل ، مجلة " المستقبل العربي " ، الصادرة عن مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، العدد ١١٩ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩ ، ص ، ٤٤ – ٤٥ .

٥. فؤاد محمد شبل ، حضارة الاسلام في دراسة توينبي للتاريخ ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٨ ، ص ، ٤

٦. فكتور سحّاب ، " من يحمي المسيحيين العرب " ، مجلة " المستقبل العربي " ، السنة الرابعة ، العدد ٣٠ ، آب (اغسطس) ١٩٨١ ،

٧. عوني فرسخ ، الأقليات في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص ، ٤٦ .

٨. المرجع نفسه ، ص ، ٤٦ .

٩. جورج خضر (المطران) ، " المسيحية العربية والغرب " في : " المسيحيون العرب : دراسات ومناقشات " ، تحرير الياس خوري ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث يالعربية ، ١٩٨١ ، ص ، ٨٣ – ٩٨ .

١٠. عوني فرسخ ، المستقبل العربي ، العدد ١١٩ ، ص ، ٤٧ .

١١. وجيه كوثراني ، " المسيحيون من نظام الملل الى الدولة الحديثة " ، في : " المسيحيون العرب : دراسات ومناقشات " ، مرجع سابق ، ص ، ٦٠ .

١٢. المرجع نفسه ، ص ، ٦٠ .

١٣. المرجع نفسه ، ص ، ٦١ .

١٤. M.A.E.F., E-Levant, Syrie-Liban ١٩١٨-١٩٢٩, vol. ١٢٥, pp. ١٩٣-١٩٤.

١٥. ٢٢١ .Ibid, pp-٢٢٢.

١٦. محمد مراد، السياسة الإنتدابية الفرنسية في سوريا و لبنان بين التفكيك السياسي و التوحيد الإقتصادي، الفكر الإستراتيجي العربي، العدد ٣٩، ك٢ (يناير) ١٩٩٢، ص، ١٧٣-١٧٨.

١٧. أنطوان نصري مسرّة ، معضلة المساواة والمشاركة في أنظمة الحكم العربية : الحالة اللبنانية ، مجلة " المستقبل العربي " ، العدد ١١٩ ، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩ ، ص ، ٦٠ .

١٨. المرجع نفسه ، ص ، ٦٢ .

١٩. المرجع نفسه ، ص ، ٨٣ – ٨٤

٢٠. المرجع نفسه ، ص ، ٨٤ .

٢١. John Donohue, "La Nouvelle constitution syrienne et ses détracteurs », Travaux et jours (Beyrouth), no. ٤٧ (avril-juin ١٩٧٣), pp. ٩٣-١١١.

أنظر أيضا بشأن موافقة مجلس الشعب السوري على النصّ الدستوري بأنّ دين رئيس الجمهورية هو الاسلام ، جريدة " البعث " ، تاريخ ٢١ شباط (فبراير) ١٩٧٣ .

٢٢. أنطوان مسرّة ، مرجع سابق ، ص ، ٨٤ .

٢٣. المرجع نفسه ، ص ، ٨٥ .

٢٤. الجريدة الرسمية للمملكة الأردنية الهاشمية ، تاريخ ١٧ أيّار (مايو) ١٩٨٦ ، ص ، ٩٢٥ – ٩٤٠، أنظر الترجمة بالانكليزية مع جدول الدوائر وتوزيع المقاعد النيابية ، في : Major Highlights of ١٩٨٦ Electoral" (Law", Jordan Times (٢٩ March ١٩٨٦

٢٥. للمزيد من التفاصيل بشأن البنود الخمسة عشر التي نصّ عليها بيان ١١ آذار (مارس) ١٩٧٠ ، أنظر : الجمهورية العراقية ، المسألة الكردية والحكم الذاتي ، منشورات المؤسّسة الثقافية العمّالية ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ، ٨٥ – ٩٧ .

٢٦. نيفين مسعد ، النزاعات الدينية والمذهبية والعرقية (الإثنية) في الوطن العربي ، مجلة " المستقبل العربي " ، السنة الثانية والثلاثون ، العدد ٣٦٤ ، حزيران (يونيو) ٢٠٠٩ ، ص ، ٦٦ .

٢٧. المرجع نفسه ، ص ، ٦٧ .

٢٨. المرجع نفسه ، ص ، ٦٨ .

٢٩. المرجع نفسه ، ص ، ٧٠ .

٣٠. للمزيد من التفاصيل بشأن ضحايا الحرب الأهلية اللبنانية (١٩٧٥ – ١٩٩٠) ، أنظر : عبد الرؤوف سنو ، حرب لبنان ١٩٧٥ – ١٩٩٠ : تفكك الدولة وتصدع المجتمع ، مجلدان ، مج١ : مفارقات السياسة والنزاعات المسلّحة والتسوية ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

٣١. نيفين مسعد ، النزاعات الدينية والمذهبية والعرقية (الإثنية) ، المستقبل العربي ، العدد ٣٦٤ ، حزيران (يونيو) ٢٠٠٩ ، ص ، ٧٠ .

٣٢. المرجع نفسه ، ص ، ٧٠ -٧١ .

٣٣. المرجع نفسه ، ص ، ٧١ .

٣٤. - بشأن توزيعات المقاعد النيابية على الطوائف اللبنانية بعد الطائف ،وكذلك توزيعات الحقائب الوزارية ، أنظر : محمد مراد ، الانتخابات النيابية في لبنان : القوانين ، الدوائر ، النوّاب ، منشورات الجامعة اللبنانية ، قسم الدراسات التاريخية الرقم (٥٣) ، بيروت ، طبعة أولى ، ٢٠١٣ .

٣٥. Ralph Peters, "Blood Borders: How a Better Middle East would look", Armed Forces Journal (June ٢٠٠٦).

إيران...
بين مأزقِ الايديُولوجيا وحقَائقِ الحياة

د. عبد الوهاب القصاب

- الجزء الثاني -

مدخل عام

منذ اندلاع ثورة الشارع الإيراني ضد حكم شاه إيران، تمكنت العناصر الموالية للمرجعية الدينية من مصادرة الثورة وتصفية القوى الأخرى التي ساهمت في تفجيرها، سواء بالترهيب أو الإقصاء أو الاغتيال أو النفي. وتم تحويل الخميني إلى ما يشبه الرمز المقدس، وأسست أجهزة أمنية وعسكرية تدين له بالولاء المطلق، وعلى رأسها التشكيل الذي يعرف باسم "الحرس الثوري"، الذي بات يشكل الدولة العميقة في إيران. والذي مارس كافة أنواع الكبت و الملاحقة للمواطن الإيراني الذي وجد نفسه مقموعاً لا حول له ولا قوة.

تبنّت الدولة الإيرانية بعد ذلك نهجاً أيديولوجياً توسعياً صارماً، انطلق من رؤية دينية طائفية عالمية، تؤمن بولاية الفقيه كنموذج للحكم، وتسعى لتصدير الثورة خارج حدودها، متجاوزة اعتبارات السيادة والدولة الوطنية. وقد نجحت هذه السياسة التوسعية العدوانية في هيمنة ايران على اربعة عواصم عربية إلا أن واقع الحياة وتحديات الداخل والخارج فرضت على النظام الإيراني نوعاً من المراجعة، أو على الأقل إعادة ترتيب الأولويات، وهو ما خلق تناقضاً متنامياً

بين الايديولوجيا التي تأسس عليها النظام، وحقائق الواقع المعاش داخلياً وخارجياً.

أولاً: الايديولوجيا الإيرانية - الجذور والهيكل

١. الثورة والمرجعية السياسية

جاءت ثورة ١٩٧٩ كتحالف غير متجانس بين قوى ليبرالية، ويسارية، وإسلامية، إلا أن الخميني كان الأكثر تنظيماً وتأثيراً، وتمكّن من فرض مرجعيته الدينية والسياسية عبر تأسيس مبدأ "ولاية الفقيه"، الذي شكل الإطار الحاكم للدولة الجديدة. لم تعد المرجعية محصورة بالبعد الديني فحسب، بل أصبحت المرجعية العليا في كل ما يتعلق بشؤون الدولة. واصبحت افكار الخميني هي المرجعية الأيديولوجية للدولة في هذه الحقبة التي واجهت فيها تحدي الحرب الإيرانية العراقية ١٩٨٠-١٩٨٨ والتي نجح العراق فيها بهزيمة ايران وإجبار الخميني على تجرع ما سماه بكاس السم والقبول بتطبيق القرار الصادر من مجلس الامن الدولي المرقم ٥٨٧ الذي خطط له ليضع حداً لهذه الحرب.

٢. مشروع تصدير الثورة

منذ بداية الثمانينيات، أعلن النظام الإيراني التزامه بتصدير الثورة إلى العالم الإسلامي، عبر أدوات متعددة: نشر الفكر الثوري، دعم الحركات المسلحة، بناء شبكات مذهبية وسياسية موالية، والتدخل في شؤون الدول المجاورة. مثّل هذا المشروع التزاماً عقائدياً توسعياً معلناً، لكنه اصطدم لاحقاً بمعارضة عربية وإسلامية ودولية شديدة.وقد عانت اربع عواصم عربية مهمة من تداعيات مشروع تصدير الثورة هذا، وهي بغداد فدمشق فبيروت فصنعاء.

ثانياً: مؤسسات ايديولوجيا النظام - أدوات الحكم والتوسع

١. الحرس الثوري

تُعدّ " قوات الحرس الثوري" القلب النابض للمشروع الايديولوجي التوسعي الإيراني، إذ لم تكتف بوظيفتها العسكرية، بل امتدت إلى الاقتصاد، والإعلام،

والسياسة الخارجية، والعمليات الخارجية عبر " فيلق القدس". وقد لعب الاخير دوراً حاسماً في دعم المليشيات التابعة لإيران في العراق، ولبنان، وسوريا، واليمن، وحتى في أمريكا اللاتينية.

٢. شبكة الميليشيات العابرة للحدود

من خلال شبكة معقدة من الحلفاء والمليشيات، مثل حزب الله اللبناني، والحوثيين في اليمن، والحشد الشعبي في العراق، والنجباء، وزينبيون وفاطميون، شكّلت إيران محوراً مذهبياً متماسكاً يخدم أهدافها التوسعية، ويؤمّن لها موطئ قدم داخل الوطن العربي تحت غطاء "نصرة المستضعفين".

ثالثاً: تحديات الداخل - حقائق الحياة تفرض نفسها

١. الأزمة الاقتصادية والاجتماعية

رغم العقوبات والضغوط، لم يتراجع النظام الإيراني عن مشاريعه التوسعية. لكن تداعيات العقوبات الأمريكية والدولية، إضافة إلى الفساد، وسوء الإدارة، أدت إلى تضخم، وبطالة، وانهيار العملة، وهجرة

العقول. وظهرت احتجاجات شعبية متكررة تطالب بالخبز والكهرباء قبل القدس وبيروت. وقد كانت قوات النظام تسارع لقمع هذه الاحتجاجات بعنف مستخدمة أدواتها القمعية .

٢. التباعد بين الجيل الجديد وايديولوجيا النظام التوسعية

جيل ما بعد الثورة مختلف جذرياً عن جيل خميني، فهو أكثر ارتباطاً بالعالم عبر الإنترنت، وأقل اهتماماً بالخطاب الثوري التقليدي. فالشباب الإيراني يبحث عن فرص عمل، وحرية تعبير، وانفتاح اجتماعي، وليس عن شعارات "ممانعة" مزعومة لا تعود عليه بشيء سوى مزيد من العزلة الدولية.

٣. التناقض بين الدولة والدين

في حين أن الخطاب الرسمي يصر على شرعية دينية للحكم، فإن الفجوة بين السلوك السياسي للنظام (قمع، تعذيب، اغتيالات) والمبادئ الأخلاقية الإسلامية

تجعل النظام يفتقر إلى "الشرعية الروحية" لدى قطاع واسع من الشعب، حتى في البيئة المحافظة.

رابعاً: السياسة الخارجية - العقيدة في مواجهة الجغرافيا

١. التمدد الجغرافي والإرتداد الاستراتيجي

حققت إيران نجاحات في توسيع نفوذها الإقليمي، لكنها فشلت في تحويل هذا التمدد إلى مكاسب استراتيجية ثابتة. فمثلاً، العراق غرق في التخلف والفساد المالي والاداري وانهيار مؤسسات الدولة، وسوريا قبل سقوط نظام الاسد استنزفت قدراتها الاقتصادية والعسكرية، ولبنان غرق في الفوضى والانهيارات المالية المتعاقبة.

٢. الاتفاق النووي والعودة إلى الواقعية

وافقت إيران على توقيع الاتفاق النووي عام ٢٠١٥ رغم اعتراض التيار المحافظ، مما اعتُبر لحظة براغماتية نادرة، فرضتها الضرورات الاقتصادية. وعندما انسحب رئيس الولايات المتحدة الامريكية ترامب من الاتفاق حينها، دخلت إيران في مأزق كبير بين الرغبة في الحفاظ على المكتسبات وبين عناد القوى المحافظة. لكن الحقيقة ان ثمة مؤشران مهمان يتسم بهما السلوك الإيراني اولهما الصوت العالي المجعجع الذي يوحي بأن ايران قوية إلى الحد الذي يجعلها تتحدى الجميع ، وهذا امر غير صحيح لان ايران مخترَقة من قبل اكثر من جهة بالطول وبالعرض، وقد اثبتت كثير من الحوادث ذلك.

خامساً: بين الأيديولوجيا والواقعية - محاولة التوازن المستحيل

١. نظام مزدوج الرأس: المرشد والرئيس

إحدى السمات المعقدة للنظام الإيراني هي وجود رأسين للسلطة: المرشد الأعلى ذو السلطة المطلقة، والرئيس الذي ينتَخَب شعبياً. هذا التداخل يخلق ازدواجية في القرار، ويفرض قيوداً على أي محاولة للإصلاح السياسي أو الاقتصادي.

٢. الحرس الثوري مقابل المدنيين

يلعب الحرس الثوري دوراً متعاظماً على حساب المؤسسات المدنية، بل وحتى على حساب رجال الدين المعتدلين. ومع تزايد نفوذه، تتراجع فرص حدوث تحول سياسي سلمي من داخل النظام.

٣. أيديولوجيا الولي الفقيه كعبء استراتيجي

لقد تحولت ايديولوجيا نظام الولي الفقيه التي كانت عنصر تعبئة في الثمانينيات إلى عبء استراتيجي في القرن الحادي والعشرين. إذ لم تعد قادرة على توفير حلول لمشكلات الداخل، ولا على كسب أصدقاء في الخارج.

سادساً: مآلات المشروع الإيراني

١. الوطن العربي يلفظ المشروع الإيراني

أظهرت السنوات الأخيرة تغيراً في المزاج العربي العام، مع صعود خطاب عربي أكثر صراحة في مواجهة التدخل الإيراني، وتحول حلفاء طهران المفترضين إلى عبء عليها. لبنان يعاني، عراق غاضب، ويمن منهك.

٢. الأمل باستخدام صراع "سني شيعي" ، يفقد زخمه

مع انكشاف الطابع السياسي للتدخل الإيراني، خفتت نبرة الطائفية وافتضحت مراميها، وأصبحت الشعوب تنظر إلى إيران كقوة "احتلال سياسي واقتصادي"، وليس كداعم للمذهب بل تستخدمه كغطاء .

٣. حتمية المراجعة

مع كل هذا الضغط، يبدو أن النظام الإيراني قد يُجبر عاجلاً أو آجلاً على إجراء مراجعة استراتيجية، سواء عبر اتفاق مع الغرب، أو تهدئة إقليمية، أو حتى تحوّل داخلي تدريجي يُضعف سلطة الحرس الثوري.

خاتمة: إيران بين لحظتين - ثورة الأمس ودولة الغد

تقف إيران اليوم على مفترق طرق حاسم بين الاستمرار في المكابرة بإيديولوجية الولي الفقيه ومشروعها التوسعي، أو الدخول في عملية تحوّل تدريجية نحو دولة وطنية واقعية تقيم علاقاتها على أساس المصالح المشتركة مع جيرانها.

لقد أثبتت العقود الماضية أن ايديولوجيا نظام الولي الفقيه التوسعية وحدها لا تبني اقتصاداً ولا توفّر وظائف، وأن التوسع الخارجي لا يُعوّض عن ضعف الداخل، وأن الحرس الثوري لا يمكنه قمع الغضب الشعبي إلى الأبد.

إن مستقبل إيران - كدولة وشعب - مرهون بقدرتها على التوفيق بين هويتها وواقعها الجغرافي، و ما تزعم انه إرث " ثوري"، وضرورات الدولة الحديثة.

فلسفة الغياب: الإرادة العربية كقوة محتجبة في مواجهة العدوان الصهيوني

أ. طارق عبد اللطيف أبو عكرمة

في عالم يموج بالصراع والمعنى، لا تموت القضايا العادلة، وإنما تُغتال إراداتها أو تُنفى إلى هوامش الوعي السياسي والثقافي حين تنجح قوى الهيمنة في تفريغها من بعدها التاريخي والرسالي. وفلسطين، التي مثّلت في وجدان الأمة العربية جوهر معركتها المصيرية ضد مشروع استيطاني إمبريالي صُنع في مراكز القرار الغربي، لم تُغتصب فقط حين احتلت أرضها، بل حين أُريد لوجدان الأمة العربية أن يتصالح مع غيابها، ولعقلها أن يقبل بهيمنة القوة باعتبارها قدراً لا يُرد. هذا الغياب الذي تم أسطرته عربياً لم يكن غياب فلسطين، بل غياب الإرادة، غياب الذات التي لا تتحقق إلا بالفعل، والتي لا يكون وجودها وجوداً أصيلاً إلا حين تمارس دورها في التاريخ: مقاومة، وبناء، واستعادة للكرامة.

ليست الإرادة مكوّناً سياسياً عارضاً، بل هي المعنى الذي يحدّد وجود الأمة العربية أو سقوطها. وقد أدرك حزب البعث العربي الاشتراكي منذ بداياته أن المعركة في فلسطين العربية ليست صراع حدود، بل صراع وجود. لم يكن نفي الشعب العربي الفلسطيني من أرضه إلا حلقة من حلقات مشروع أشمل يهدف إلى تفتيت الأمة العربية، وسلخ وعيها عن جذوره، وتحويلها من ذات فاعلة إلى موضوع متلق محكوم بالرضا القُطري والولاء للأجنبي. ولهذا رأى حزب البعث أن فلسطين ليست مجرّد قضية تحرير، بل قضية نهضة، لأن تحرير الأرض لا يتمّ إلا بتحرير الإنسان، ولا تستعاد الكرامة إلا حين تستيقظ الإرادة القومية وتكفّ عن الخضوع لمعسكرات الانهزام والتبعية.

إن فلسفة حزب البعث، بوصفها قراءة قومية إنسانية للوجود العربي، اعتبرت أن التاريخ لا يتحرّك بفعل الخطط المجردة ولا بمجرد التنديد، بل بتحوّل الإرادة الجماعية إلى فعل منظّم، حين تلتقي الحرية بالوعي، ويتحوّل المبدأ إلى حركة، والصراع إلى مشروع. الإرادة هنا ليست مجرّد رغبة في المقاومة، بل هي بنية ثقافية-سياسية تُبنى، وتُنحت في الوعي، وتُصاغ في مناهج التربية والخطاب والإعلام، وتُحمى بالتنظيم الجماهيري القادر على تحصينها ضد ثقافة الخنوع، وضد التحوّلات التي تروّج للتطبيع باسم الواقعية، وللصمت باسم الحكمة، وللهزيمة باسم فنّ الممكن.

غير أن السؤال الأشد مرارة يتمثّل في هذا الصمت العربي المتطاول، والذي لم يكن مجرد تقاعس عن نصرة فلسطين، بل إعادة صياغة للمنظومة السياسية العربية بأسرها لتصبح وظيفية، خالية من أي محتوى تحرّري، قطرية في انغلاقها، عالمية في تبعيتها، منزوعة الدافع التاريخي والمبدأ الأخلاقي. لقد تحوّلت العديد من الأنظمة من مواقع المقاومة إلى مواقع التبرير والتجميل للمشروع الصهيوني نفسه، وبدلاً من أن تواجه العدوان، انشغلت في إدارة علاقات التعايش معه، وفي هندسة الرأي العام لتقبّل (الكيان الصهيوني) بوصفه شريكاً، لا مغتصباً.

إن القراءة الفلسفية للواقع العربي لا تسعى فقط إلى إدانة الرداءة، بل إلى فهم بنيتها العميقة. ومن هنا، لا بد من الاعتراف بأن اختلال الموقف من فلسطين العربية ليس ظرفاً سياسياً، بل تعبير عن مسار طويل من التآكل الداخلي، حيث غابت الرؤية القومية الجامعة، وحلّ محلها منطق التوازنات الإقليمية، وانهارت فكرة الأمة العربية الواحدة، وصار كل قطر يرى فلسطين من زاوية مصالحه الآنية، أو خوفه من العقوبات الدولية، أو رغبته في البقاء السياسي بأي ثمن. وبينما تغيب فلسطين عن خطاب الحكام، تبقى حيّة في وجدان الجماهير العربية، وطليعتها حزب البعث العربي الاشتراكي، التي وإن أُنهكت وأُخضعت، ما تزال تختزن طاقة الرفض، وتحنّ إلى زمن كانت فيه الأمة العربية قادرة على أن تقول (لا)، لا ليس من موقع الإنكار فقط، بل من موقع الفعل، من موقع القدرة على تغيير الموازين. لم يكن غياب الإرادة العربية نتاجاً ذاتياً فحسب، بل نتاج هندسة استعمارية جديدة تعيد تشكيل الوطن العربي عبر سياسات التطبيع المنهج، بدعم غربي يُحوّل الصراع من قضية تحرير إلى مجرد إدارة أزمات.

وقد صاغ مفكرو حزب البعث هذا الوعي في لحظات تاريخية فاصلة. فحين قال الأستاذ ميشيل عفلق: (إن تحرير فلسطين هو الشرط الأول لبقاء الأمة العربية حيّة)، لم يكن يُلقي

شعراً سياسياً، بل كان يؤسّس لفهم فلسفي لمعادلة الوجود العربي: من دون فلسطين، لا معنى للأمة العربية، لأن الأمة التي تعجز عن حماية مقدساتها، والدفاع عن أطفالها، وصدّ المغتصب عن عتبة تاريخها، تصبح خارج التاريخ. وقال الأستاذ صلاح البيطار إن الهزيمة الكبرى لا تكمن في سقوط الأرض، بل في قبول السقوط، وفي تحويل العجز إلى فلسفة حكم، واليأس إلى استراتيجية.

إن جماهير الأمة العربية ما تزال حيّة. لم تمت الإرادة، بل احتُجزت، شوهت، أعيد توجيهها لتكون ضد الذات بدل أن تواجه العدو الصهيوني. ولهذا، فإن أحد أخطر مظاهر فلسفة الغياب هو تحويل طاقة الأمة العربية الداخلية إلى انكفاءات طائفية ومناطقية وصراعات هوية استهلاكية، بدل توجيهها نحو المشروع القومي الكبير: تحرير فلسطين، وتحرير جميع الاراضي والمياه العربية، وتحرير الإنسان العربي، وبناء الوحدة على أسس العدالة والكرامة والحرية.

حين ننظر إلى طفل فلسطيني يواجه دبابة بحجر، فإننا لا نرى فقط شجاعة استثنائية، بل نرى مكثفاً رمزياً لفعل الإرادة. ما لا تجرؤ عليه الأقطار العربية، تفعله الأجساد النحيلة، ما تعجز عنه الجيوش النظامية العربية، تحققه صدور الفقراء المحاصرين. هذه المفارقة تُعري الأنظمة العربية، وتُعيد كتابة معادلات القوة من جديد. المقاومة ليست خياراً عسكرياً فقط، بل هي في جوهرها فعل وجود، وتجسيد للإرادة الجماعية التي لا تخضع.

إذا كانت فلسطين تمثّل جوهر الصراع العربي الصهيوني، فإن غزة هي قلبه النابض بالحياة والمقاومة. هذه القطعة الجغرافية الصغيرة، التي حوصرت بقرار صهيوني-دولي لتصبح أكبر سجن مفتوح في التاريخ، تحوّلت إلى أيقونة عالمية للعزيمة التي لا تنكسر. كل عدوان على غزة ليس مجرد حرب على شعب أعزل، بل هو اختبار للإرادة العربية الجمعية: ففي كل مرة تسقط فيها القنابل، يُولد وعي جديد، وكل طفل يرفع حجراً أمام دبابة يُعيد تعريف معنى القوة. غزة اليوم لا تقاوم بالسلاح فقط، بل بفعل الوجود نفسه. إنها تُعرّي كل الخطابات العربية الفارغة، وتكشف أن (فن الممكن) الذي تروّجه الأنظمة هو في الحقيقة (فن الاستسلام). لكنها أيضاً تطرح سؤالاً وجودياً: كيف لشعب محاصر أن ينتصر بموارده المحدودة، بينما تُدار الأمة بمواردها الهائلة نحو التطبيع والانهيار؟.

إن استعادة الإرادة العربية لا تبدأ من إعادة تسليح الجيوش، بل من إعادة تسليح الوعي. من إعادة الاعتبار لفكرة الأمة العربية، من الاعتراف بأن فلسطين العربية ليست هامشاً في السياسة، بل هي مركز المعنى. وأن كل سلطة لا تضع فلسطين في قلب مشروعها، هي سلطة لا تنتمي للأمة العربية، وإن ادّعت ذلك. وأن حزب البعث، حين ربط بين الوحدة والحرية والاشتراكية، لم يكن يبني خطاباً نظرياً، بل كان يقدّم معادلة للتحرر الشامل، تبدأ من تحرير الوعي وتنتهي بتحرير الأرض والمياه.

إن استعادة الإرادة العربية لا تعني العودة إلى خطابات الماضي المجردة، بل بناء استراتيجية عابرة للأقطار، تحوّل فلسطين من شعار إلى برنامج عمل. هذا يتطلب:

١. مقاومة ثقافية تفضح زيف التطبيع وتُعيد تعريف العدو في الوعي الجمعي.

٢. توحيد الجبهات بين قوى المقاومة الجماهيرية والشعبية (ليس جماهير امتنا العربية فحسب ، انما الشرفاء من حول العالم) ، للتعبير عبر الأساليب السلمية ، لخلق معادلة ردع سلمي جديدة.

٣. إصلاح الأنظمة(الحكومات العربية عبر ضغوط شعبية تجبر النخب الحاكمة على الخروج من عباءة التبعية. فالإرادة ليست مجرد بطولة فردية، بل نظاماً سياسياً واجتماعياً يُنتج المقاومة كخيار دائم، لا كرد فعل ظرفي.

لا تكفي الخطابات النضالية لاستعادة الإرادة، بل يجب تفكيك بنية التبعية من جذورها: عبر مناهج تعليمية تُعيد تعريف العدو الصهيوني، وإعلام حرّ يُعرّي سياسات التطبيع، وتشبيك بين القوى المقاومة عربياً وعالمياً.

ولذلك، فإن فلسفة الغياب ليست نهاية، بل دعوة للاستفاقة. إن احتجاب الإرادة لا يعني اختفاءها، بل هو إعلان صامت عن الحاجة إلى مشروع نهضوي قومي ومقاوم متجدد، يُخرج الأمة العربية من رمادها، ويُعيد بناء ذاكرتها الجمعية، ويصوغ المستقبل من جديد. إن فلسطين لا تنتظر بيانات التضامن، بل تنتظر يقظة. والإرادة التي تُغيّر وجه التاريخ، ليست تلك التي تهتف ثم تصمت، بل التي تصوغ خطاباً، وتنظم فعلاً، وتعبئ الجماهير، وتُعيد تعريف العلاقة بين الشعب والمستقبل.

هذا هو معنى أن تكون الإرادة قوة محتجبة لا مغيبة، كامنة لا مفقودة، تنتظر لحظة اللقاء بين الوعي والقرار. إن الإرادة العربية لم تختزل يوماً في حزب أو حركة واحدة، بل تجلّت في أشكال متنوعة، من المقاومة المسلحة إلى النضال الثقافي، مما يجعل مشروع التحرير مسؤولية جماعية تتجاوز الانتماءات الضيقة. وهذه هي مهمة تنبثق من عقيدة حزب البعث التاريخية، لا بوصفه حزباً سياسياً فحسب، بل بوصفه ضميراً قومياً حياً، يرى في فلسطين العربية جوهر مشروعه، وفي الأمة العربية موضوع رسالته، وفي الإرادة الطريق إلى النصر المحتوم، مهما طال الزمن، ومهما تبدلت الخرائط.

فشل تحقيق اهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠ المنطقة العربية بعيدة عن بلوغ الاهداف والامم المتحدة تحذر من العواقب

التحديات العالمية وغياب الحلول تُفشل مسار تحقيق أهداف التنمية المستدامة بحلول عام ٢٠٣٠

بتاريخ ٢٥ أيلول/سبتمبر ٢٠١٥ ، تم التوقيع على أجندة التنمية المستدامة من قِبل ممثلي ١٩٣ دولة عضو في الأمم المتحدة، ووافقت عليها الجمعية العامة للأمم المتحدة . الأجندة تتضمن ١٧ هدفا" للتنمية المستدامة، والتي هي جزء من برنامج عمل واسع يتكون من ١٦٩ هدفا" متعلقا" بالمجالات البيئية والاقتصادية والاجتماعية والمؤسسية بحلول عام ٢٠٣٠.

ونحن على بعد أقل من ٥ سنوات من الوقت الذي حددته الأمم المتحدة لبلوغ اهداف التنمية المستدامة ٢٠٣٠، ترى ما زال العالم بعيدا" عن تحقيق هذه الأهداف، وإن فقط ١٧٪ تم تنفيذها بينما أكثر من ثلث هذه الأهداف إما توقف أو تراجع حسب ما صرح به الأمين العام للأمم المتحدة انطونيو غوتيريش الذي حذر من فشل المجتمع الدولي في تأمين السلام ومواجهة تغيّر المناخ وتعزيز التمويل الدولي، الذي يقوّض مسار عملية التنمية في الوقت الذي يتطلب الإسراع في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، مشيرا" إلى أن ٢٣ مليون شخص قد وقعوا في براثن الفقر المدقع، في حين ارتفع عدد الوفيات في صفوف المدنيين في النزاعات المسلحة بشكل كبير (غزة مِثال)، وما يقارب ١٢٠ مليون نازح قسريا" الذين يعيشون في ظروف قاسية جدا تفتقر إلى الحد الأدنى من مقومات الحياة (السودان مِثال). والأعداد تتزايد بشكل مخيف حيث تجاوزت الأرقام التي ذُكرت في تقرير الأمم المتحدة. وهذا نتيجة عجز وفشل المجتمع الدولي بإيجاد حلول انقاذية من هذه الآفات.

قبل الخوض في عرض مسببات الفشل في السير قدما" نحو التنمية، نستعرض أدناه الأهداف الـ١٧ التي أدرجت على أجندة التنمية المستدامة وهي على الشكل التالي:

١.القضاء على الفقر
٢.القضاء التام على الجوع
٣.الصحة الجيدة والرفاه
٤.التعليم الجيد
٥.المساواة بين الجنسين
٦.المياه النظيفة والنظافة الصحية
٧.طاقة نظيفة وبأسعار معقولة
٨.العمل اللائق ونمو الاقتصاد
٩.الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية
١٠.الحد من أوجه عدم المساواة
١١.مدن ومجتمعات محلية مستدامة
١٢.الاستهلاك والانتاج المسؤولان
١٣.العمل المناخي
١٤.الحياة تحت الماء
١٥.الحياة في البر
١٦.السلام والعدل والمؤسسات القوية
١٧.عقد الشراكات لتحقيق الأهداف

ما الذي تحقق من أهداف التنمية المستدامة وخاصة الأهداف الخمسة الأولى من الأجندة؟

على الصعيد العالمي،

إن تقارير الأمم المتحدة حول تحقيق

نعمت بيان

أهداف التنمية المستدامة تّظهر تقدما" خجولا" في تحقيق بعض الأهداف على الصعيد العالمي على سبيل المثال، تحقيق جزئي للمساواة في التعليم في أغلب المناطق العالمية بين الفتيات والشباب، تحقيق النساء المزيد من النجاحات في السياسة والأعمال، ارتفاع معدل الحصول على الانترنت واستخدام الوسائل التكنولوجية، إضافة إلى انخفاض في معدلات الإصابة بمرض نقص المناعة البشرية، واستخدام الطاقة البديلة، بينما فشلت السياسات على المستوى العالمي في وقف الحروب ووضع حد للفقر والقضاء على الجوع والحد من البطالة ومعالجة أزمات عدم المساواة وفوضى التغيّر المناخي والأوبئة وغيرها من المسائل الحياتية الضرورية لرفاهية الإنسان.

على الصعيد العربي،

إن المنطقة العربية هي من أكثر المناطق في العالم تأثرا" بعدم تحقيق أهداف التنمية المستدامة كونها تقبع على صفيح نار الصراعات والحروب الملتهبة التي أعاقت أي تقدم تنموي في المدى المنظور، فمن حرب الإبادة الجماعية التي يرتكبها العدو الاسرائيلي في فلسطين، إلى حرب السودان العبثية وتداعياتها، ناهيك عما حلّ في العراق بعد الاحتلال، إضافة إلى اليمن وليبيا وسوريا ولبنان وايضا" الأحواز العربية المحتلة المنسية. فهذه البلدان لن تشهد أي تقدم

تنموي إن لم تنعم بالإستقرار . ولكن من جانب آخر، الوضع ليس سوداويا" بالنسبة للبلدان العربية الأخرى التي تشهد استقرارا" أمنيا" واقتصاديا، كدول دول مجلس التعاون العربي ودول المغرب العربي.

ولتبيان مسار تنفيذ أهداف التنمية المستدامة في المنطقة العربية والتحديات التي أعاقت السير قدما" بها، نستعرض بشكل موجز ما جاء في التقرير العربي للتنمية المستدامة ٢٠٢٤ الذي أصدرته اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا) بالتعاون مع هيئات الأمم المتحدة في المنطقة العربية المعنية بمتابعة تنفيذ خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠ مسار التقدم في تحقيق اهداف التنمية ، وتبيان المعوقات في عدم تنفيذ هذه الأهداف كاملة على صعيد البلدان العربية. إن تقرير عام ٢٠٢٤ هو تكملة للتقرير السابق الصادر في عام ٢٠٢٠، الذي يتضمن العوائق التي تستدعي معالجة جادة ومكثفة، للمضي قدما" في تحقيق اهداف التنمية المستدامة في المنطقة العربية.

ركز التقرير على السياسات الرامية إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة في المنطقة العربية، والذي تضمن مسحا" لاتجاهات السياسات العامة من تنفيذ الأهداف على المستوى الإقليمي وعلى صعيد مجموعات البلدان التي قسمت على الشكل التالي: بلدان مجلس التعاون الخليجي (الامارات العربية المتحدة، البحرين، عُمان، قطر، الكويت والسعودية)، والبلدان المتوسطة الدخل (الأردن، تونس، الجزائر، لبنان، مصر والمغرب، يُستثنى منها البلدان التي تمر بصراعات)، وأقل البلدان نموا" (حسب تصنيف الأمم المتحدة هي: جزر القمر، جيبوتي، الصومال، موريتانيا، واليمن)، والبلدان التي تشهد صراعات (سوريا، السودان، الصومال، العراق، ليبيا، اليمن ودولة فلسطين)، حيث يبين التقرير ما يشوب السياسات من ثغرات، وتأطير الاتجاهات في سياق التحديات الهيكلية والأولويات الإنمائية الناشئة، وذلك بالعلاقة مع البيانات الإقليمية عن اهداف التنمية المستدامة.

أسباب فشل تحقيق أهداف التنمية المستدامة على الصعيد العربي

إن السياسات التي وُضعت لتحقيق أهداف اجندة التنمية المستدامة في المنطقة العربية لم تبلغ الهدف المنشود لأسباب عديدة أهمها، الصراعات والحروب التي تعاني منها العديد من الدول العربية،(فلسطين، السودان، سوريا، ليبيا، اليمن ولبنان) والتي شكلت في المقام الأول تحديات حقيقية في وجه تحقيق أهداف التنمية المستدامة، كما أدت جائحة كوفيد-١٩ إلى عرقلة جهود التنمية وفاقمت حالة الفقر وأرهقت النظم الصحية في العديد من البلدان العربية، عدا عن نقص التمويل، والتغيّر المناخي،و تزايد النمو السكاني، والتقلبات

الاقتصادية، ناهيك عن الفساد المستشري في العديد من البلدان الذي أعاق جهود التنمية من خلال تحويل الموارد المالية عن المشاريع التنموية، وضعف المؤسسات والحوكمة، والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي بين فئات المجتمع، وازدياد الفقر الذي أثر بدوره على جميع جوانب التنمية من تعليم وصحة وفرص عمل ، إضافة إلى ضعف البنية التحتية في قطاعات مثل الطاقة والنقل والاتصالات، وعدم المساواة بين الجنسين ، ولا يمكن إغفال إن السياسات التي وُضعت لم تترافق بخطط عمل واقعية مدعومة بالموارد. هذه المعوقات والتحديات نسفت مسار التقدم على مدى سنوات في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

التقدم المحرز في تحقيق أهداف التنمية المستدامة في بعض الدول العربية

رغم التحديات والمعوقات الي أعاقت تحقيق أهداف التنمية، الا انه وحسب التقرير العربي، أحرزت مجموعتان فقط من مجموعة بلدان المنطقة تقدماً كبيراً نحو تحقيق عدد قليل من الأهداف، وهما مجموعة بلدان مجلس التعاون الخليجي ومجموعة بلدان المغرب العربي. ومن المتوقع أن تحقق بلدان مجلس التعاون الخليجي المقاصد المنشودة بحلول عام ٢٠٣٠ في خمسة أهداف هي: (١) القضاء على الفقر، (٢) القضاء على الجوع، (٣) الصحة الجيدة والرفاه، (٤) التعليم الجيد، (٦) المياه النظيفة والنظافة الصحية.

أما مجموعة بلدان المغرب العربي، فقد احرزت تقدماً كبيراً حسب تقييم التقرير، وهي قريبة جدا من تحقيق المقاصد المنشودة بحلول عام ٢٠٣٠ على صعيد الهدف (١) القضاء على الفقر، والهدف (١١) المدن والمجتمعات المستدامة. لكن في المقابل سجلت هذه المجموعة تراجعاً في تحقيق الهدف (٢) القضاء على الجوع، بينما تراجعت بلدان المشرق العربي في تحقيق الهدف (٢) القضاء على الجوع، والهدف (٨) العمل اللائق ونمو الإقتصاد، والهدف (١٥) الحياة في البر، والهدف (١٤) الحياة في البر.

فيما يتعلق بمجموعة (أقل البلدان نمواً)، ينبغي تحليل التقدم بحذر بحيث واجهت جميع بلدان هذه المجموعة تحديات في جمع البيانات خلال السنوات الماضية، باستثناء الصومال.

أما مجموعة بلدان المشرق العربي ، فقد تعثرت في التقدم نحو الهدف (٢) القضاء على الجوع، نتيجة لتراجع لبنان على مسار هذا الهدف، وتباطؤ التقدم في الأردن ومصر، وأعاق الجزائر والعراق وليبيا إحراز أي تقدم في مجموعتي المغرب والمشرق العربي. وإن نقص البيانات قد اعاق تنفيذ الهدف (٥) المتعلق بالمساواة بين الجنسين على مستوى مجموعة البلدان ككل. ومع ذلك أحرز الأردن ودولة فلسطين تقدماً كبيراً، في حين أحرزت دول مجلس التعاون الخليجي، باستثناء السعودية، تقدماً كبيراً نحو الهدف (٦) المتعلق بالمياه النظيفة والنظافة الصحية.

كما أحرزت معظم البلدان تقدماً مقبولاً نحو الهدف (٧) الطاقة النظيفة وبأسعار معقولة، والهدف (٩) الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والهدف (١٧) عقد الشراكات لتحقيق الأهداف. في المقابل تعثر التقدم نحو تحقيق الهدف (٨) المتعلق بالعمل اللائق ونمو الإقتصاد في دول المشرق العربي بسبب التراجع في العراق ودولة فلسطين ولبنان. الملفت أن التقرير والتحليل لم يشمل اليمن وسوريا والسودان وليبيا وذلك لعدم وجود بيانات حديثة يمكن الاستناد إليها لإعداد توقعات وتحليلات حول التقدم نحو اهداف عام ٢٠٣٠.

في المحصلة، إن عواقب عدم تحقيق أهداف التنمية المستدامة خطيرة وهادمة للمجتمعات، حيث سيتفاقم الفقر والجوع، وعدم المساواة، وسيزيد التلوث البيئي، ويتراجع النمو الاقتصادي، وستزيد معدلات فقدان الأمن الغذائي و انتشار الأوبئة والأمراض، عداعن عدم الاستقرار الأمني والسياسي والاجتماعي. لذا ولتجنب هذه التداعيات ، يستوجب بذل جهود مكثفة وتعاون دولي لبلوغ الأهداف المرجوة، عبر اتخاذ اجراءات وتدابير على مستوى السياسات لتجاوز المعوقات والتحديات، من خلال وضع خطط عملية وجدية تتعلق بزيادة الموارد، وتنفيذ إصلاحات ضريبية ومؤسسية، واعتماد الشفافية، والعمل على الحد من الفقر والبطالة عبر توفير فرص عمل، وسن قوانين لحماية الأطفال من العنف والعمالة، وتوفير التعليم الجيد والتأمين الصحي للجميع ، وزيادة الاستثمار في القطاعات الانتاجية، كالقطاع الزراعي، وتحسين الدخل بما يتلائم مع الظروف الاقتصادية للأفراد والحد من عدم المساواة بين الجنسين، وتوفير الحماية الاجتماعية للأسر، وتحسين البنى التحتية، والأهم من كل هذا وقف الحروب التي تستنزف الموارد وتحرق البشر والحجر.

ختاماً، إن تحقيق أهداف التنمية المستدامة بحلول عام ٢٠٣٠ وإن كان غير متاحاً للأسباب التي ذُكرت في سياق المقال، إلا أنه غير مستحيل إن توفرت الإرادة لتحقيق ذلك، وتضافرت الجهود على كافة المستويات، وتم تبني كامل وشامل ومستدام لأجندة التنمية من أجل بناء عالم يسوده السلام والعدالة والمساواة ومستقبل أفضل وآمن للجميع.

المصادر:

١. https://www.unescwa.org/ar/publications/تقرير-عربي-تنمية-مستدامة-٢٠٢٤
٢. https://news.un.org/ar/story/٢٠٢٣/٠٧/١١٢١٨٣٢

قمّة الاسكا الأميركية-الروسية: مبادلة بين شرق أوسط أميركي وشرق أوروبا روسي

أ. د. محمد مراد
باحث في التاريخ السياسي والعلاقات الدولية

تأتي قمة الاسكا اليوم بين الرئيسن الأميركي دونالد ترامب والروسي فلاديمير بوتين، لتشكّل محطة فاصلة في علاقات القوتين العظمتين في وقت تتقدم فيه المصالح الاستراتيجية لتفتح مسارات جديدة في العلاقات الدولية، علاقات تحكمها التفاهمات على تقاسم النفوذ في العالم، لا سيما في المجالات الجغرافية التي تختزن من الخصوصيات الجيوسياسية ما يفيد القوى العظمى في توظيفها للاحتفاظ بعناصر القوة التي تحتاجها لأنها القومي والاقتصادي والسياسي الاستراتيجي ..ولما كان الشرق الأوسط حاجة أمريكية لتعزيز القطبية الأمريكية وتسيبدها على قمة النظام الدولي في القرن الحالي)الحادي والعشرين (, فقد كانت، بالمقالل ،الحاجة الروسية لنفوذ واسع على شرق أوروبا يضمن لها مصالحها الاستراتيجية في الأمن والاقتصاد والسياسة والحضور الدولي. هل ستخرج قمة الاسكا بمبادلة النفوذ بين شرق أوسط اميركي، مقابل شرق أوروبا روسي؟

لم يكن الاجتياح الروسي لأوكرانيا حدثا ظرفيا عابرا في توقيته وأبعاده , وإنّما جاء ليشكذل محطة انتقالية فاصلة في مسار العلاقات الدولية , لا سيمّا وأنّ هذه العلاقات شهدت سلوكا تسلطيا استبداديا في ظل هيمنة القطب الأمريكي الواحد الذي زعم أنّه فازمنتصرا، بعد تهاوي منافسه القطبي الاتحاد السوفياتي، في معركته الرأسمالية مع الاشتراكية – الشيوعية أيديولوجيا وفكريا واقتصاديا وسياسيا . لكن , وبعد مضي ما يزيد عن الثلاثة عقود على التهاوي المشار إليه , فأذا باجتياح روسيا الاتحادية لأوكرانيا الأوروبية , جاء ليشير الى أنّ التاريخ لم ينته بعد , وأنّ المعركة مع الراسمالية المتفلّتة , والتي أخذت منحى تسلطيا استبداديا في سلوكها الدولي , ما زالت قائمة , لا بل انهّا باتت تنذر بتحوّلات نوعية جديدة سوف تظهر نتائجها في مستقبل ليس ببعيد , على غير مستوى في الأيديولوجيا والاقتصاد والأفكار والسياسات ووظائف جديدة للدولة المعاصرة , وكذلك في التشكّلات السياسية وأنظمة الحكم . سوف يدشّن الاجتياح لمرحلة مفتوحة على متغيّرات نوعية ايديولوجية وفكرية واقتصادية , وعلى مستوى بنية النظام الدولي والعلاقات الدولية، الأمر الذي يوجب استحداث صياغات جديدة لمؤسسات وهيئات امية جديدة تخرج عن وصاية الدولة الاستبدادية التسلطية المهيمنة الى دولة العدالة والحياد الايجابي والسلام الانساني.

مع سقوط التجربة السوفياتية في مطالع العقد الأخير من القرن المنصرم) القرن العشرين (, راح منظرو الرأسمالية الليبرالية يفتشون عن سند فلسفي يفسّر سقوط المنافس القطبي السوفياتي ومعه المنظومة الاشتراكية لدول شرق أوروبا، ليس بوصف الاشتراكية كنظام اقتصادي – اجتماعي – سياسي وحسب , وإنّما ايضا كنظرية ذات أبعاد فلسفية وأيديولوجية . أمّا المنهج الذي اعتمده هؤلاء المنظرون فلم يخرج عن كونه منهجا تبريريا يسوّق لمقولات فلسفية تقدّم الرأسمالية على أنهّا النظام المنتصر في التاريخ , وأنهّا باتت , في أعقاب الحدث – الزلزال المتمثل بسقوط التجربة السوفياتية , قدر البشرية كنظام أحادي مسيطر اثبت جدواه في الاستجابة لحاجات البشر الى التطور المستمر والتنمية المستدامة.

قد يكون " فرنسيس فوكوياما " الياباني المتأمرك من أبرز المنظرين للرأسمالية المنتصرة من خلال محاولته الحثيثة لمقاربتها من خلفية فلسفية تنتهي الى تاكيد فوزها الحتمي في التاريخ على مستويي الاقتصاد والأيديولوجيا , الأمر الذي يعزّز مركزيتها كأحادية قطبية بلا منازع لحكم العالم وتحكّمها بمساره ومصيره ورسم آفاق تطوره.

عبرّ فوكوياما عن هذا الانتصار المزعوم بقوله : " لقد حقّقنا في أمريكا اضخم انتصار مع نهاية القرن العشرين : إبادة الشيوعية , وسحق العراق , ولا أحد يشكّ الآن بأنّ أمريكا هي زعيمة العالم , نحن الأقوى والأعظم ... انظروا الى الروس , والشعوب الأخرى التي خلعت رداء الشيوعية وجاءت لتحتمي بنا.. بأمريكا."

أمّا " كولن باول " الذي شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية في ولاية " بوش الإبن "الأولى (٢٠٠٠ – ٢٠٠٤) , فقد أدلى بتصريح جاء فيه : " نحن الآن القوّة الأعظم . نحن الآن اللاعب الرئيسي على المسرح الدولي , كل ما يجب علينا أن نفكّر فيه الآن هو مسؤوليتنا عن العالم بأسره، ومصالحنا التي تشمل هذا العالم كله."

أمريكا والشرق الأوسط الجديد

وجدت رأسمالية الذروة الأمريكية في تفكّك الاتحاد السوفياتي كبنيان سياسي وأيدولوجي وكنمط اقتصادي اشتراكي , وفي خروج معظم جمهورياته في شرق أوروبا وآسيا الوسطى , الفرصة السانحة لإعلانها أحادية قطبية على قمّة النظام الدولي , الأمر الذي يدفعها الى السعي للامساك بعناصر القوّة الكفيلة باستدامة هذه الأحادية في المستقبل . ولمّا كانت أوروبا قد مثلّت مركز التوازن في النظام الدولي الذي ساد في مرحلة الحرب الباردة , توازن اقتصادي (اشتراكي – رأسمالي , وعسكري) حلف وارسو مقابل حلف شمال الأطلسي، فإنّ نهاية الحرب

الباردة كانت إيذانا بنهاية هذا التوازن الذي سجلته أوروبا لقرابة نصف قرن من الزمن , الأمر الذي جعل الرأسمالية الأمريكية المتوهمّة بانتصارها في التاريخ , تتجه الى منطقة الشرق الأوسط لكونه بات مركزا لقلب العالم , ويتميّز بخصوصيات جيوسياسية وجيوطاقوية) نفط

وغاز (تستطيع معها راسمالية الشركات العملاقة الحاكمة في البيت الأبيض أن توظفهّا للحؤول دون ظهور قوى قطبية منافسة جديدة في المستقبل مثل الصين أو روسيا الاتحادية أو تكتلّ قوى دولية أخرى .

اعتمدت أمريكا خيار الحرب الاستباقية كأولوية في استراتيجيتها الشرق أوسطية . ولمّا كانت تجد في العراق نظاما مانعا لسياستها الاستعمارية التوسعية , وشديد الالتزام بالقضايا القومية العربية وفي مقدّمتها القضية الفلسطينية , لا بل أنّه النظام الذي يعمل من أجل مشروع وحدوي نهضوي يتعارض كليا مع مشروع السيطرة الأمريكية . لذلك , وضعت القوى الصانعة للقرار في الادارة ا لأمريكية العراق هدفا أوليا لاسقاط تجربته , وتغيير نظامه الوطني والأتيان بنظام جديد يستجيب لمخططات امريكا على المستويين العربي والشرق أوسطي . فقد شنّت أمريكا , وفي فترة زمنية لا تزيد عن ثلاث عشرة سنة ثلاث حروب على العراق : الأولى , حرب " عاصفة الصحراء" التي شارك فيها تحالف دولي من ثلاثين دولة بقيادة امريكية عام ١٩٩١ , الثانية ,حرب الحصار الأقسى والأطول في التاريخ ١٩٩٠ – ٢٠٠٣ , والثالثة,

حرب الاحتلال والالغاء ٢٠٠٣ , التي أفضت الى إسقاط نظامه الوطني ودولته المركزية , والاتيان بقوى تفكيكية للدولة والمجتم ع معا.

فتح إسقاط العراق الباب واسعا امام استكمال حلقات المخطط الأمريكي لقيام شرق اوسط جديد يكون بديلا لمشروع التوحّد القومي , ويتيح للكيان الصهيوني أن يلعب دورا مركزيا يستجيب لحلمه التوراتي في قيام دولته اليهودية الكبرى من الفرات الى النيل.

كانت الترجمة العملية لمشروع الشرق الأوسط الأمريكي قد تمثلّت بسلسلة من الحروب العربية الداخلية التي ما تزال ساخنة في غير قطر عربي , والتي يعود استمراراها الى كثافة التدخلات المباشرة للقوى

الخارجية الدولية والاقليمية وفي طليعتها الولايات المتحدة ا لأمريكية . أفضت الحروب المفتوحة هذه الى اسقاط الوظيفة المركزية للدولة, وأحدثت اختلالات عميقة بالنسيج الاجتماعي لمجتمع الدولة الذي حكمته" الفوضى الخلاقة " المخططة في استراتيجية الاستهداف الأمريكي لجهة قيام مجتمعات غير متماسكة وطنيا وقوميا , وتبرز فيها ثقافات ولائية بديلة على اساس المذهب والطائفة والعرق والعشيرة الى ما هنالك من ولاءات أولية غير وطنية.

أنّ مشروع الشرق الأوسط الأمريكي الجديد لم يكن سوى أسقاط جغرافي تاريخي للنظام الاقليمي العربي عبر أقامة هياكل فسيفسائية تبقى محكومة الى الاختلافات المذهبية والعرقية والثقافية والسياسية , كل ذلك بهدف جعل المجال العربي مفتوحا للفوضى والصراعات وعدم الاستقرار.

في الواقع , لم يخرج مشروع الشرق ا لأوسط الأمريكي عن تحقيق جملة من الأهداف الاستراتيجية لأمريكا , هذه ابرزها:

١ – الامساك ا لأمريكي بالوطن العربي الذي يمثلّ المجال الحيوي للشرق الأوسط , على اعتبار أنّ من يمسك بهذا المجال يستطيع أن يمسك بكل العالم.

٢ – يمنح الشرق ا لاوسط الجديد إسرائيل فرصة ذهبية لجهة حضورها كلاعب أقليمي متفوق , تستطيع معه ترجمة احلامها التلمودية إل ى قيام دولتها اليهودية الى واقع.

٣ – الشرق أوسطية هي بديل ألغائي للوجود القومي العربي , وذلك من خلال اصطناع نظام أقليمي لا قومي سيكون على حساب تغييب الهوية القومية والعروبة كخصوصية حضارية للأمة العربية.

شرق أوروبا روسي جديد مقابل الشرق

الأوسط الأمريكي الجديد

في الوقت الذي ركّزت فيه الاستراتيجية الأمريكية على تصنيع شرق أوسط جديد يحكمه التفكيك والتجزئة والفوضى الدائمة , راحت روسيا الاتحادية تبذل بصمت , جهودا غير عادية على غير مستوى اقتصادي وتكنولوجي وعسكري وسياسي بهدف تجاوز تداعيات الحدث – الزلزال الذي نجم عن السقوط المدوي للاتحاد السوفياتي في مطلع التسعينيات من القرن الماضي.

كانت القيادة الروسية بعد السوفياتية , لا سيّما في ظل العهد البوتيني) نسبة الى الرئيس فلاديمير بوتين(المتواصل لولايات أربع متتالية , كانت تدرك أنّ التجربة السوفياتية السابقة سقطت لسبب مركزي في التطبيق الاقتصادي للاشتراكية وليس بسبب الأيديولوجية الشيوعية كعقيدة فكرية وسياسية . فبعد أن كان معدّل النمو في الدخل القومي السوفياتي قد تجاوز ال ٦ ٪ سنويا قبل الثمانينيات من القرن العشرين , لم يلبث أن هبط الى ٢,٢ ٪ عام ١٩٨٨ , وفجأة الى) - ٦ ٪ (عام ١٩٩٠ , فالى) - ١٠ ٪ (لحظة سقوطه التاريخي عام ١٩٩١ .

أذن , السقوط هو اقتصادي بشكل واضح , لذلك راحت القيادة الروسية بعد السوفياتية تعتمد مبدأ الاستراتيجية الناعمة التي عرفت تلازما بين اتجاهات أربعة تكاملية:

الأول , اعتماد نمط اقتصاد جديد يجمع بين حسنات الاشتراكية والرأسمالية تحت توجيه واشراف مباشر من قبل الدولة) اقتصاد موجّه (.

الثاني , التأكيد على خيار امتلاك القدرة العسكرية لضمان موقع متقدّم لروسيا الاتحادية على خارطة توزّع القوى على الهرم الدولي.

الثالث , الأمن القومي لروسيا خط أحمر خصوصا فيما اذا حاولت الولايات المتحدة ومعها دول " الناتو"

إحداث اختراقات في الجمهوريات المنسحبة والمستقلة عن الاتحاد السوفياتي السابق , ومنها جمهوريات في شرق أوروبا , واخرى في آسيا الوسطى.

الرابع , الحضور الدولي الذي يستجيب للمصالح الروسية من غير أيّ اعتبار للسياسات المعتمدة أو للخلفيات الأيديولوجية.

الذي تحقّق من الاتجاهات الأربعة المشار اليها كان في التالي :

١ – التدخّل المباشر بالقوّة العسكرية لحماية الأمن القومي الروسي , وقد حصل هذا الأمر مع جورجيا احدى جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية السابقة , وكذلك مع شبه جزيرة القرم في اوروبا , وحاليا مع أوكرانيا الجمهورية الأكثر اهمية لناحية موقعها المحاذ لروسيا بحدود برية تصل الى نحو ١٥٠٠ كلم. والتي يسعى الناتو الى ضمّها الى عضويته ليكون بذلك واقفا على الباب الأوروبي لروسيا .

٢ – الحضور العسكري والاقتصادي والسياسي في الشرق الأوسط , وكانت الترجمة المباشرة لهذا الحضور عبر التدخل العسكري الفاعل لروسيا في الحرب السورية منذ العام ٢٠١٥ , كل ذلك لهدف استراتيجي يقضي بتأمين حضور روسي في شرقي المتوسط يتيح لروسيا تسويق الغاز المسال والنفط الى أوروبا عبر الموانىء السورية في اللاذقية وطرطوس وبانياس , وقد يصل الأمر الى الموانىء اللبنانية في طرابلس وبيروت في المستقبل.

اقتصاديا , أبرمت روسيا العديد من الاتفاقيات مع معظم الدول العربية , وايضا مع إيران وتركيا , وهي تقيم علاقات متقدّمة مع اسرائيل في غير مجال اقتصادي وأمني وسياسي ودبلوماسي . فقد صرّح أكثر من مسؤول روسي على أنّ أمن اسرائيل هو من أمن روسيا , وهذا ما يفسّر خلفية الاستراتيجية الروسية لجهة إقامة علاقات مع بلدان الشرق الأوسط على أساس المصالح من غير الاعتبارات الأيديولوجية أو السياسية أو القومية .

٣ – ممارسة حقّ النقض " الفيتو" أكثر من مرة على مشاريع قرارات أمريكية في مجلس الأمن الدولي لا تنسجم مع مصالح روسيا في الشرق الأوسط , وهذا ما حصل إبّان القرارات الخاصّة بالأزمة السورية .

٤ – توظيف مواقع القوّة الروسية في الشرق الأوسط في تعزيز موقع روسيا الأوروبي , وفي هذا الأمر ما يعكس استعدادا للثأر من أمريكا ومنظومة الناتو ردا على تفكيك الدول التي كانت منخرطة في حلف" وارسو " مثل يوغسلافيا التي قسمت الى ثماني كيانات سياسية – دول , وتشيكوسلوفاكيا التي تحولت الى دولتين تشيكيا وسلوفاكيا.

٥ – خيار المواجهة العسكرية مع أوكرانيا تأكيدا على ظهور روسيا الاتحادية دولة قطبية على المسرح الدولي . واذا كان لهذا الخيار من دالات تفسيرية فهذه أبرزها:

الدالة الأولى , أنّ روسيا استعادت قوتها العسكرية المتكافئة مع أمريكا ومنظومة الناتو مجتمعة.

الدالة الثانية, أنّ روسيا أعادت من جديد الحرب الباردة في علاقتها مع القطب الأمريكي المتفرّد بحكم العالم . وهذا أمر يترتبّ عليه عودة الدول الكبرى الى السباق في التسلّح , والى تغذية النزاعات الدولية في غير مكان من العالم.

الدّالة الثالثة, إنّ البعد الجيوبوليتيكي هو الدافع الأبرز وراء التوجّهات الروسية بشأن علاقاتها الدولية , والحفاظ على حظورها الدولي , وتأمين مصالحها في العالم . فروسيا الاتحادية التي تبلغ مساحتها نحو ١٧,٥ مليون كم٢ , وهي التي تجمع قسمين أوروبي وآسيوي , هي أوراسيا التي تتوسط العالم , وتمتّد على مساحات سهلية خصبة من شرق أوروبا الى الشرق الأقصى عند حدود الصين , بقربها ثلاثة عشر بحرا من غير أن تكون مشاطئة لبحر واحد , فهي إذن , دولة عظمى برّية تسعى الى تأمين انفتاح بحري على العالم . هنا , تكمن نظرية " ماكيندر" في قانونه الجيوبوليتيكي الذي يقوم على الصراع بين ثنائية البرّ – البحر , فالدولة البرية غير قادرة على التوسّع والسيطرة بالاعتماد على قوتها البرية وحدها ,

وإنّما وحدها البحار هي الضامن الأكبر للقوّة . فالجيوبوليتيك يبقى الدافع الأهمّ الذي يتقدّم سائر الدوافع الأخرى الأيديولوجية أو الاقتصادية أو الفكرية أو السياسية.

لبنان

ـ بالتزامن مع إصدار مجلس القضاء الأعلى للتشكيلات القضائية بعد ثماني سنوات من التأجيل، مجلس النواب يقر قانوني إعادة تنظيم هيكلة المصارف واستقلالية القضاء.

ـ رئيس الجمهورية في عيد الجيش: لاستعادة دور الدولة التي تحمي الجميع، ولسحب سلاح كل القوى غير الشرعية في لبنان، وحصرية السلاح لا تمس أحداً، ويصرح في ذكرى الرابع من آب: سنواصل الضغط لمحاسبة كل المسؤولين عن الجريمة.

ـ رئيس الحكومة: تكليف الجيش بوضع خطة تطبيقية لنزع السلاح غير الشرعي قبل نهاية العام.

ـ قيادة الجيش تحذر المواطنين من تحركات غير محسوبة النتائج، وتنعى ستة شهداء من عناصره في انفجار مستودع للسلاح في وادي زبقين بمنطقة صور.

ـ الخارجية اللبنانية تنتقد تصريحات مسؤولين إيرانيين حول لبنان وتعتبرها تدخلاً سافراً في الشؤون الداخلية، ومستشار المرشد الإيراني يزور لبنان في خضم حملة إعلامية بين مؤيد ورافض للزيارة، والرئيس عون للزائر: اللغة التي سمعها لبنان من بعض المسؤولين الإيرانيين في الفترة الأخيرة "غير مساعدة"، وأن لبنان الذي لا يتدخل مطلقاً بشؤون إيران لا يرضى أن يتدخل أحد في شؤونه الداخلية"، فيما خاطبه رئيس الحكومة بالقول: قرارات الحكومة اللبنانية لا يُسمَح أن تكون موضع نقاش في أي دولة أخرى.

ـ قبل بدء عطلته السنوية الممتدة لأسبوعين، مجلس الوزراء يعقد ثلاث جلسات متتالية يومي الأربعاء والخميس في ٨/١٣ و ٨/١٤ دون التطرق إلى موضوع حصرية السلاح.

ـ مبعوث الرئيس الأميركي توم باراك يصل إلى لبنان في ٨/١٨ برفقته المبعوثة السابقة مورغان أورتاغوس وسط تصاعد حدة الخطاب السياسي الرافض لحصرية السلاح بيد الشرعية اللبنانية واستدراج الردود المعاكسة له.

ـ الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، السفير حسام زكي ينقل للمسؤولين اللبنانيين موقفاً عربياً داعماً للحكومة في موضوع حصرية السلاح بيد الجيش اللبناني، ويدعو المجتمع الدولي للضغط على العدو الصهيوني بتنفيذ تعهداته بموجب اتفاق ت٢ ٢٠٢٤.

ـ في خطوة وُصِفَت بالرمزية، الإعلان عن بدء تنفيذ تسليم سلاح المخيمات الفلسطينية إلى الجيش اللبناني انطلاقاً من مخيم برج البراجنة مساء ٨/٢١.

ـ سعي رسمي لبناني للتمديد لقوات اليونيفيل وسط اعتراض أميركي وتوجه فرنسي للتمديد لعام كامل ونهائي.

ـ عودة ثانية للمبعوث الأميركي توم باراك ومورغان أورتاغوس إلى لبنان ناقلَين الرد الإسرائيلي حول

ورقة باراك المعدلة لبنانياً.

ـ الإعلان عن زيارة وفد سوري رفيع يضم وزيري الخارجية والعدل لبحث بعض الملفات التي تهم البلدين.

فلسطين

ـ اعلنت "هيئة شؤون الأسرى والمحررين" أن عدد الأسرى لدى الإحتلال الإسرائيلي بلغ بداية الشهر الحالي ١٠٨٠٠، وأن هذا الرقم لا يتضمن المحتجزين في المعسكرات التابعة لجيش الإحتلال السرية التي يتواجد فيها المئات من المعتقلين والأسرى في قطاع غزة.

ـ كشفت "هيئة مقاومة الجدار والإستيطان" ان قوات الإحتلال نفذت ١٣٥٥ اعتداء" في شهر تموز الماضي، ونفذ المستوطنون ٤٦٦ اعتداءً في محافظات رام الله والخليل ونابلس، واستمرار الإعتداءات هذا الشهر، حيث أدى هجوم لقوات الإحتلال على مدينتي البيرة ورام الله في ٨/٢٦ إلى إصابة ٥٨ شخصاً والإستيلاء على أموال ومعدات من أحد محال الصيرفة.

ـ المكتب الإعلامي في غزة في ٨/٢٥ يعلن استشهاد ٢٤٦ صحفياً في القطاع منذ ت١ ٢٠٢٣.

ـ أعلنت الدائرة الصحية في غزة وفاة ٣٠٣ شخصاً بينهم ١١٧ طفلاً بسبب سياسة التجويع التي تفرضها قوات الإحتلال.

ـ "حماس" تبلغ الوسطاء موافقتها على مقترح وقف إطلاق النار وتبادل الأسرى وفق خطة المبعوث الأميركي ستيف ويتكوف، وحكومة نتنياهو تماطل وتخطط لإحتلال مدينة غزة.

ـ بعد قرار الكنيست ضم الضفة الغربية الشهر الماضي، رئيس مجلس النواب الأميركي من "الحزب الجمهوري"، مايك جونسون يزور مستوطنة "أرئيل" في سلفيت برفقة سفير الولايات المتحدة لدى الكيان الصهيوني، مايك هاكابي، ويصرح: "ان جبال يهودا والسامرة، ويعني بها الضفة الغربية، هي ملك لما سماه "الشعب اليهودي"، والرئاسة الفلسطينية تندد.

ـ أوردت وسائل إعلام العدو إصابة ثلاثة جنود جراء انقلاب مركبتهم العسكرية قرب معبر "كرم أبو سالم" جنوب قطاع غزة في ٨/٣، وإصابة ضابط وجندي بعملية قنص شمال القطاع في ٨/١٩، وإصابة ثلاثة جنود في هجوم على موقع للجيش في رفح في ٨/٢٠.

ـ إطلاق عدة صواريخ من اليمن على دفعات، وتعرض عدة مواقع في تل أبيب لشظاياها وشظايا وسائل الدفاع، وتوقف الملاحة لأوقات محدودة في مطار اللد (بن غوريون).

ـ مظاهرات واعتصامات في عواصم ومدن في بريطانيا، وهولندا، وسويسرا، وبولندا، واليونان، وبلجيكا، والسويد والدانمارك، واستراليا، وكوريا الجنوبية، وماليزيا. دعماً لفلسطين وتنديداً بجرائم قوات الإحتلال.

سورية

ـ زار وزيرا الخارجية والدفاع، ورئيس الإستخبارات العامة موسكو والتقوا الرئيس بوتين ووزيري الخارجية والدفاع، والإتفاق على تشكيل لجنة حكومية مشتركة لمراجعة كل الإتفاقيات والعقود المبرمة بين البلدين.

ـ اعلن وزير العدل أن لجنة من سبعة أعضاء، بينهم قضاة ومحامون ومسؤول عسكري، ستنظر في الظروف التي أدت إلى أحداث السويداء التي اندلعت في ١٣ تموز الماضي.

ـ بحضور وزيري الطاقة السوري والتركي ووزير الإقتصاد الأذربيجاني، أقيمت في ولاية "كيليس" التركية مراسم رسمية لإنطلاق أول تدفق للغاز الطبيعي الأذري إلى سورية عبر تركيا بدعم قطري، ما يسمح بمرور نحو ملياري م٣ من الغاز الطبيعي إلى سورية.

ـ بعد زيارة "إسرائيل" ولقائه رئيس حكومة العدو، عضو مجلس النواب الأميركيومبعوث أجندة ترامب "السلام بالقوة"، إبراهيم حمادة يصل إلى دمشق ويلتقي الرئيس الشرع ووزير الخارجية بهدف إعادة جثمان كايلا ميلر إلى ولاية أريزونا الأميركية، وإنشاء ممر إنساني لإيصال المساعدات إلى السويداء، وتطبيع العلاقات والإنضمام إلى إتفاقيات "إبراهام"، وعضو مجلس إدارة "مجلس الأعمال الأميركي السوري"، جهاد سلقيني يصرح أن المجلس هو من نظم زيارة حمادة إلى دمشق.

ـ مصدر في وزارة الدفاع التركية: أنقرة ستقدم لسورية التدريب العسكري والتعاون والتخطيط بموجب مذكرة تفاهم للتعاون الدفاعي وقعها وزيرا دفاع البلدين في انقرة.

ـ وفد من الكونغرس الأميركي يزور دمشق ويلتقي الرئيس الشرع ووزيري الخارجية والداخلية.

ـ إجتماع بين وزير الخارجية، أسعد الشيباني ووزير الشؤون الإستراتيجية الإسرائيلي، رون ديرمر في باريس.

ـ أعلن فريق المختصين التابع للأمم المتحدة في تقرير صدر في ٨/١٤ أن جرائم حرب ارتكبت على الأرجح من جانب كل من قوات الحكومة السورية الجديدة والمسلحين الموالين للنظام السابق في الساحل السوري في آذار الماضي، ووثق التقرير مقتل نحو ١٤٠٠ شخصاً، معظمهم من

المدنيين، وذكر الفريق انه لم يجد أي دليل على وجود سياسة أو توجيهات حكومية لتنفيذ الهجمات، والخارجية السورية ترحب وتعتبر النتائج مطابقة للتحقيق الذي أجرته لجنة وطنية سورية، والخارجية الفرنسية تشيد بالتقرير.

ـ الرئيس الشرع يصدر مرسوماً عين بموجبه إبراهيم عبد الملك علي سفيراً مفوضاً ومندوباً دائماً لسورية لدى الأمم المتحدة.

ـ الوكالة العربية السورية للأنباء "سانا" تطلق نسختها باللغة الكردية لتضاف إلى العربية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية والتركية.

ـ انعقاد مؤتمر "وحدة الموقف لمكونات شمال شرق سورية" في مدينة الحسكة بمشاركة نحو ٥٠٠ شخصية تمثل "الإدارة الذاتية الكردية" وممثلين عن هيئات سياسية وأمنية وعسكرية في المنطقة، ومشاركة الشيخ حكمت الهجري، ورئيس "المجلس الديني الإسلامي العلوي"، غزال غزال عبر الفيديو. ورد في البيان الختامي المطالبة ب "ضرورة صياغة دستور ديمقراطي جديد يضمن التعددية، والمشاركة السياسية العادلة لكل مكونات البلاد، ويؤسس لنظام لامركزي يحترم الخصوصيات الثقافية والجغرافية".

ـ فصائل في السويداء تعلن تشكيل "الحرس الوطني" بدعم من الشيخ حكمت الهجري المطالب بإنشاء إقليم إنفصالي في السويداء وحماية دولية، والشيخ ليث البلعوث، أحد قادة "حركة رجال الكرامة" يصف ذلك بأنه: "رسالة تحمل في طياتها الخراب".

العراق

ـ أعلنت الولايات المتحدة سحب قواتها من قاعدة "عين الأسد" في الأنبار إلى قاعدة "الحرير" في أربيل.

ـ أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي لاريجاني يزور بغداد، وتوقيع اتفاقية للتنسيق الأمني على الحدود بين البلدين، والجانب الإيراني يطلق عليها "إتفاقية"، والجانب العراقي يسميها "مذكرة تفاهم".

ـ إشتباكات في السليمانية في ٨/٢٢ بين قوات تابعة لرئيس حزب "الإتحاد الوطني الكردستاني" برئاسة بافل طالباني وعناصر مسلحة تابعة لإبن عمه، رئيس حزب "جبهة الشعب"، لاهور شيخ جنكي أدت إلى اعتقال الأخير وإصابة شقيقه واعتقاله، ومقتل ثلاثة عناصر امن وإصابة ١٩ آخرين. سبق ذلك اعتقال السياسي المعارض لطالباني وزعيم "حركة الجيل الجديد"، شاسوار عبد الواحد في ٨/١٢.

ـ مفوضية الإنتخابات تستبعد ٦٢٠ مرشحاً من تقدموا بطلبات لخوض الإنتخابات النيابية المزمع إجراؤها في ت٢ القادم، من بينهم ٢٩١ بتهمة أنهم كانوا ينتمون إلى حزب البعث العربي الإشتراكي، وفق المادة المتعلقة بقانون "المساءلة والعدالة" (إجتثاث البعث).

الأردن

ـ اجتماع ثلاثي بين وزيري خارجية الأردن وسورية والمبعوث الأميركي توم باراك في عمان، والإتفاق على تشكيل مجموعة سورية أردنية أميركية لدعم جهود الحكومة السورية لوقف إطلاق النار في السويداء.

السعودية

ـ اجتماع إستثنائي لوزراء خارجية دول "منظمة التعاون الإسلامي" في جدة لبحث العدوان الإسرائيلي المتواصل على الشعب الفلسطيني، وآليات التحرك لوقف الإبادة الجماعية، والقرارات والخطط الرامية إلى ترسيخ الإحتلال، والسيطرة الكاملة على قطاع غزة.

اليمن

ـ استهداف صهيوني ل "محطة حزيز" للكهرباء جنوب صنعاء في ٨/١٧، وغارات على محطات كهرباء وخزانات وقود ومواقع أخرى في صنعاء في ٨/٢٤، والإعلان عن استشهاد ١٠ وإصابة ٩٢ آخرين.

مصر

ـ توقيع صفقة الغاز مع "إسرائيل" في ٨/٧ والتي بموجبها تستورد مصر الغاز مقابل ٣٥ مليار دولار يتم دفعها خلال ١٤ عاماً، ومحللون صحفيون يتساءلون: ماذا حل بحقل "ظهر" المصري؟

ليبيا

ـ أعلنت المفوضية الوطنية للإنتخابات إجراء إنتخابات بلدية شملت ٣٣ مجلساً بلدياً من أصل ٦٣ كان من المفترض أن تشملها المرحلة الثانية من الإنتخابات. هذا وسبق ان أجريت المرحلة الأولى في ١٦ ت٢ ٢٠٢٤ وشملت ٥٨ بلدية، ومطالبات سياسية وشعبية باستكمال الإنتخابات في باقي البلديات.

الجزائر

ـ زلزال بقوة ٥،٨ درجة في ولاية تبسة شمال شرق البلاد تمتد ارتداداته إلى الحدود مع تونس دون حدوث خسائر بشرية أو مادية.

ـ اندلاع نحو ٢٠ حريقاً في ولاية بجاية على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

مقتطفات دولية

ـ توقيع اتفاق سلام بين أذربيجان وأرمينيا في واشنطن بحضور الرئيس الأميركي ومشاركة قطر. تضمن الإتفاق بنداً حول حقوق تطوير حصرية للولايات المتحدة الأميركية ل "ممر زنغزور" الذي حمل إسم "طريق ترامب للسلام والإزدهار الدوليين".

ـ أعلن حكام ولايات ميسيسيبي وأوهايو وويست فرجينيا وساوث كارولاينا إرسال قرابة ٩٠٠ عنصر جديد من ولاياتهم لينضموا إلى ٨٠٠ عنصر من الحرس الوطني الموجودين في واشنطن تجاوباً مع طلب الرئيس ترامب لضبط الأوضاع وإنفاذ القانون.

ـ الرئيس الأميركي يطالب جامعة كاليفورنيا بدفع غرامة بقيمة مليار دولار على خلفية استجابتها للتظاهرات الطلابية المنددة بالحرب على غزة، متهماً إياها ب "معاداة السامية"، ورئيس الجامعة يصرح: "إن هذه الغرامة التي تعادل خمسة أضعاف المبلغ الذي وافقت جامعة كولومبيا على دفعها لتسوية نتائج إتهامات فيدرالية مماثلة، من شأنه ان يدمر بالكامل نظام الجامعة، وحاكم الولاية وعضو مجلس إدارة الجامعة، غافن نيوسوم هدد بمقاضاة ترامب متهمان إياه بمحاولة إسكات الحرية الأكاديمية.

ـ الولايات المتحدة الأميركية تلغي اكثر من ٦٠٠٠ تاشيرة دراسية لطلاب مؤيدين لفلسطين بحجة تجاوز مدة الإقامة، ومخالفة القانون، ودعم الإرهاب.

ـ أفاد استطلاع للرأي أجرته وكالة "رويترز" في ٨/١٨ أن نسبة تاييد الرئيس دونالد ترامب سجلت ٤٠٪ بانخفاض سبع درجات عن استطلاع مماثل في ك٢ الماضي أثناء عودته إلى البيت الأبيض في بداية ولايته الثانية.

ـ جندي يطلق النار في القاعدة العسكرية الأميركية "فورت ستيوارت" بولاية جورجيا تؤدي إلى إصابة سبعة جنود.

ـ الولايات المتحدة الأميركية تعلن فرض عقوبات على القاضي نيكولا غيو من فرنسا، والقاضية أسمي كيميرلي بروست من كندا، والمدعيَين نزهت شميم خان من فيدجي، ومامي مانداي نيانغ من السنغال بحجة مشاركتهم في جهود المحكمة الجنائية الدولية للتحقيق في شأن مواطنين من الولايات المتحدة و"إسرائيل" من دون موافقة أي من البلدين، وفق وزير الخارجية، ماركو روبيو.

ـ استقالة تسعة وزراء من حزب "العقد الإجتماعي الجديد" في الحكومة الهولندية من بينهم وزير الخارجية، كاسبار فيلدكامب بسبب فشل الحكومة بفرض عقوبات على "إسرائيل" جراء ممارساتها في غزة.

ـ بعد يومين من إصدار الرئيس الأميركي أمراً بوضع غواصتين نوويتين في ما سماه "مناطق مناسبة" رداً على تصريحات نائب رئيس مجلس الأمن الروسي التصعيدية، أجرت الصين وروسيا مناورات عسكرية لمدة ثلاثة أيام قرب ميناء فلاديفوستوك الروسي تحت إسم "البحر المشترك ٢٠٢٥"، ودوريات بحرية أخرى في المحيط الهادئ. تزامناً، أجرت الولايات المتحدة مناورات مع اليابان وبريطانيا واستراليا والنرويج وإسبانيا غرب المحيط الهادئ.

ـ دوريات بحرية هندية ـ فليبينية، وأسترالية ـ فليبينية في بحر الصين الجنوبي.

ـ الولايات المتحدة تجري مناورات "شريك النسر ٢٠٢٥" مع قوات أرمينية بين ١٢ ـ ٨/٢٠ في أرمينيا.

ـ عُقدت في ولاية ألاسكا الأميركية قمة بين الرئيسين الأميركي والروسي بحضور كبار المسؤولين في البلدين. رغم ان عنوان القمة كان العمل على وقف الحرب الروسية ـ الأكرانية إلا أن حيثيات القمة تشير إلى بحث ملفات متعددة إضافةً إلى العلاقات الثنائية. وصف الجانبان المباحثات بالإيجابية والبناءة، وتباينت مواقف دول الإتحاد الأوروبي بين الترحيب والتشكيك والحذر، والرئيس الروسي يطلع ولي عهد السعودية على مجريات القمة، ووزير خارجيته يطلع نظيره المصري كذلك.

ـ الرئيس الأميركي، بحضور أركان إدارته، يلتقي الرئيس الأوكراني في البيت الأبيض بحضور رئيسي فرنسا وفنلندا، والمستشار الألماني، ورئيس وزراء بريطانيا، ورئيسة وزراء إيطاليا، ورئيسة مفوضية الإتحاد الأوروبي، وأمين عام حلف شمال الأطلسي (الناتو). عبر المشاركون عن مواقفهم وآرائهم حول الحرب الروسية ـ الأوكرانية.

ـ السلطات البرازيلية تضع الرئيس السابق، جاير بولسونارو، اليميني المتطرف والمدعوم من الولايات المتحدة، الذي يُحاكَم بتهمة التخطيط لإنقلاب، قيد الإقامة الجبرية.

ـ لقاء شيخ عقل طائفة الموحدين الدروز في "إسرائيل"، موفق طريف مع المبعوث الأميركي توم براك في باريس.

ـ أعلنت الشرطة الإيرانية عن اعتقال زهاء ٢١ ألف شخص بتهمة التجسس والقيام بأعمال مُخلة بالأمن أثناء الحرب مع "إسرائيل" في حزيران الماضي، كما أعلنت مقتل خمسة من عناصرها بمحافظة سيستان ـ بلوشستان بهجوم على دوريتين للشرطة.

ـ استئناف المفاوضات حول الملف النووي الإيراني في جنيف بين إيران ودول الترويكا الأوروبية (بريطانيا وفرنسا وألمانيا) برئاسة نواب وزراء الخارجية ومشاركة نائب مسؤولة السياسة الخارجية في الإتحاد الأوروبي.

جيل العبث: لماذا يهرب الشباب العربي إلى الأمام؟ (الهجرة والتطرف كصيغ يأس... لا كخيارات)

أ. طارق عبد اللطيف أبو عكرمة

المقدمة: (الهروب كعلامة وجودية):

(ليس الموت هو النهاية، بل العيش بلا معنى) – بهذه العبارة الموجعة، لخّص شابٌّ عراقي في الخامسة والعشرين من عمره لحظة انكساره الوجودي، حين قرر الانضمام إلى ميليشيا مسلحة، لا حبًا بالعنف، بل فرارًا من خواء الوطن، وصمت العدالة، وبرودة الأمل. لم تكن كلماته صرخة فردٍ منهك، بل مرآة لجيل عربي بأسره يعيش مأساة مزدوجة، الغربة داخل الأرض، والغرق في الزمان.

جيلٌ يمشي على أرض لا تعترف بحلمه، ويعيش في مجتمع يطلب منه الصبر على اللا جدوى، والامتثال لواقع يزدري أسئلته، ويعاقب توقه إلى الحياة. إننا لا نتحدث عن انحرافات أو انزلاقات فردية، بل عن انفجار وجودي صامت، يتمدد في جسد الأمة العربية كما يتمدد الصدأ في الحديد، بلا ضجيج، لكنه قاتل.

السؤال الحقيقي إذًا ليس: لماذا يهاجر شبابنا؟ أو لماذا يتطرف البعض؟ بل: لماذا باتت الحياة في وطننا غير صالحة للمعنى؟

ولماذا أصبحت الهجرة والتطرّف – على تناقض ظاهرهما – مجرد مسارين مختلفين لهروب واحد من حاضر لا يُطاق، ومستقبلٍ لا يُمنَح؟ أليسَ اختيار (الهروب إلى الأمام) هو تعبير مأسوي عن فقدان الإيمان بكل أبواب النجاة من الداخل؟

١. الهجرة: حين يتحوّل الوطن إلى مطار مؤقت:

لم تعد الهجرة حلمًا رومانيًا عن المغامرة والاكتشاف، بل صارت شكلًا من أشكال النجاة الباردة؛ قفزًا من سفينة لا أحد يعرف وجهتها، لكنها تغرق بصمت. في تقرير اليونسكو لعام (٢٠٢٣)، قال أكثر من (٤٠٪) من شباب المغرب العربي إنهم يفكرون جديًا في الهجرة، فيما يعيش (٦٠٪) من خريجي الجامعات السورية في المنافي (كنماذج من الأقطار العربية). هذه الأرقام ليست فقط إحصاءات مرعبة، بل علامات على موت الحلم داخل حدوده الأصلية. والمفارقة القاسية أن الشباب لم يهربوا من الجوع وحده، بل من امتهان المعنى والكرامة. كما عبّر مهندس مصري يعمل في ألمانيا، بنبرة لا تخلو من المرارة: (هنا أعمل ساعي بريد، لكنني إنسان، هناك كنت مهندساً، لكنني عبدٌ للواسطة والفساد).

فالهجرة لم تعد هروبًا من الفقر، بل تمردًا صامتًا على منظومة تجيد إجهاض المواهب، وتفنّنت في تحويل العقل إلى عبء، والحلم إلى لعنة. لقد أصبح وطننا العربي، للأسف، مطار انتظار طويل بلا طائرات، ومدنًا تعيدك إلى الخلف كلما أردت أن تتقدّم. في ظل أنظمة تحوّلت فيها الدولة إلى جهاز رقابة، والتعليم إلى شهادة ميتة، والهوية إلى سجن لغوي – يصبح الفرار هو الشكل الوحيد المتبقي من أشكال الحرية.

(الهجرة هنا ليست خيانة، بل محاولة للبقاء حيًا في عالمٍ يدفن الحلم قبل أن يولد)

٢. التطرّف: حين يُقدَّم الموت كأكثر أشكال الحياة معنىً:

في الجهة الأخرى من المأساة، يقف من لم يجد منفى جسديًا فآثر المنفى الوجودي؛ من اختار النار لا حبًّا بالدمار، بل لأن الحياة صارت بلا ضوء ولا وجهة. لم يعد التطرّف مجرّد نتيجة تلقين ديني أو تطرّف أيديولوجي، بل أصبح في كثير من الحالات صرخة المعنى الأخير، حين تسقط كلّ البدائل وتُغلق كلّ النوافذ. فالشباب الذي يذهب إلى أقصى أشكال العنف لا يفعل ذلك لأنه يكره الحياة، بل لأنه لم يعد يجد فيها ما يُحب، أو ما يستحق أن يُعاش لأجله.

(كانوا يعرضون علينا الموت كبديل عن حياة بلا كرامة) – هكذا قال شاب تونسي نجا من معسكرات التجنيد، في شهادة لا تشرح التطرّف، بل تفضح فراغ الواقع.

تقرير للأمم المتحدة (٢٠١٨) يؤكد أن (٧٠٪) ، من عناصر (داعش) من

خريجي الجامعات. نحن إذًا لسنا أمام جهل، بل أمام فراغ وجودي لم تجب عليه حكومات الأقطار العربية، ولم تسنده الأسرة، ولم تُروه المدرسة، فامتلأ بأوهام (الخلاص المقدّس).

بعد غزو العراق واحتلاله من قبل الولايات المتحدة الامريكية في (٢٠٠٣)، أصبحت الميليشيات في العراق – وفي غيره – تقدم وظيفة وراتبًا وهوية. لقد دمرت الدولة، وقام مكانها (تاجرُ دم) يبيع الانتماء في أسواق السلاح والولاء. بعد الاحتلال، لم تتفكك مؤسسات الدولة فحسب، بل تفككت هوية المواطن العراقي نفسه. من (عراقي) إلى (شيعي)، (سني)، (كردي)، (جنوبي)، (بصراوي) وغيرها. ومن موظفٍ ينتظر الدولة، إلى مقاتل يعمل لدى ميليشيا. لقد تحوّل (النَّسيان) هنا إلى سياسة رسمية، إلى جهاز دولة خفيّ يحوّل الطاقات الشابة إلى رماد، أو يحرقها في جبهاتٍ لا تنتمي إليها. كذلك بعد انهيار النظام الليبي، لم تتقدّم الدولة، بل تقدّمت القبيلة. انتشرت الميليشيات كالشركات الأمنية، وأصبحت وسيلة توظيف عابر للبطالة والهويّة. الولاء هنا لم يعد للوطن، بل لقطعة جغرافية مؤقتة تضمن لك الراتب، والسلاح، وربما النجاة. أما في اليمن، أخذ (الحوثيون) الحرب كمشروع حياة، لا كمأساة. من خلال خطاب (العدوان)، تم تجنيد الآلاف من الأطفال والشباب – لا لقتال العدو، بل لإطالة الحرب التي أصبحت مصدر رزق ومشروع سلطة. فالحرب هنا ليست وسيلة، بل غاية اقتصادية، وغطاءٌ لتجارة السلاح والتهريب. وهكذا لم يكن التطرّف خيارًا عقائديًا، بل انتحارًا مؤسسًا ومُنظّمًا... انتحار من تخلّت عنه المعاني، فاستعان بالعدم.

٣. الخيانة المزدوجة: (من حوّل الشباب إلى وقود؟):

أ. الخيانة من الداخل – حين تتآمر الدولة على طاقتها: في أنظمة فقدت مشروعها، صار الشباب مجرّد قنبلة موقوتة يجب تصريفها، لا طاقة يجب احتضانها:

- تُفتح أبواب الهجرة لا كخيار تنمية، بل كصمّام أمان يُفرّغ الاحتقان.

- ويُسلّح اليائسون ليخوضوا حروبًا لا يفهمونها، في ساحاتٍ لا تعنيهم، من أجل مشاريع لا تخصهم.

هكذا يُستبدَل العقل بالمرتزق، والخريج بالمجند، والحلم بالرصاصة. الدولة، بدل أن تصوغ مستقبلًا، تصنع بندقية.

ب. الخيانة من الخارج – حين يُصادِر الآخر ما لم تصنه الذات: الغرب الذي يتغنّى بحقوق الإنسان، يُحسن انتقاء ما يناسب مصالحه:

- فيفتح بوابات الهجرة للنخبة (كندا وحدها خصصت آلاف التأشيرات لأصحاب الشهادات من المنطقة).

- ويزرع، في الوقت ذاته، نيران التطرف عبر دعم جماعات (معتدلة) تنقلب سريعًا إلى فوضى مدمّرة، كما حدث في سوريا واليمن.

الخارج لا يُهاجمنا مباشرة، بل يُفرغنا من الداخل، ينهب عقولنا، ويُغرق شوارعنا في العنف. إنها خيانة ناعمة:(تُلبس الفوضى لبوس التحرير، وتغسل يدها من الرماد).

٤. دور العولمة ووسائل التواصل في تشكيل الوعي الجديد: وفي خضم هذا كله، لم يعد الشباب العربي أسير الخطابات التقليدية. فالعولمة ووسائل التواصل فتحت أمامه نوافذ لم تكن موجودة من قبل:

أ. هويات جديدة تتشكل عبر الانتماء إلى قضايا عالمية (مثل المناخ أو حقوق المرأة)، بعيدًا عن الحدود الضيقة.

ب. فرص للتعلم والعمل عن بعد. جعلت 'الوطن' مسألة اختيارية لا سجنًا جغرافيًا.

ت. منصات مثل 'تيك توك' و'يوتيوب' حوّلت الشباب من متلقٍّ سلبي إلى صانع محتوى يؤثر في الملايين.

الخطورة هنا أن هذه الأدوات قد تُستخدم كمسكنات للهروب من الواقع (مثل الإدمان الرقمي)، لكنها أيضًا قد تكون أدوات للتحرر إذا جرى توظيفها لبناء مشاريع ذات معنى. فالشاب الذي يعيش في قرية نائية يمكنه اليوم أن يتعلم البرمجة مجانًا، ويبيع خدماته للعالم كله. هل ندرك أن هذه الثورة قد تكون بديلًا عن الهروب إلى التطرف أو المنفى؟

٥. من (جيل العبث) إلى (جيل البعث): هل يمكن قلب المعادلة؟: لا نحتاج إلى شعارات جديدة، بل إلى إعادة اختراع الوطن والأمة العربية كفكرة قابلة للحياة.

أ. الدولة كـ(معنى) لا كمجرد (مؤسسة): الدولة التي لا تقول شيئًا لروح الشاب، لا تستطيع أن تشتري طاعته. الشباب لا يريد أن يُدرَّب على الطاعة، بل أن يُحاور على الأمل. نريد دولة تتكلم بلسان

أبنائها، لا بلغة تقارير المانحين، ولا بخطاب الخوف والجمود.

ب. الجامعة كحاضنة للعقل المقاوم: في الستينيات، كانت الجامعة منبرًا لاختراع الذات وتشكيل الوعي. اليوم، تحوّلت إلى مذبح للخيال، يُقتل فيه السؤال تحت سطوة المحاضرة التلقينية.

- نريد (جامعة مقاومة)، تعلمنا الشكّ لا الحفظ، وتحرّر العقل بدل تسليعه.

- نريد خطابًا أكاديميًا يُعيد تعريف الوطنية والقومية كحرية فكر، لا كولاء أعمى.

ت. الشباب في قلب القرار لا على الهامش: تجربة (الاتحاد الوطني لطلبة العراق) قبل الغزو مثالٌ حي، فالطلاب كانوا يكتبون البيان لا يصفقون له.

- نحتاج إلى برلمانات شبابية لا تتزين بها السلطة، بل تحرّكها من الداخل.

- إلى منصات ثقافية تعيد كتابة هوية الأمة العربية كإرادة، لا كذاكرة باهتة.

لكن كيف نترجم شعار (إعادة اختراع الوطن) إلى فعل؟ الجواب يبدأ من:

- تعليم يحرّر العقل لا يقيده: بمناهج تعلم التفكير النقدي بدل الحفظ، وتدمج التكنولوجيا والفنون كأدوات للتحرر.
- اقتصاد يُكافئ الموهبة لا الولاء: عبر حاضنات أعمال تموّل الأفكار الجديدة، وقوانين تضمن فرصًا متساوية بلا محسوبية.
- تمكين سياسي حقيقي: بمجالس شبابية ذات صلاحيات تنفيذية، وليس كديكور للاستهلاك الإعلامي.

لن ينتظر الشباب حتى يتغير النظام، لكنهم سيصنعون التغيير إذا وجدوا مساحات للتنفس، ولو كانت صغيرة. فالتجارب الناجحة في تونس والأردن (مثل مشاريع الطاقة الشمسية التي يقودها شباب) تثبت أن الإرادة موجودة، لكنها تحتاج إلى أرضية، لا شعارات.

٦. الشباب في فكر البعث: حملةُ الرسالة... لا طلاب وظيفة:

في فلسفة حزب البعث العربي الاشتراكي، لم يكن الشباب مجرد شريحة عمرية أو طاقة اقتصادية، بل نواة المشروع القومي وروحه المتجددة. فالبعث لم ينظر إلى الشباب كأتباع، بل كحملة راية، رساليين بالمعنى الإيماني والسياسي معًا. يقول الأستاذ ميشيل عفلق: (إن الشاب العربي حين يؤمن بفكرة، يستطيع أن يهزّ العالم من حوله، لا لأنه يملك السلاح، بل لأنه يملك الإيمان). من هنا، كان إيمان البعث بالشباب إيمانًا بقدرتهم على بعث الأمة العربية من ركامها، لا عبر التلقين أو الطاعة، بل عبر الخلق والتمرد المسؤول. وفي فكر الشهيد صدام حسين، تحوّل هذا الإيمان إلى فعل دولة، حين قال:(الشباب هم حراس الحلم العربي، إذا خافوا سقط الوطن، وإذا ثاروا نهضت الأمة العربية).

ولهذا لم يكن الاستثمار في الشباب مجرّد شعار في خطاب، بل مشروع تحرر شامل، من التعليم المجاني النوعي، إلى تمكينهم من القرار السياسي، إلى تدريبهم على القيادة والمبادرة. لقد رأى حزب البعث أن كل ثورة حقيقية تبدأ من قلب شاب آمنَ أن العروبة ليست ماضيًا نرثيه، بل مستقبلًا نخلقه. وإن الأمة العربية التي لا تزرع في شبابها الإيمان بالقضية، تحصد الهزيمة ولو كثرت مواردها. كما أن في فكر حزب البعث، الشباب ليسوا (وقودًا) لحروب الآخرين، بل شموعًا تنير طريق الأمة العربية نحو وحدتها، وحريتها، وكرامتها.

الخاتمة: حين تخون الأوطان أبناءها:

الشباب لا يخونون أوطانهم... بل تُخونهم الأوطان حين تُدار بالعنف، وتُغرق في الرداءة، وتُكرّس التفاهة كقيمة عليا. (لا أحد يُولد قاتلًا أو لاجئًا - بل يولد إنسانًا، ثم يُدفَع دفعًا نحو الهاوية).

فجيل العبث ليس هو المشكلة، بل المرآة التي تعكس إفلاس المجتمع والدولة والنخبة. نحن أمام مفترق تاريخي: إمّا أن نعيد لهذا الجيل حقه في المعنى، في الكرامة، في الأمل – أو نتركه فريسةً للنار أو للموج. لكن حتى في قلب هذا العبث، لم يكفّ بعضهم عن محاولة اقتناص الأمل: فشباب (ثورة ٢٠١١) و شباب انتفاضة ديسمبر الثورية(٢٠١٨)في السودان الذين حوّلوا الساحات إلى فصول للحرية، والمبرمجون الذين يصنعون من غرفهم الصغيرة شركاتٍ تنافس العالم، والفنانون الذين يحوّلون الألم إلى أغانٍ تنتشر كالنار في الهشيم – كلهم يثبتون أن الجيل العربي قادرٌ على تحطيم القيود، حتى لو كانت الأرض تحته تُنهش. هم لم ينتظروا أن يُمنحوا الشرعية، بل انتزعوها بإرادةٍ تُذكّرنا أن النهضة لا تبدأ بانتظار النظام، بل بشرارة فردٍ يرفض أن ينطفئ. إما أن نصنع منه جيل البعث – بعث الحياة، بعث الإنسان، بعث القيمة – أو ندفنه بأيدينا، صامتين، كما دُفِن آلاف من قبله.

ندوة "ميشال عفلق بين نصَّيْن"

د. عبده شحيتلي

تقديم أ. محمد الحجيري

التقديم

الرفاق والأصدقاء أهلاً بكم.

كثيرةٌ هي الأسباب التي تستدعي الحديثَ عن ميشيل عفلق، وكثيرةٌ هي العناوينُ التي تصلح لأن تكون موضوعاتٍ للبحث والنقاش.

شاءت الأقدار أن تلقي بعفلق إلى الوجود في مرحلةٍ ومحطةٍ مفصليّةٍ من تاريخ العرب هي من أحرج المحطات: محطة خروج العرب من تحت الحكم العثماني الذي استمر لأربعة قرون طويلة، والدخول في ظل وصاية الدول الأوروبية المنتصرة في الحرب الكونيّة الأولى دون أن تكون لديهم (أي لدى العرب) سلطةٌ سياسية تدير البلاد، ودون أن تكون لديهم حدودٌ واضحةٌ لكيانٍ سياسيٍّ أو كياناتٍ سياسيةٍ ناجزة. كان العرب يشعرون أنهم عرب، وأنّ البلاد بلادَهم، فكان يأتي الحاكم من الحجاز ليحكم العراق أو الأردن أو سورية ما إن يفرج الانتداب عن الولايات التي انتُدب عليها.. بينما كانت الدول المنتدَبة تعيد رسم الخرائط وحدودِ الكيانات السياسية بما يتناسب مع مصالحها بالتنافس أو بالتفاهم.

في مثل هذه الظروف التاريخية والسياسية وَجد ميشيل عفلق الشاب نفسه، في محطةٍ، هي محطة الانتقال من قرون التبعيةٍ للدولة العثمانية إلى الاستقلال، مروراً بمرحلة الانتداب الذي كان يصوغ الحدود والكيانات السياسية على مقاسات مصالحه، بينما لم يكن لدى العرب إلا واقعٌ مشوَّشٌ يسوده القلق، وانتظارُ غدٍ يتأرجح ما بين الأملِ والتوجّس من المجهول.

كانت المنطقة على مفترق احتمالات كثيرة وغير واضحة، لكن ما كان يغلب على وعي الناس تبلوُر الشعور بهويتهم القومية، وطموحٌ بغدٍ يتجاوز حالة التخلّف والفقر والتبعيّة.

هذا المناخ العام كان مناسباً تماماً لانتشار المشاعر المؤيّدة لقيام كيانٍ سياسي يوحد العرب ويتجاوز محاولاتٍ رسم حدود لكيانات سياسية ترسمها الدول المنتدَبة للمنطقة. وهذا ما سيعمل ميشيل عفلق على تحويله من مجرد مشاعرَ ورأيٍ عام إلى مشروعٍ فكريٍّ وسياسي وخلقَ الأداة الحزبية التيَ تتبنى أهدافه وتعملَ على تحقيقها.

النقلة الثانية في مسيرة عفلق كانت خلال مرحلة دراسته الجامعية في فرنسا.

في فرنسا يجد المهتم كل ما يرغب به لإشباع اهتماماته.

ولأنّ اهتماماتِ عفلقَ كانت جدّيةً وكبيرة، فقد انغمس في أنواع متعددة من الأنشطة في آن.

يحق لنا أن نفترض أن عفلق قد أحس بعروبته في فرنسا أكثر مما أحس بها في دمشق. وهذا شعور يعرفه كل عربي يسافر إلى بلادٍ أجنبية.

وفي فرنسا يتم التعامل معه كونه عربياً أولاً، كما يتم التعامل مع التونسي أو الجزائري أو المغربي أو المصري، على أنهم عربٌ أولاً وقبل النظر إلى هويتهم الوطنية.

ولا شكّ أن إقامة عفلق في فرنسا قد أتاحت له فرصة التواصل والتفاعل مع الطلبة العرب من الأقطار الأخرى، والتعرّف على خصوصيّات تلك الأقطار والمشاكل التي تعاني منها، وهو ما سيظهر أثره في كتاباته وحواراته حول تلك الخصوصيات وتلك المشاكل.

إضافةً إلى الدراسة الأكاديمية، فقد أتاحت اهتمامات ميشيل عفلق له بالتعرّف على أساطين الفكر والأدب والفلسفة في العاصمة الفرنسية، من أمثال أندريه جيد وهنري برغسون ونيتشه، وقد ظهر أثر تفاعله مع تلك الشخصيات في كتاباته اللاحقة، الأدبية بدايةً، ثم الفكرية والسياسية لاحقاً.

لكنّ تفاعل عفلق مع المناخ الفكري في فرنسا لم يدفعه إلى الانبهار والبحث عن انتماء بديل أو هوية بديلة، بل وظّف تلك الأفكار والمناهج التي تفاعل معها في قراءة التاريخ العربي وفي استشراف المستقبل الذي يحقق إمكانات العرب الكامنة وتحييد المعوّقات التي تعطل تلك الإمكانات.

وإذا كانت المسيرة العفلقية وما ارتبط بها جديرةً بالمراجعة المنصفة والنقدية، بالبحث في نقاط القوة ونقاط الضعف أو القصور، ما قدمته وما عجزت عن تقديمه أو الذي مازال في الإمكان أو الواجب تقديمُه اليوم، من الإرث الفكري إلى التجربة الحزبية المنضوية تحت راية الشرعية الحزبية أو الخارجة عن تلك الشرعية، إلى تجربة الحزب في السلطة وطبيعة العلاقة بين الحزب والسلطة في تلك التجربة، فإن ما نحن بصدده الآن يرتبط بتسليط الضوء على النصوص العفلقية نفسِها، التي هي مثل كل النصوص الهامة تقبل أكثرَ من قراءةٍ ومستوياتٍ متعددةً من الفهم وقابلةً للتأويل.

وما يساعد في تسليط الضوء على تلك النصوص هو فهم الخلفية الثقافية أو الاختمار الثقافي الذي ساهم في إنتاج تلك النصوص وفي المحمولات الفكرية لمفاهيمها.

يبدو لي أنّ الدكتور عبده من أهم من يتنكب لهذه المهمة. فهو الحزبي المطّلع على نصوص الأستاذ ميشيل عفلق، وهو الأكاديمي وأستاذ الفلسفة المطلع والباحث في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، وله اطلاع عميق وواسع على فلسفة برغسون الذي تأثر به عفلق خلال مرحلته الباريسية، وربما رافقه هذا التأثر بقية حياته.

لنستمع إلى الدكتور عبده في محاضرته عن الموضوع. تليها مداخلات وأسئلة الحضور. فليتفضّل...

ميشيل عفلق بين نصين - مقاربة فلسفية

د. عبده شحيتلي

- ما النصان ، ولماذا؟:

انتج الاستاذ ميشيل عفلق عدداً كبيراً من النصوص التي تم جمعها في خمسة أجزاء تحت اسم "في سبيل البعث"، صدرت عن دار الحرية للطباعة في بغداد.

ما اهتم عفلق يوماً بتأليف الكتب، لأن خياره كان منذ عودته بعد إكمال دراسته في باريس العمل على خلق حركة سياسية تجسد القناعات الوطنية والقومية التي باتت معالمها واضحة لديه، حيث كان للقائه بالطلاب من المغرب العربي ومشاركته في نشاطات الجمعيات الثقافية والسياسية العربية اثناء الدراسة، الأثر العميق في ترسيخ قناعاته بالانتماء الى أمة عربية واحدة، ينبغي لها، في عصر القوميات الذي نشأ على أنقاض الدولة الامبراطورية، أن تتجسد في دولة عربية.

التبشير بالأمة الواحدة، وتأكيد الهوية القومية العربية الذي بات ملحاً بفعل التطورات التاريخية التي رافقت نهاية السلطنة العثمانية، ليحل مكانها الاستعمار الغربي الذي استحضر جيوشه وكل ما يملكه من إمكانيات عسكرية ودهاء سياسي وديبلوماسي لمنع قيام الدولة العربية الواحدة، هذا التبشير يتطلب فعلاً استراتيجياً يتناسب مع هذه المهمة التاريخية.

يقول الاستاذ عفلق في مقابلة أجراها معه شاعر الحداثة الأول بدر شاكر السياب في بغداد عام ١٩٥٨: "كان الفكر ولا يزال يحتل مركزاً كبيراً عندي، ولكن عملي القومي خلال الخمسة عشر سنة وقبلها، لم يكن عملاً فكرياً وإنما خلق حركة للفكر فيها مكان أساسي... كان العمل أهم من تكوين فلسفة، وكان يلح علينا فنلبيه، على حساب تنظيم الفكرة وتنسيقها وتوزيعها "(في سبيل البعث، ج٥، ص ٣٢-٣٣).

حين يشير عفلق في هذا النص الى الفترة التي تعود الى ما يقارب الخمسة عشر عاماً، فهو في واقع الأمر يحدد فترة بداية اربعينات القرن العشرين باعتبارها المرحلة التي نضجت فيها افكاره، وتبلورت الأسس الفكرية للاتجاه القومي الذي تمثله العروبة الجديدة في علاقتها بالماضي من جهة، وبالواقع الحي للأمة العربية، من جهة أخرى.

كانت محاضرة "ذكرى الرسول العربي" التي القاها الاستاذ عفلق على مدرج الجامعة السورية عام ١٩٤٣، النص الأكثر أهمية الذي وضعه في هذه الفترة ليتوج فيه، من حيث الشكل والمضمون، المرحلة الأولى من حياته الفكرية التي تمثلها كتاباته منذ العام ١٩٣٥ بما فيها من إرهاصات واضحة لفكره القومي؛ فمن حيث الشكل كان الأسلوب الأدبي بارزاً في هذه المحاضرة، وذلك يشكل، في واقع الأمر، استمراراً لنزعة أدبية ميزت كتاباته الأولى في مجلة الطليعة، ومن حيث المضمون بينت بشكل عميق وواضح الاسس الفكرية لحركة البعث التي تأسست رسمياً بعد كتابة هذه المحاضرة بسنوات قليلة.

يؤكد ما نذهب اليه أن الأستاذ عفلق كان يعود في نصوصه اللاحقة ومقابلاته واحاديثه للاستشهاد بالافكار التي وردت فيها ، وقد ذهب في أحد أحاديثه الى القول: "أنا أقولها بصراحة فيما يخصني، خلاصة افكاري وضعتها في تلك الكلمة "(في سبيل البعث ، ج٣ ، ص ٤٣ -حوار في فرع البصرة عام ١٩٧٦) ،جاء ذلك في سياق تأكيده أن البعث بدأ بنظرة جديدة الى التراث يصفها بأنه " من أهم افكار الحزب " (م. ن ، ص ٤٣). هذا النص ، أي " ذكرى الرسول العربي " هو نص تاسيسي أذا ، فيما يتعلق ببناء عفلق لمنطلقاته الفكرية ؛ ما سبقه أرهاصات ، وما أتى بعده ، بني عليه .وقد عاد الاستاذ عفلق للتذكير بالإفكار التي تبناها في محاضرته هذه ، ومنها مثلا خطابه السنوي في ذكرى تأسيس الحزب عام ١٩٨٤ ، وخطابه الأخير عام ١٩٨٩

هذا هو النص الاول الذي نبني مقاربتنا عليه ، أما النص الثاني فهو ما كتبه في نهاية حياته واذيع من بغداد في السابع من نيسان عام ١٩٨٩ ،واعتبرمثابة وصيته الأخيرة كما نقل عن الاستاذ نقولا الفرزلي الذي سأل الاستاذ عفلق بعد اذاعة النص: هل نستطيع القول إن هذه خطبة الوداع ، فاجابه: نعم.

ومابين هذين النصين نصوص عديدة غنية بمضمونها الفكري، ولا بد من العودة اليها في توضيح المفاهيم، وإغناء البحث بما يخدم سياقه العام . ولنا عودة لمناقشة مضمون هذا النص بعد توضيح ما نعنيه بالمقاربة الفلسفية .

- ما نعنيه بالمقاربة الفلسفية

كانت قراءات عفلق متنوعة، في التاريخ والادب والفلسفة والسياسة ، ورغم ميوله الأدبية التي كانت متنوعة وباللغتين العربية والفرنسية من المعري الى المتنبي ، وغيرهما وصولاً الى أندريه جيد وبرغسون ونيتشه وآخرين ، ورغم محاولاته الأدبية الواعدة شعراً ونثرا ، فإن الفلسفة هي ما وسع مدى الرؤية لديه ودفعه للابتعاد عن العالم الذي يلعب فيه الخيال الدور الأبرز ، للانهمام في فهم الواقع الحي واستخراج الأفكار العميقة لفهم ماضي الأمة واستشراف المستقبل.

حرص السياب في المقابلة الي أجراها مع عفلق على معرفة رأيه بتجربة الشعر الحديث ، بعد اطلاعه على كتابات عفلق الأدبية ، ومحاورته في ما لهذه التجربة وما عليها ، مبدياً تعجبه لأن الأستاذ عفلق لم يتابع كتابة الشعر نظراً لأنه ، اي السياب ، قرأ إحدى قصائده المنشورة وأعجب بها اعجاباً كبيراً، فكان جواب عفلق انه حول اهتمامه الى العمل الفكري الذي تقتضيه هذه المرحلة من حياة الأمة التي يرى انها تتوثب للنهوض والانبعاث.

ويتحدث عفلق للسياب عن تنوع قراءاته وأهمية ذلك في أغناء فكره وتعميقه فيقول: "كنت أمتص الآثار الأدبية والفنية التي أصادفها، ولا أقرأها كناقد ، إن تراكم المطالعة يخلق خميرة من العمق والغنى الروحي ... تجنب التفكير السياسي والاجتماعي خطر السطحية ... كما إنه يمكننا من معرفة ابعاد النفس الإنسانية

وغناها"(م. ن ، ص٣٣).

كان للأفكار الفلسفية التي امتصها من قراءاته نصيب وافر في التاثير على عمق وعقلانية وشمولية تفكيره . وإذا كنا نجد في نصوصه ذكرا لتأثره بنيتشه وبرغسون ، فإن دراسته للتاريخ في السوربون جعلته، بدون شك ، يتعرف على فلسفة التاريخ عند هيغل التي تركت أثرا كبيراً في فكره كما سنحاول أن نبين في بحثنا.

اعتبرالسياب عفلق فيلسوفاً ، ولكن عفلق الذي يعتقد أن الفلسفة هي "الأفكار التي تؤلف بمجموعها نظرة معينة للحياة " أكد للسياب أنه لا ينسب لنفسه هذا النوع من الفلسفة. لكن ، ما لا يمكن الشك فيه أن قراءاته الفلسفية تركت أثراً عميقاً في الأساس الفلسفي لنظريته في القومية . إن المقاربة الفلسفية لأفكاره ، أي قراءة نصوصه وفهمها في ضوء اراء الفلاسفة الذين تأثر بهم تتيح اكتشاف ابعاد عميقة فيها ، بعيدة عن الفهم الأيديولوجي الصرف أو المباشر والمتسرع.

رغم الاختلاف الكبير في تعريف الفلسفة ،بحيث يمكن القول اننا نجد تعريفات متعددة لها توازي عدد الفلاسفة ، فإن الباحثين في الفلسفة يتفقون على سمتين تميزان التفكير الفلسفي هما: العقلانية ، والشمول.

التفكير الفلسفي عقلاني في بدايته وبنيته ونتائجه ، فلا مرجعية في الفلسفة إلا العقل ، وبالاستناد اليه وحده تبنى البراهين وعليها تترتب الحقائق .وتفكير عفلق كان عقلانيا بامتياز ، في منطلقاته وبراهينه وما يترتب عليه . ولعله من المفيد في هذا المجال ذكر انه حتى حين يتناول مسائل متعلقة بالدين عامة او بالاسلام والتراث خاصة لم يستند قط على مرجعية النص ؛ لذلك لا نجد في نصوصه اثرا للاستشهاد بالنصوص المقدسة ، وبراهينه إما عقلية تحليلية ، كما هي الحال حين يتناول مفهوما ما ويحلله الى الأفكار التي يتكون منها، أو استقرائية كما يفعل حين يستقرىء احداث التاريخ او الواقع لسيتنتج منها بالاستدلال العقلي حقيقة معينة .

والتفكير الفلسفي شمولي ، كلي لا يختص بجماعة ، او قضية محددة أو منعزلة مرتبطة بظروف الزمان والمكان . إن التفكير السياسي او الاجتماعي حين

يفتقد لصفة الشمول الإنساني يغدو أيديولوجيا على قياس حدث ما او جماعة معينة كبيرة كانت ام صغيرة.

اكد السياب للأستاذ عفلق أنه يعتبره رائد الفلسفة القومية ، وسأله هل تقدم هذه الفلسفة للإنسانية حلاً جديداً (م.ن ، ص ٣٣). كان السياب يريد معرفة ما اذا كان تفكيره ينحصر بالصعيد القومي العربي فحسب أم يتعدى ذلك ليكون تفكيرا على المستوى الإنساني .جاءت إجابة عفلق واضحة لا تقبل الالتباس فقال إن الفكرة التي جاءته بعد مطالعاته كانت " على مستوى إنساني لا على مستوى قومي خاص "(م.ن ص ٣٣).لذلك لا نغالي لو قلنا إن عفلق هو فيلسوف القومية الإنسانية . لقد سبقه الكثيرون في تناول مفهوم القومية عامة ، لكنه الرائد في إبداع مفهوم "القومية الإنسانية"، وانطلق منها للبحث في حقيقة القومية العربية .

إن فلسفته ، كما يقول ، هي " محاولة لاكتشاف الحقيقة القومية ، وبالتالي محاولة اكتشاف الحقيقة القومية العربية وإعطاء هذه الحقيقة مكانتها المشروعة بين الحقائق الإنسانية الخالدة " (م.ن ص ٣٣)ويؤكد أن القومية كما يفهمها هي حقيقة إيجابية لأنها لا تتصادم أو تتعارض مع الاتجاه الإنساني.

حرص الاستاذ عفلق على تأكيد هذا الاتجاه الفلسفي الذي بات شديد الوضوح في نصوصه التي كتبها في خمسينات القرن الماضي حيث نجده في مقالة بعنوان " القومية حقيقة حية ذات مضمون ايجابي أنساني " يقول إن فكرة البعث انطلقت من خطوط أساسية كبرى تعتبر أن " القومية حقيقة حية لا يمكن تجاهلها ولا يمكن إفناؤها أي هي ليست شيئاً عابراً يمكن أن يتلاشى تبعاً لتبدل الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ."

النظرة العميقة ترينا أنها أعمق من هذه العوامل وابعد غوراً في التاريخ ، فهي"من صنع أجيال وقرون ، وهي نتيجة تراكم طويل وتفاعل عميق أوصل الى خلق

صفات مشتركة وروابط روحية ومادية بين مجموعة من البشر اصبحت هي الشخصية المعبرة عن هذه المجموعة ، وهي المجال الطبيعي والحياتي الذي تنطلق منه هذه المجموعة في تحقيق أنسانيتها "(في سبيل البعث ج٣ ص٢٣). هذا النص الذي يعود الى العام ١٩٥٧ سبق مقابلة عفلق مع السياب الذي اطلع عليه بالتاكيد وبنى على ما جاء فيه لكي يعتبر عفلق رائد القومية الإنسانية.

إن القومية ، كما يراها عفلق ، هي " تربة الإنسانية وهي المجال الحي في إخصابها" ، والإنسانية كما يراها " ليست وصفاً اجتماعياً أو سياسياً يمكن أن يتحقق تحققاً مادياً في التاريخ ، بل هي روح واتجاه ومثل تنبث في تكوين الشعوب والأمم وتكون حضارتها وتوجه سلوكها واخلاقها ، فالإنسانية مرادفة للقومية وليست لاحقة لها"(م.ن ، ص ٢٤).

هذه الحقيقة القومية التي تشكل المحور الأساسي لفلسفة عفلق ليست نظرية ، وإنما هي بتعبيره " مبعث النظريات " . إنها الأساس في بناء النظريات التي تعمل على تكوين شخصية واضحة ومتميزة لكل أمة من الأمم تكون اساساً لتحقيق وجودها التاريخي الحضاري الذي تشكله رسالتها التي تحملها الى العالم وتشكل اساساً للتعاون بين البشر .

يقترب عفلق في فهمه للحقيقة القومية باعتبارها حقيقة إنسانية من فكرة هيغل المتعلقة بنهاية التاريخ . يرى هيغل في التاريخ مسرحا لتجسد الروح في مسارها الذي يسعى لتحقيق العقل والحرية ، وهو يرى ان نهاية التاريخ تحققت في الدولة التي قامت في العالم الجرماني حيث تجسد اكتمال مسار العقل والحرية في مؤسساتها وإدارتها للمجتمع .اما عفلق فيعتقد ان نهاية التارخ تتجسد في التمايز والتكامل بين القوميات على المستوى الإنساني وهو تمايز في الرسالة والدور الحضاري .لكل قومية سياقها الخاص في التكوين والتطور ، والتمايز الثقافي بين القوميات يؤدي الى تكامل وتعاون أنساني ،بدونه لا يمكن ان تتقدم الحضارة ويسود السلم والتعاون في مواجهة الصراعات والفقر والمرض ،والابداع في العلم والتكنولوجيا ،والأدب والدين والفن، والثقافة عامة، على المستوى العالمي.

يدعو عفلق الى هذا الفهم الإيجابي للظاهرة القومية ، لأن العصر هو "عصر القوميات والدول القومية "(في سبيل البعث ، ج٣ ، ص ٢٦٩): ففي كل مكان من عالمنا ينبغي أن تبلغ المجموعات البشرية هذا المستوى الناضج "نتيجة تفاعل قرون طويلة بين أفرادها والظروف الطبيعية والتاريخية التي مرت بها ، والتي نسجت بينها روابط مادية وروحية مشتركة أهمها وأعلاها رابطة الثقافة "(م.ن، ص ٢٥).

الحدس المولد للنظرية:

يرى الفيلسوف الفرنسي برغسون الحاضر في بعض تضاعيف نصوص عفلق ، في فصل بعنوان " الحدس الفلسفي "من كتابه " الفكر والمتحرك " المنشور عام ١٩٣٦ أن ما ينبغي البحث عنه لفهم أي فيلسوف هو" بساطة حدسه الأصلي " ، هذه البساطة هي لب الفلسفة وجوهرها ، وهي الأساس الذي يبنى عليه مذهب أي فيلسوف . لذلك يدعو برغسون للبحث عن الحدس البسيط المولد للفلسفة لأن مصدر القوة في أي مذهب فلسفي أنما يكمن في مركزه اي الحدس الأصلي الذي يشغل الموقع المركزي في الفلسفة وبالاستناد اليه يندفع الفكر لتشكيل المفاهيم والأفكار والتصورات التي تجعل الفلسفة متكاملة ومتمايزة عن غيرها.

لقد بنى عفلق فلسفته على الحقيقة التي تقول : "إن القومية حقيقة حية"، وهويرى انها لا تحتاج الى أي برهان ، ولا تقبل التشكيك لأنها " تفرض نفسها فرضاً" ، ومن يشكك فيها ويسعى الا الجدل هدفه جرنا لنجادل في " البديهيات ". هذه الحقيقة البديهية التي لا تحتاج الى برهان هي الحقيقة الحدسية الوحيدة التي يبني عليها عفلق كل نظريته القومية ، إنها الحدس المولد لنظريته بأكملها . وباستثناء هذه الحقيقة كان منهجه في إثبات الحقائق يستند الى الأدلة العقلية ، لذلك لا يبدو غريبا القول انه متاثر من الناحية المنهجية بالديكارتية،في جانبها الإيجابي ، التي تعتبر ان المنهج المناسب للوصول الى الحقيقة هو الذي يبدأ من حقيقة بديهية ليبني عليها البراهين العقلية التحليلية والتركيبية.

تفرض القومية ذاتها لأنها نتاج للتاريخ الذي يجعلها حيا في وجدان الأفراد وتولد لديهم الوعي بالانتماء لهوية قومية واحد ، تعلو وتتجاوز كل الهويات الأخرى . هذه الهوية القومية تحقق الانتماء في أعلى درجاته حين ترتبط برسالة تحقق للأمة النهوض بمجتمعها من جهة ، والموقع الحضاري اللائق بها على المستوى الإنساني من جهة أخرى .وفي غياب الهوية القومية تستفيق العصبيات ، و" الهويات القاتلة " ،ويتلاشى الوجدان القومي ليترك كل ذلك أثاراً مدمرة على الحياة الاجتماعية.

انطلق عفلق من قضية بديهية عامة تقول أن القومية حقيقة حية لينتقل منها الى البحث في تجسد هذه الحقيقة على المستويين التاريخي والإنساني . هذا الإطار حكم انهمامه بالقومية العربية باعتبارها من القوميات الحية التي تجعل الأمة العربية تمتلك روحا تتوثب للتجسد على المستويين التاريخي والإنساني؛

تتجسد روح الأمة إنسانيا من خلال رسالتها أي الدور الحضاري الذي تؤديه لمجتمعها وللإنسانية ، وتتجسد تاريخيا في الدولة التي توحد المجتمع وتديره بالاستناد الى رابطة لا تترك مكاناً لأي نوع من العصبيات أو التفرقة بين المواطنين هي الرابطة الوطنية او القومية ؛ لأن الوطنية والقومية ،هما من نفس الطبيعة، والاختلاف بينهما في الدرجة فقط .

ما كانت أفكار عفلق عن الأمة وروحها ورسالتها ،عميقة المرامي ، وجديرة بالاهتمام لولا أبعادها الفلسفية ، ومقاربتها بالاستناد الى بعض افكار الفيلسوفين برغسون وهيغل مفيدة في هذا الإطار لتلافي الفهم السطحي والمباشر لها الذي يمكن أن ينزلق اليه الباحثون في فكره، إن من موقع التأييد ، أو من موقع المعارضة .

يقترب تصور عفلق للأمة من فكرة الديمومة عند برغسون ، وحديثه عن روح الأمة يستحضر الى حد بعيد المصطلحات الهيغلية.

يعرف عفلق الأمة فيقول : " هي كيان معنوي تاريخي ومستقبلي ، يعيش في أعماق الضمائر والعقول لأبناء العروبة قاطبة ، ويعلو عليهم ، وعلى أقطارهم ويشدهم ويلهمهم ، لكي يقتربوا ويزدادوا قرباً على مدى الأجيال من روح الأمة وقيمها ورسالتها"(في سبيل البعث ، ج٣، ص٧٧). يتبن من هذا التعريف أن الأمة كيان له بعدان تاريخي ومستقبلي ومتصل بالوعي

الفردي ، ويقرب هذا الوعي من روح الأمة ورسالتها .هذا الكيان الذي يدرك عقلياً لأن وجوده معنوي وليس ماديا ،يقترب عفلق في تصوره من مفهوم الديمومة التي تشكل اساس الفلسفة البرغسونية ؛ فهذه الديمومة هي اتصال لا ينقطع بين الماضي والمستقبل ، يشكل جوهر الوجود ويتطور تطوراً مبدعاً يتجسد في افعال الأفراد الاستثنائيين كالفلاسفة والفنانين والقدسين ورجال الخير العظماء.

هذه الفكرة ظهر تأثيرها مبكراً في نصوص عفلق عندما كتب " عهد البطولة " الذي يمثله أولئك الذين " يجابهون المعضلات العامة ببرودة العقل ولهيب الإيمان، ويجاهرون بأفكارهم لو وقف ضدهم أهل الأرض جميعاً، ويسيرون في الحياة عراة النفوس . هؤلاء هم الذين يفتتحون عهد البطولة"(في سبيل البعث ، ج ١ ، ص). وفي مقالة أخرى بعنوان ثروة الحياة يذهب الى مدى أبعد حيث يقول إن الناس حتى اليوم نظروا الى الحياة نظرة الكافر الجاحد ، لا نظرة المؤمن الواثق ، هم يستكثرون منها أقل شيء لأنهم لم ينتظروا منها شيئاً، على أنها أغنى مما يظنون . ويردف قائلاً : " لست أصدق أن القرن الكامل من السنين يعجز عن إنتاج أكثر من فرد أو فردين أو عشرة أفراد يليق أن يمثلوا الإنسانية، وأن نقول في الواحد منهم هذا هو الإنسان" (في سبيل البعث ، ج١ ، ص ٢٣).

في ضوء هذا الآراء يصبح واضحا للباحث في فكر الأستاذ عفلق لماذا كتب " ذكرى الرسول العربي ". لكن، قبل الخوض في مضمون هذه الرسالة من المفيد التوقف عند مصطلح آخر هو "روح الأمة" لفهم مراميه في ضوء الهيغلية التي ابتدعت هذا المفهوم الذي شاع الى حد بعيد في تفسير مسار التاريخ وتطور المجتمعات الصاعد نحو تحقق العقل والحرية .

- روح الأمة

تنسب الروح للإنسان الفرد لتشير الى ما هو غيرمادي فيه ،وتختلف عن النفس التي تشير الى ما يتعلق بالجانبين العقلي والانفعالي في الإنسان ، لأن للروح بعداً دينياً يتعلق بالحياة بعد الموت. حين تنسب الروح الى الشعب أو الجماعة أو الأمة وتعطى هذا البعد الديني ، فإن الأمر يثير شيئاً من الالتباس وسوء الفهم . الواقع إن مصطلحات من قبيل " روح الأمة " و"روح الشعب" ينبغي أن تفهم في سياقها الدلالي التاريخي والاجتماعي البعيد عن الاعتبارات الدينية المرتبطة بالحياة بعد الموت والثواب والعقاب لأن كل ذلك يتعلق بالأفراد لا الجماعات.

يستخدم عفلق مصطلح "روح الأمة" بمعنى يقارب الى حد بعيد الاستخدام الهيغلي لهذا المصطلح في محاضراته حول تاريخ الفلسفة ، وفي كتابه "العقل في التاريخ ".

يقول هيغل في إحدى محاضراته عن تاريخ الفلسفة " ماهية الروح ووجودها يكمن في فعلها" (تاريخ الفلسفة ، مكتبة مدبولي ، ص ١١٨). كل ما هو حقيقي ، كما يرى هيغل يتجسد في التاريخ ، وما هو حقيقي في روح الأمة يتجسد في ما يتحقق منها في مسار التاريخ ، لأن كل ما هو عقلي هو واقعي .ويرى عفلق أن روح الأمة العربية تتجسد في رسالتها أي في فعلها الحضاري الإنساني الذي يتجسد في التاريخ .

يكشف لنا التاريخ الكلي ، كما يقول هيغل ، عن تطور الوعي بالحرية من جانب الروح ، وما يترتب من تحقق فعلي لهذه الحرية . هذا التطور يتضمن سلسلة من التغيرات أو التجليات المتزايدة الكفاية للحرية التي تنتج عن فكرتها ....كل خطوة (من هذه التجليات)

لها مبدأ خاص بها . هذا المبدأ في التاريخ هو خاصة الروح ، هو العبقرية القومية الخاصة بأمة من الأمم ، وداخل حدود هذه الخاصية تعبر روح الأمة، في تجليها العيني ، عن كل جانب من جوانب وعي الأمة وإرادتها ، أي على النطاق الكامل لتحققها الفعلي : فدينها ، ونظمها السياسية ،وأخلاقها، وتشريعها، بل وحتى علمها وفنها... ذلك كله يحمل طابعها المميز.(هيغل ، العقل في التاريخ ، ص١٣٨).

لقد امتص الأستاذ عفلق في دراسته الجامعية وقراءاته هذه الأفكار الفلسفية ، وكما هي حال النحل الذي يمتص الرحيق لينتجه عسلاً مصفى دخل نتاجه الفكري مرحلة جديدة من العمق والوضوح تمثل بالنص الذي كتبه لمحاضرة " ذكرى الرسول العربي ".

اللافت في هذا النص اعتباره النبي العربي نتاجاً للأمة العربية التي "حشدت كل قواها فأنجبته ". وإذا كان النبي مصطفى إلهيا ، فذلك " لأن الأمة العربية بلغت مستوى من النضج جعلها مهيأة لحمل رسالة الإسلام ".

يبدأ عفلق هذا النص بتناول " الشخصية العربية بين الماضي والحاضر "ليبين أن حركة الإسلام المتمثلة في حياة النبي العربي في عمقها واتساعها ترتبط ارتباطاً مباشراً بحياة العرب ، اي هي صورة صادقة ، ترمز لطبيعة النفس العربية ومكناتها الغنية واتجاهها الأصيل .لذلك هي " ممكنة التجدد دوما في روحها . لا في شكلها وحروفها ".(في سبيل البعث ج١، ص ١٤٢)؛ فهذه "التجربة ليست حادثاً تاريخياً للعبرة والفخر ، بل هي استعداد دائم في الأمة العربية " (م . ن ، ص ١٤٣) . وحياة الرسول ليست صورة لنعجب فيها من الخارج بل لنحياها من الداخل.

إن حياة الرسول هي خلاصة لحياة العرب ولا يمكن فهمها الا بالاستناد الى " التجربة الحية "لأنها تمثل الدرجة الأعلى للبطولة . والتعظيم الحقيقي لها " إنما يصدر عن المشاركة فيها وتقديرها بعد المعاناة والتجربة ، فلا يقدر البطل الا الذي يحقق ولو جزءاً يسيراً من البطولة في حياته "؛ فكل عربي يمكن له أن يفعل ذلك " ولو بنسبة الحصاة الى الجبل ، والقطرة الى البحر "(م. ن ، ص ١٤٤) .

تحضر في تضاعيف هذا النص ، وبقوة ، فكرة البطولة وانتشار تأثيرها بالأفراد التي كانت من الأفكار البارزة في فلسفة برغسون .ابطال الانسانية هم اولئك الأفراد الاستثنائيون الذين يمتلكون القدرة على معاينة ديمومة الوجود ويجسدون ذلك بالقول والفعل، فيتحول وجودهم الى نداء يجذب الأفراد، كما يجذب النور الفراشات. إنهم لا يطلبون شيئاً لكنهم ينالون . هذا الاقتداء بابطال الإنسانية مرده ، كم يرى برغسون، لوجود" شخصية صوفية غافية في كل انسان تنتظر من يوقظها". يتفق عفلق تماما مع هذه النظرة فهو يرى في النبي العربي بطلاً إنسانياً يجذب بأفعاله النفوس الفردية عن طريق إيقاظ الكوامن الإيجابية فيها ليجعلها تندرج في هذا الفعل الإنساني الذي يتجه نحن المطلق ، لأن "الإسلام خير مفصح عن نزوع الأمة العربية الى الخلود والشمول ، فهو إذن في واقعه عربي وفي مراميه المثالية إنساني "

(م. ن ، ص ١٤٥).

إن الأمة العربية ، كما يرى عفلق ، " حشدت كل قواها فأجبت محمداً" (م.ن ، ص ١٤٤). والعرب يتميزون عن الأمم الأخرى بأن " يقظتهم القومية اقترنت برسالة دينية، أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية "(م.ن ، ص ١٤٦). والاسلام هو لجميع العرب على اختلاف معتقداتهم الدينية بمثابة " ثقافة قومية " تمثل أثمن ما في العروبة . من هنا جاءت دعوته للمسيحيين العرب للتشبع بهذه الثقافة القومية والحرص عليها .

تفتح محاضرة " ذكرى الرسول العربي " الباب واسعاً لتناول ما يسميه عفلق "العلاقة الوثيقة بين العروبة والإسلام "، لكننا لن نفصل القول في ذلك هنا لكي لا نخرج عن سياق البحث ،وسوف نعود اليه في بحث اخر مستقل . ما يعنينا هنا هو تمييز عفلق بين الإسلام كمعتقد ديني فردي خاص بالمؤمنين عرباً كانوا أم غير عرب ، والإسلام باعتباره حضارة وثقافة قومية لكل العرب بغض النظر عن اعتقادهم الديني، ودعوته الى ما يسميه تجدد العروبة وتكاملها .

إذا كان الله تعالى قد اختار العرب لتبليغ رسالة الإسلام ، فذلك " بسبب مزايا وفضائل أساسية فيهم، وإن اختيار العصر الذي ظهر فيه الإسلام كان لأن العرب قد نضجوا وتكاملوا لقبول مثل هذه الرسالة وحملها الى البشر " (م.ن ص ١٤٥). بهذا المعنى كان الإسلام حركة عربية، وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها. إن المسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي ، ولكن العربي الجديد ، في عصرنا الحالي ،هو "الوطني " و"القومي " أي " الفئة التي آمنت بقضية بلادها لأنها استجمعت الشروط والفضائل اللازمة كيما تعي انتسابها العميق الى أمتها وتتحمل مسؤولية هذا الانتساب"(م.ن، ص ١٤٥).

خاطب عفلق اولئك الذين يجعلون " الإسلام جراباً يسع كل شيء " بدافع من غيرتهم عليه ، ولكي يبرهنوا على قوته ويحفظوا فكرته من كل تغير طارئ الى الانتباه أنهم بذلك يقضون على " روحه وشخصيته ويفقدونه ميزاته الحية .... ويفسحون المجال لدعاة الظلم وأرباب الحكم الجائر ، كي يستمدوا من الإسلام أسلحة يطعنون مادة الإسلام نفسه أي الأمة العربية "(م.ن ص ١٤٧) ويختم دعواه بالقول إن المعنى " الذي يفصح عنه الإسلام في هذه الحقبة التاريخية .... هو ان توجه كل الجهود الى تقوية العرب وإنهاضهم وأن تحصر هذه الجهود في نطاق القومية العربية " (م.ن ص ١٤٧).

من العروبة باعتبارها الأصل والغاية الى الديمقراطية بوصفها ضرورة تاريخية:

في النص الأخير الذي كتبه عفلق ، ونشر قبل أقل من ثلاثة أشهر من تاريخ وفاته في ٢٨ حزيران ١٩٨٩ ، يعود عفلق للتذكير بالثوابت التي بنى عليها نظريته القومية، فيصف فكر البعث بأنه فكر حضاري متشبع بروح الإسلام ، ومنفتح على حضارة العصر ، ومؤمن بالعلم والتقدم ، وبأنه منذ البداية صمم على تحقيق هدفه وهو " أن تكون النهضة العربية أصيلة ، جذرية ، إنسانية ، لا أثر فيها للتعصب والعنصرية والطائفية ، ولكل ما يحط من كرامة الإنسان وانطلاق مواهبه " (خطاب بتاريخ ٧ نيسان ١٩٨٩ ، ص ٥).

في هذا النص يعود ، أيضاً، للتأكيد بشكل جازم على أن البعث منذ بدايته كان " واضحاً وحاسماً في موضوع قومية الأمة ، وأنها الأساس والشرط الضروري لفهم علاقة الإسلام بالعروبة ، وعلاقة العرب بالشعوب الإسلامية " (م.ن ، ص ٦). والملاحظ أنه يستخدم دائما مصطلح الأمة العربية ، والشعوب الإسلامية وليس الأمة الإسلامية . ينسجم ذلك مع فكرته الأساس المتعلقة بالقومية الإنسانية ؛ فالشعوب الإسلامية تنتمي الى قوميات وثقافات متعددة تجعل التمايز الحضاري والثقافي بينها حقيقة لا يمكن القفز فوقها.

إذا كان الإسلام واحداً من الناحية العقائدية المتعلقة بما يعتبره الفقهاء أركاناً للدين ، فذلك ينطبق على التدين الفردي ، وخيارات الأفراد في توجهاتهم الدينية وعلاقاتهم بالخالق والعالم الآخر . أما الإسلام الحضاري والثقافي ، ففي تنوعه واختلافه ما يدفع للتكامل وخدمة الشعوب الإسلامية ، والإنسانية ، مثلما فيه ما يمكن أن يؤدي الى التنافر ورفض الآخر الذي يصل حد السعي الى إلغائه.

لذلك يرى عفلق أنه مثلما كانت وحدة العرب المقدمة الضرورية لتوحيد الشعوب التي دخلت في الإسلام تاريخيا حين كان العصر عصراً للإمبراطوريات، فإن وحدتهم تحت الراية الوطنية والقومية "الآن تفتح المجال واسعاً لتعميق الروابط الوحدوية بين الشعوب الإسلامية " (م. ن ، ص ٦).

كتب عفلق هذا النص بعد شهور قليلة من نهاية الحرب العراقية الإيرانية التي وضعت أوزارها في ٨-٨-١٩٨٨ .واعتبر فيه أن ما تحقق للعرق من منعة وقدرة، بعد انتهاء الحرب ،هو رصيد للأمة العربية " في صراعها مع أعدائها الرئيسيين : الإمبريالية والكيان الصهيوني ، وفيه ردع للأعداء المحتملين مثل إيران التي جعل منها الضعف العربي عدواً، وقد جعل منها الوحدة العربية جاراً صديقاً وحليفاً " (م.ن ، ص ٤).

كانت المعادلة القائمة على الارتباط بين الوطنية والقومية قائمة على الدوام في فكر عفلق ؛ فالوطنية والقومية هما من نفس الطبيعة لأنهما يرتقيان بالمجتمع فوق العصبيات الطائفية والمذهبية والعشائرية والقبلية وما يماثلها من النزعات ، وكل محاولة نهوض وتقدم اجتماعي في ميادين الصحة والتعليم والتقدم العلمي والحريات والبناء الديمقراطي ستكون معرضة على الدوام لمواجهة شرسة مع أعداء من الداخل المرتبطين، غالباً ،بالأجهزة التي ترعى مصالح الدول الإقليمية ، والمصالح الإمبريالية للدول التي تنشر قواعدها العسكرية وسفاراتها الأشبه بالمعسكرات الكبرى في مشرق الأمة ومغربها .

كان تفاؤل عفلق كبيراً، كما يظهر في هذا النص ، لاعتقاده بإمكانية استثمار حالة القوة التي وصل اليها العراق مع نهاية الحرب وطنياً وقومياً؛ فهذا الانتصار الوطني والقومي ينبغي ، برأيه، أن يتحول الى "وسيلة من وسائل نهضة الأمة وقوتها" . إن واقع القوة هذا يمكن ان يحول الدولتين الإقليميتين الكبيرتين إيران وتركيا الى جار مسالم او صديق أو حليف . وهذا الشعور بأن ظهر العرب بات محمياً في مواجهتهم مع الكيان الصهيوني وداعميه" يفتح للممارسة الديمقراطية أفاقاً واسعة لتطويرها وإغنائها واستكمال مؤسساتها"(م. ن ، ص٤) .

مثلت هذه الوصية التي ختم بها

عفلق حياته ما اعتبره العنوان الأساسي للمرحلة الجديدة التي دخلتها الأمة العربية ، فتوجه الى الأنظمة التي تشكل منها مجلس التعاون العربي الذي ضم العراق ومصر والأردن واليمن ، والذي اعتبره عفلق " ابن النصر العراقي " بالقول :" إن مصداقية الخطوات الوحدوية ، تكون بالانفتاح على الجماهير ؛ فالأنظمة التي امتلكت القدرة على اتخاذ مبادرات بهذا المستوى ، يفترض فيها ، أيضا، الشجاعة في تطبيق الديمقراطية ...والمشكلات التي قد تنشأ عن عدم اكتمال الشروط للممارسة الديمقراطية ، أو عن الخلل في ممارستها ، يقابلها أضعاف أضعافها من الخير والعطاء والخلق والإبداع واكتساب الفضائل التي لا تتفتح ولا تأخذ مدياتها إلا في جو الحرية" (م.ن، ص ١٠).

غياب الديمقراطية هو المشكلة الكبرى ، كما شخصها عفلق في نهاية ثمانينات القرن الماضي ، من موقعه الأول في الأمانة العامة للبعث ،ومن بغداد،حيث أكد حقيقة ما تمثله الديمقراطية من عودة للروح التي غابت عن الأمة . ولأن " القضية القومية أصعب وأكثر تعقيداً من أن يستطيع تيار واحد أو حزب واحد ، أن يفي بحاجاتها، وأن يقوم بحلها واستيعابها" (م . ن ،ص١١). فلا بد من تكامل الاتجاهات والآراء التي تتكامل ويصحح بعضها بعضاً . والمدخل الى ذلك أن تصبح الديمقراطية "حقيقة واقعة في الحياة العربية"، و"تكون الشرعية الجديدة "مرتكزة الى الحوار والنضال الذي يتجاوب مع "أماني الشعب وإرادة الجماهير " مع التأكيد على " أن الشرعية التي تقدمها الديمقراطية لا تكتمل إلا بالتوجه نحو العدالة الاجتماعية ونحو تحرير الطاقات الجماهيرية من ضغط الحاجات اليومية". (م.ن ، ص ١٢).

لا بد من " تلبية الضرورة التاريخية للديمقراطية كحاجة تقدمية ووحدوية في هذه المرحلة من الحياة العربية" تلك كانت وصية عفلق الأخيرة التي توجه بها الى الأنظمة العربية. أما وصيته الى أبناء الأمة فتمثلت بإيضاحه لما أسماها الميزة التي حرص البعث على توضيحها وإبرازها وهي "أنه حاول دوما أن يتجاوز نفسه " (ص١٨) بهدف التوحد مع أفكاره ومبادئه التي تعبر عن جوهر الأمة ومصلحتها العليا.

هذا الحرص الذي يتزايد اليوم يحتاج مساهمات المفكرين والمثقفين على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم القطرية التي تتميز "بعمق النقد والمراجعة "(ص١٩) لأن الأخطار والمؤامرات على "الكيان العربي وعلى قومية الأمة"بلغت مستوى من الجدية " تستوجب تعبئة لكل رجال الفكر والثقافة في الوطن العربي ، لكل الذين يدركون هذه الأخطار من أجل مواجهتها بعمل جماعي منظم ينصب في الدرجة الأولى على النواحي الإيجابية في حركة القومية العربية لتوضيحها وإبراز الأبعاد الروحية والحضارية والإنسانية في قومية الأمة " (ص١٩).

خاتمة:

القومية الإنسانية ، وإطلاق الحريات والممارسة الديمقراطية وشرعية السلطة المستمدة من الشعب ؛ هذان الحدان شكلا قطبي الرحى في فكر الإستاذ عفلق . وفكرة العروبة التي افنى العمر في التنظير لها والانخراط في النضال دفاعاً عنها كانت تنسجم مع رؤيته لمجرى التاريخ الذي يدفع المجتمعات نحو الرقي والتقدم حين تعبر الأمة عن ذاتها ببناء نهضتها ورسالتها الحضارية التي تحملها للعالم.

حين حاول العرب إعلان دولتهم ، كباقي الأمم التي تجسدت في دول ،سارعت الدول الاستعمارية الى إسقاطه وإخضاع الجغرافيا العربية لتقاسم نفوذ يخدم مصالحها البعيدة عن الأهداف الإنسانية .

هذه الدول الإستعمارية التي كانت ممارساتها القومية عنصرية ومحكومة بمصالح برجوازية استعمارية ، قادت مجتمعاتها الى أسوأ الحروب فكانت الحربان العالميتان الأولى والثانية على أرض أوروبا ونتائجهم الهائلة الدمار في المجتمع الأوروبي. اليوم باتت هذه المجتمعات أكثر قرباً الى مفهوم القومية الإنسانية في التعامل بين قومياتها المتعددة ،وما تقدمه للعالم . وباتت الممارسة الديمقراطية من بديهيات الحياة السياسية التي تحكم حاضرها ولا تترك أي مجال للعودة الى الوراء .

وقد جاءت الانتفاضات الشعبية العربية ، بعد العام ٢٠١١ ، التي انتشرت في المجتمعات العربية كانتشار النار في الهشيم لتبين أن ما يصبو اليه العرب في كل مجتمعاتهم هو الحرية والممارسة الديمقراطية وتداول السلطة .بغض النظر عن مآلات هذه الانتفاضات التي كانت عثراتها داخلية في جزء منها ، وخارجية في جزء آخر أكبر، فإن ما بات شبه مؤكد هو أن تقدم مجتمعاتنا نحو الأمام لا يمكن إلا أن يكون وطنيا بمظلة قومية عروبية من جهة ، وديمقراطيا سلميا يحكمه الحوار والانفتاح على الاخر . فالحوار الديمقراطي المنطلق من الإيمان بوحدة الأمة ، المتحرر من الحساسيات ، كما يقول عفلق في وصيته الأخيرة ، " ينبغي أن يتسع وأن يتعمق بين البعثيين والناصريين والإسلاميين والماركسيين ، وسائر القوى الوطنية والقومية لأنه المدخل الطبيعي لبلوغ هذا المستوى الجديد ، الكفيل وحده ، بفتح أفاق العمل المستقبلي".

لن تنتهي الأخطار والمؤمرات على الأمة العربية من أعدائها التقليديين ، الإمبريالية والصهيونية ، والأعداء المحتملين من الدول الإقليمية عندما يغريهم غياب المشروع القومي وضعف مراكز القوة العربي باستتباع العرب واستلحاقهم في مشاريع خاصة بهم، ولكن مجابهة هذه الأخطار تتطلب مناعة داخلية عنوانها المشروع الوطني والقومي من جهة ، والضرورة التاريخية للديمقراطية التي لا بديل عنها للحياة العربية في هذه المرحلة المصيرية من تاريخ الأمة.

مراجع البحث:

- عفلق ، ميشيل ، في سبيل البعث (الكتابات السياسية الكاملة)، مجلد في خمسة أجزاء ، دار الحرية ، بغداد ١٩٨٦.
- هيغل ، تاريخ الفلسفة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي ١٩٩٧ .
- هيغل ، العقل في التاريخ ، ترجم إمام عبد الفتاح إمام ،ط٣ ، دار التنوير١٩٨٣ .
- برغسون ، هنري . منبعا الدين والأخلاق ، ترجمة سامي الدروبي وعبدالله عبد الدائم ، ط٢ ن دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢ .
- سلامه ، إبراهيم . البعث من المدارس الى الثكنات، ملف النهار، العدد ٢٦ ، ١٩٦٩.
- Bergson. La pensée et le mouvant. PUF. Paris ١٩٤٠.

الامم المتحدة رسمياً: مجاعة في غزة